

سلسلة الأدب

مكتبة
٢٠٠٨

قصائد مخنّامة من ديوان شمس تبريز لجلال الدين الرومي

نقلها من الفارسية وقدم لها وعلّق عليها
دكتور محمد السعيد جمال الدين



قصائد مخنّمة

من ديوان

شمس تبريز

لجلال الدين الرومي

نقلها من الفارسية وقدم لها وعلّق عليها

دكتور محمد السعيد جمال الدين



٢٠٠٨ م

قصائد مختارة من ديوان شمس تبريز

لوحه الغلاف من أعمال الفنان الفارسي: بهزاد

كإضافة جديدة لمكتبة الأسرة قدمنا على غلاف كل كتاب لوحه تشكيلية لفنان مصري معاصر من مختلف المدارس والأجيال وهذه اللوحات لا تعبر بالضرورة عن موضوع الكتاب. وتقدم مكتبة الأسرة بالشكر لقطاع الفنون التشكيلية بوزارة الثقافة ومuseum الفن المصري الحديث على هذا التعاون.

الرومي، جلال الدين الرومي، ١٢٧٣

قصائد مختارة من ديوان شمس تبريز/ لجلال الدين الرومي؛ نقلها من الفارسية وقدم لها وعلق عليها: محمد السعيد جمال الدين - القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨.

مج ١ : ٢٤١ سم.

تسلك : ١ - ٤٥٨ - ٤٢٠ - ٩٧٧ - ٩٧٨.

١ - الشعر الفارسي .

٢ - جمال الدين، محمد السعيد (ناقل ومقدم).

ب - العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب / ١٩٤١٣ / ٢٠٠٨

I.S.B.N 978 - 977-420-458 - 1

ديوى ٨٩١،٥٥١

توطئة

منذ ثمانية عشر عاماً انطلق مهرجان القراءة للجميع على جناح فكرة أن الكتاب هو عماد المعرفة الرئيسي، والثقافة الرفيعة، وأن انكتاب ينفرد عن غيره من أدوات التثقيف ومصادر المعرفة بقدرته على تنمية الفكر وصنع العقول المستتيرة، وتكوين الشخصيات المتميزة، وفتح آفاق الاستتارة أمام الملايين، والإسهام في تشكيل وجدان الأمة، وحفظ تراثها، والوصول إلى رؤى مستقبلية نهضتها.

ولقد حرصت مكتبة الأسرة طوال أعوامها السابقة كرافد رئيسي للمهرجان على تحقيق الهدف النبيل من تأسيسها.. ذلك الهدف الذي تحدد في طرح العبقرية الإبداعية والفكرية والعلمية للمجتمع المصري المعاصر، وفتح نوافذ على الفكر والإبداع العالمي، وإقامة جسور بين الحضارات المختلفة. والتعرف على ثراء التاريخ الفرعوني والإسلامي، وأخيراً تحفيز الأجيال الجديدة على القراءة حتى تصبح عادة، بل ضرورة ملحة تترسخ أهميتها في الأذهان من خلال كتب عظيمة الفائدة، تباع بأسعار رمزية في متناول الملايين.

ولأن وصول الكتاب إلى كل مكان في مصر سيظل حلم السيدة الفاضلة سوزان مبارك، راعية القراءة للجميع. فلقد أعلنت هذا العام مبادرتها الجديدة بإهداء مليون كتاب مجاناً للمجتمع، ولأن مهرجان القراءة للجميع يتخذ شعاراً مستلماً كل عام يتواءم مع الرسالة التي يهدف إلى تحقيقها وتنوعها وتطورها عاماً بعد عام. فإن مكتبة الأسرة تتخذ توجهاً عاماً في اختياراتها للكتب، يستهدف دائماً تحقيق وعي عام متجدد يطور القوى الاجتماعية، ويقوم على

منظومة قيم تتلخص في تعميق دور العلم والتفكير العلمي، وتعزيز الديمقراطية، والتعددية وترسيخ قيمة المواطنة والانتماء والمشاركة والمسئولية، ودور مؤسسات المجتمع المدني، وتأكيد قيمة التسامح وثقافة السلام، وترسيخ قيمة دور المرأة، وقيمة التجدد الثقافي والتفكير النقدي والحوار والتبادل والتواصل المجتمعي والدولي، وإبراز تواصل الإبداع المصري، ونقد تم استحداث قيمة جديدة هذا العام هي تعزيز تجليات الوطن وقضاياها، وذلك لمواجهة متغيرات خرائط الصراع المضاد، الذي يسعى إلى التفتيت بإشغال الفتن والانقسامات التي تحول الانتماء الوطني إلى ولاءات لأعراق وعقائد ومذاهب، وفق تصنيفات قاطعة تعمل على تعبئة الناس وهوليتهم لكي تضعهم في موقف التضاد بعضهم لبعض على سبيل الاستبعاد والاستعداد للنيل من سيادة الدولة الوطنية، وانتهائك دعمها للمواطنة والديمقراطية وانمجتمع المدني ومشروعية التعايش؛ ولذا ستظهر تجليات الوطن وقضاياها وتتجسد في الإبداعات التي ستطرحها مكتبة الأسرة هذا العام.

لقد نهض صرح مكتبة الأسرة على أعمدة المكتبة العربية، وثناء تحفها الإبداعية والفكرية، واكتشاف الأقلام الموهوبة الشابة، فالتف الجميع حوله كواحد من أكبر المشاريع الثقافية في تاريخ مصر الحديث، نأمل دائماً أن يحقق أحلامه العظمى، وأن يساهم مساهمة فعلية في نهضة المجتمع.

مكتبة الأسرة

تقديم

هذه ترجمة لقصائد مختارة من أشعار جلال الدين الرومي، ضمنها ديوانه الكبير المعروف بـ «ديوان شمس تبريز» الذي نظمته تخلصاً لذكرى شيخه وسادته «شمس الدين التبريزي».

يندرج بكثرة وفي أغلب هذه القصائد اسم شمس الدين فحسب، وإنما نلحظ أيضاً وفي إعلاء قدر شمس الدين التبريزي الذي بدأ - في رأي جلال الدين - قطعاً من الأقطاب تدور عليه رحي القلوب التي تهيم بمحبة الله تعالى وتتجذب إليه أرواح السالكين فيقندح فيها زناد الشوق، ويدفع بها قدماً في الطريق إلى الحق. وقد صرح جلال الدين في أغلب قصائد الديوان باسم شمس الدين، وأشاد به وعده «الإنسان الكامل»، الذي تجلت فيه أسمی مظاهر الإنسانية، فهو سلطان دولة العشق، وأمير قافلة الحب الإلهي في عصره.

ونتيجة المد الثقافي في الفترة التي عاش فيها جلال الدين الرومي في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) في وقت كانت الثقافة الإسلامية فيه قد أخذت تتجه اتجاهاً عقلياً محضاً تحت تأثير الفلسفة الإغريقية، وتبتعد عن الروح كمصدر للهداية الإنسانية، بينما أخذ التصوف - من ناحية أخرى - يدعو الناس إلى الاستسلام والخنوع، وإلى ترك الدنيا والعزلة عن الناس.

فقام جلال الدين يدعو الناس من جديد إلى العشق، وإلى طرح الفلسفة جانباً، وإلى الاندماج في حياة عقلية وجدانية كاملة، وكشف عن الأخطاء الفلسفية والكلامية، وبين أن المعارف العقلية ليست كاملة، بل لا بد لها من

العشق، وإلا أصبحت عرضة للفتنة والوقوف في منتصف الطريق، والاكتفاء بالعالم عن خالقه، وبالعقل عن الوحي، ومن أجل ذلك كان هدف جلال الدين أن يخرج الحياة الإنسانية مما أصابها من جمود الوجدان، وموت القلب، وفقدان الحس الروحي. وتدهور القوى المعنوية بسبب الاستغراق في المادة والابتعاد عن مباح الحياة الروحية.

ويبدو جلال الدين من خلال الديوان بخاصة - وكأنه قد نحا نحوًا جديدًا في تاريخ التجربة الروحية، حين جعل العشق قطب الرحي ومركز الدائرة في حياة الإنسان وعلاقته بالحق تعالى من ناحية، وبالعالم من ناحية أخرى، وبالتالي فهو يعلى من قيمة المحبة ويجعلها مهيمنة على ما عداها؛ لأن العلاقة بين الإنسان والحق تعالى قائمة على حب وود، ومن ثم كانت المحبة هي المقدمة على ما عداها وهي العلاج لكل العلل، فالديوان دعوة إلى العشق وإلى الاندماج في موكب الحب الذي يقود الإنسان فيه الكون كله إلى التوجه إلى خالقه وإلى الإخلاص له وابتغاء وجهه وتحقيق الوصال به، ومن ثم يبدو العشق عند جلال الدين وكأنه القوة المحركة للكون كله، تسرى في أجزاء الوجود بأسره.

ومولانا جلال الدين الرومي ولد في السادس من ربيع الأول سنة ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م بمدينة بلخ، التي تعد في ذلك الحين واحدة من أهم مدن إقليم خراسان المترامي الأطراف. وكان أبوه بهاء الدين من كبار علماء عصره، وكان الناس يحتمعون إليه بأعداد غفيرة لحضور درسه، وكان يحظى بينهم بمكانة مرموقة ومحبة ملحوظة، حتى توفي سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م. وكان جلال الدين - حين توفي أبوه - في الرابعة والعشرين من عمره.

ومكتبة الأسرة تقدم ضمن إصداراتها هذا العام هذه المختارات عن طبيعتها الأولى الصادرة عام ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

مقدمة

أقدم للقارئ العربي ترجمة لقصائد مختارة من أشعار جلال الدين الرومي ضمّها ديوانه الكبير المعروف بـ «ديوان شمس تبريزي»، الذي نظمه جلال الدين تخليداً لذكرى شيخه وصاحبه «شمس الدين التبريزي».

ولانتمثل أغلب هذه القصائد على اسم شمس الدين فحسب وإنما لتضمّن أيضاً على إعلاء من قدر هذا الرجل الذي بدأ - في رأي جلال الدين - قطباً من الأقطاب تدور عليه رحى القلوب التي تهيم بحبّة الله تعالى، وتنجذب إليه أرواح السالكين فيقدهح فيها زناد الشوق ويدفع بها قدماً في الطريق إلى الحقّ.

وأبدأ الآن بالتعريف في اختصار بكلّ من جلال الدين الرومي وشمس الدين التبريزي، ثم أعرض للقاء الذي تمّ بينهما والذي أدى إلى التحوّل الكبير الذي ألمّ بحياة جلال الدين وفكره وطرائق تعبيره، وانتقل في النهاية إلى الحديث عن «ديوان شمس تبريزي» وعن هذه القصائد المختارة والتي نقل أغلبها إلى العربية لأول مرة. (١)

(١) أصدر المجلس الأعلى للثقافة في مصر (المشروع القومي للترجمة) ترجمة مختارات من الديوان كان المرحوم الدكتور إبراهيم الدسوقي شتاً قد أعدها للنشر قبل وفاته، ونشرت هذه المختارات في جزئين في سنة ٢٠٠٠م بعنوان «مختارات من ديوان شمس الدين التبريزي»، مولانا جلال الدين الرومي، ولاتسفق مختارات الدكتور شتاً مع هذه القصائد المختارة إلا في عدد قليل لا يزيد عن ست قصائد. ومن ثمّ فإن أغلب هذه القصائد نماح للقارئ العربي مترجمة لأول مرة.

اسمه محمد ، ولُقِّب بجلال الدين ، كما عُرف بالقباب أخرى هي : مولانا ، ومولوى ، والرومى نسبة إلى «آسيا الصغرى» التى كانت تُعرف فى عصره ببلاد الروم . وقد عاش بها منذ كان صبياً يافعاً وظلَّ بها إلى أن وافته المنية وهو فى الثامنة والستين من عمره .

ولد فى السادس من ربيع الأول سنة ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م بمدينة بلخ التى كانت تعدّ فى ذلك الحين واحدة من أهم مدن إقليم خراسان المتراعى الأطراف .

كان أبوه - بهاء الدين محمد ولدُ بن حسين البلخي - من كبار علماء عصره وعُرفائهم ، كان الناس يجتمعون إليه بأعداد غفيرة لحضور درسه ، وكان يحظى بينهم بمكانة مرموقة ومحبة ملحوظة أثارت عليه ثائرة السلطان محمد خوارزمشاه وأوغرت صدره ، فحدثت بينهما جسيمة (١) خشى بهاء الدين بعدها أن يصيبه مكروه من السلطان ، فآثر مغادرة تلك الديار فى سنة ٦١٦هـ / ١٢٢٠م ، ويُمّ وجهه شطر بغداد بصحبه فى رحلته ابنه جلال الدين (الذى كان قد بلغ من العمر ثلاثة عشر

(١) ربما ترجع الجسيمة بين بهاء الدين ولد والسلطان محمد خوارزمشاه إلى المذهب الذى كان يدعو إليه بهاء الدين فى خطبه ومواضعه ، وهو مذهب يعتمد مبدأ الوسطية بين العقل والنقل ويتحوط من مقولات الفلاسفة وعلماء الكلام وبخاصة من يقدمون العقل على النص ولا يقيمون وزناً للتجربة الروحية ، وقد كان السلطان محمد نفسه واقفاً تحت تأثير المتكلم الكبير فخر الدين الرازى الذى كان يقود بنفسه هذا الاتجاه ، وكان - بسبب من ذلك - على خلاف ظاهر مع بهاء الدين ولد .

عاماً) وأفراد أسرته وعدد من خدامه وعلمانه .

لم يبق بهاء الدين في بغداد غير بضعة أيام انطلق بعدها لأداء فريضة الحج ، ثم إنه اتخذ طريقه بعد ذلك إلى دمشق ، وهناك تلقى دعوة سلطان السلاجقة في بلاد الروم «علاء الدين كيقيباد» للإقامة في «قونية» (١) عاصمة ملكه ، فلبى بهاء الدين دعوته وانتقل للإقامة بها .

وقد جاءت هجرة بهاء الدين من بلخ في الوقت الذي ساءت فيه العلاقات بين محمد خوارزمشاه وقائد المغول «جنغيز خان» وبدأت في الأفق نذر حرب طاحنة بين الفريقين ما لبث أن اشتعل أوارها . ثم جاء الإعصار المغولي لكي يقتلع في طريقه الدولة الخوارزمية ، ويدمر مدن الشرق الإسلامي العامرة باخضارة و التقدّم ، وكان من بينها بلخ ، مما جعل بهاء الدين يتخلى عن عزمه على العودة إلى موطنه ويبقى في «قونية» من بلاد الروم ليحظى بحسن وفادة سلطانها الشاب «علاء الدين كيقيباد» ووزيره الهمام «معين الدين پروانه» (٢) .

وظل بهاء الدين ينعم برعاية السلطان والوزير ويمارس عمله في الفُتيا والخطابة والتدريس والوعظ حتى توفي في سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م .

(١) تقع «قونية» في القطاع الجنوبي من الأناضول ، على حافة سلسلة جبال «طوروس» ، وترتبط بمجموعة من الطرق تصلها بالشام والعراق .

(٢) تولى «علاء الدين كيقيباد» سلطنة دولة سلاجقة الروم في الفترة من سنة ٦١٦ - ٦٣٤هـ / ١٢٢٧-١٢٣٧م . أما وزيره «معين الدين پروانه» فقد توفي سنة ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م ، راجع كتاب «أخبار سلاجقة الروم» ترجمه عن الفارسية الدكتور محمد السعيد جمال الدين ، نشر مركز الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر ، الدوحة ، ١٩٩٤ .

كان جلال الدين - حين توفي أبوه - فى الرابعة والعشرين من عمره ، وقد أسند إليه السلطان كيچباد منصب أبيه فى تدريس العلوم الشرعية . ولم يكد يمضى عام أو أقل حتى وفد إلى «قونية» السيد برهان الدين الترمذى ، وكان من أصحاب «بهاء الدين ولد» ، فأفاد منه جلال الدين فائدة كبيرة ، ورغبه السيد فى الاندماج فى الحياة الروحية وسلوك الطريق الصوفى ، وزاد على ذلك أن أمره بالارتحال إلى «حلب» لكى يحضر دروس علمائها الكبار . ثم إن جلال الدين انتقل بعد ذلك إلى «دمشق» وأقام فيها نحو أربع سنوات .

وقد بلغت مدة بقاء جلال الدين فى كل من حلب ودمشق نحو سبع سنوات ، عاد بعدها إلى قونية يحمل معه العديد من الإجازات التى منحها له العلماء الذين حضر دروسهم فى التفسير والحديث والفقه وأصول الدين واللغة والأدب وأصول العقائد والفلسفة وعلم الكلام ، وبدا وكأنه قد استكمل عُدته فى أغلب العلوم العقلية والنقلية ، ووصل فى الفقه - بخاصة - إلى مرتبة الاجتهاد والأهلية للفتيا ، ولهذا وردت ترجمته فى كتب طبقات الحنفية بين الفقهاء والمفتين . (١)

وبعد وفاة السيد الترمذى فى سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م باشر جلال الدين تدريس العلوم الدينية قرابة خمس سنوات . وتذكر بعض الروايات أن عدد الطلاب الذين كانوا يتجمعون لحضور دروسه بانتظام زاد على الأربعمائة . واشتهر ذكره بين الناس ، فأحبه الخاص

(١) انظر بديع الزمان فروزانفر ، مقدمة ديوان شمس تبريزى ، طبع طهران ، ١٣٥١هـ .ش .

والعام ، واشتغل بالوعظ ،^(١) وعُرف عند ذاك بأنه واحد من كبار أئمة المسلمين ، وعماد لشريعة النبي محمد ﷺ .

ومن الواضح أن جلال الدين قد جمع في تلك المرحلة بين شخصية العالم الفقيه وشخصية الشيخ الصوفي ، وكان يختلف إلى دروس فقيهه طلبة العلوم الدينية ، كما كان يفيد من إرشاداته وتوجيهاته القولية والعملية المریدون الذين يسعون إلى كسب المعارف الروحية .

شمس الدين التبريزي

يبدأ التحول الكبير - أو الولادة الجديدة كما يسمونها - لجلال الدين في اللحظة نفسها التي التقى فيها بشمس الدين التبريزي .

ويصف الأستاذ رينولد آين نيكلسون^(٢) في مقدمة ترجمته الإنجليزية لغزارات من ديوان شمس تبريز شمس الدين بأنه «شخصية غامضة تتدثر بلهات أسود خشن ، تضوى لحظة قصيرة على مسرح الحياة ثم تختفي فجأة وفي سرعة فائقة»^(٣) . ثم يصفه نيكلسون في ملحقات ترجمته الإنجليزية لكتاب المثنوى لجلال الدين الرومي بأنه : «كان إلى حد ما أمياً ، ولكنه امتاز بحماس روحي شديد ، مصدره الفكرة التي استولت عليه فجعلته يتخيل أنه مبعوث العناية الإلهية»^(٤)

(١) الأفلاكي ، شمس الدين أحمد : مناقب العارفين ، طبع أنقرة ، سنة ١٩٥٩ ، ١٩٦٦ م ، ٦١٤ : ٢ .

(٢) R.A.Nicholson, Selected Poems from the Diwan - i - Shams- i - Tabriz - Cambridge, 1898, P. 18.

(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٠ . وانظر أيضاً : إدوارد جرا نجيل براون ، تاريخ الأدب في إيران ، الجزء الثاني ، ترجمة الدكتور إبراهيم أمين الشواربي ، طبع مصر ١٩٥٤ ، ص ٦٥٥ - ٦٥٦ .

ومحيى الدين بن عربي . (١)

ويشير إلى أنه لم يستفد من شيخ جلس إليه مثلما أفاد من جلال الدين الرومي ، فهو يحدث جلال الدين في مقالاته قانلاً عن شيخ من شيوخه : « حصلت لي فوائد كثيرة منه (يعنى من شيخه) ، لكنها ليست كما حصلت منك ... » . (٢)

وقد كان شمس شأنه شأن جلال الدين معارضا للفلسفة وأربابها ، ويبدو أن جلال الدين قد ورث كرهه للفلسفة عن أبيه بهاء الدين وشيخه شمس الدين ، بينما ورث قسوته على مشايخ الصوفية عن شمس الدين بخاصة .

ويبدو شمس في كتابه «المقالات» موقفاً بأن الوصول إلى الحقيقة أمر ميسور بالمتابعة والعشق فحسب ؛ يقول : « أقل ما عند المصطفى ﷺ لا أهبه مقابل مائة ألف رسالة للقرشي والقريشي وغيرهما ؛ لا طعم لها ، ولا ذوق » . (٣)

والعلم عند شمس إنما هو وسيلة لا غاية ، ومن ثم فإن العلم يفصح بنفسه عن العجز والقصور الكائن فيه . والفيلسوف عنده حيران ؛ يقول : « الجهات الست نور الله ، والفيلسوف الغر قد بقى فوق سبع سماوات

(١) مقالات ، ص ٢٩٨ ، الشيخ الأكبر ، ولد بالأندلس ثم قصد المشرق فطاف أرجاءه وكانت وفاته بدمشق سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م .

(٢) أيضاً ، ص ٣٥٧ .

(٣) أيضاً ، ص ٢٧٣ .

[حيران] بين الفضاء والخلاء (١) ، يقول الفيلسوف الغير العقول عشرة
وانها تضم كل الممكنات»

«والا ، فمن ينطق بكلام سُقراط وبُقراط وإخوان الصفا واليونان في
حضرة محمد وآل محمد وأبناء روح محمد وقلبه لا أبناء الماء والطين ؟
والله (تعالى) أيضا حاضر» . (٢)

ويُنكر شمس الدين على الفيلسوف أن يتخذ عقله دليلاً ومرشداً ،
يقول : «الفيلسوف يُصبح مُنكراً ، أى أن كل مالا يعرفه عقله ، لا يكون له
وجود» .

ويتهم بالحقق والجهل كل من خلط بين الفلسفة والدين ولم يقبل
حشر الأجساد ، وأخذ يسخر من كل من عدّ الحشر روحانيا فقط ، ولذلك
يعلن سخطه على «عمر الخيام» الذي كان ممن قالوا بأن الحشر روحاني
فحسب .

يقول : «أورد الشيخ إبراهيم (٣) إشكالات على مقولات الخيام عن
كيفية كونه حائراً؟ قلت : أجل ؛ إنه إنما يتحدث واصفاً حاله ، قد كان
حيراناً ، ومن ثم فإنه يتهم الخلق تارة ، ويتهم الزمان تارة ، ويتهم الحظ
تارة ، ويتهم الحق تعالى تارة ، وتارة ينفي وينكر ، وتارة يُثبت ، فإن تحدث
فإنما يأتي بأقوال هي ضربٌ من الوهم الخالك ؛ وما المؤمن بحيران ، إنما
المؤمن من أزاحت الحضرة [له] النقاب ، وكشفت الستار ، فرأى مراده

(١) أيضا ، ص ١٢٠ .

(٢) مقالات ، ص ٢٦ .

(٣) يبدو أنه كان من شيوخ العصر .

بعينه ، فيتعبد عياناً في عيان ، ويدرك لذته بعينه» (١)

ويعلم شمس الدين سخطه على الفخر الرازي ، لأنه أدخل الفلسفة اليونانية عالم الإسلام وكان شديد الكلفة بالفلسفة ، يقول : « لو كان من الجائز إدراك هذه المعاني بالتعلم والبحث ، لكان من الواجب وضع تراب العالم على الرأس ... يقال إن الفخر الرازي قد كتب ألف ورقة في تفسير القرآن ، بل يقال إنها خمسون ومائة ألف ورقة ، والفخر الرازي لا يبلغ أن يكون غباراً في طريق أبي يزيد [البسطامي] (٢) ، وما هو إلا كمثل حلقة على الباب ، ليس على ذلك الباب الخاص ، بل حلقة من حلقات الباب الخارجي ... » (٣)

ولا ريب أن من ثم يطالع الفلسفة اليونانية ويتبحر في دراستها لا يستطيع أن يقدم على الطعن عليها بمثل هذا التبصر والوعي (٤) الذي نشهده من شمس الدين .

ومهما يكن من أمر فقد كان « شمس » يعول على القلب ولا شيء غير القلب في إدراك المعارف الربانية ، وكان يعلى من شأن الإنسان ، يقول : « إن الحق - تعالى - لم يقل : ولقد كرّمنا السماوات ولقد كرّمنا

(١) مقالات ، ص ٣٤٥ .

(٢) هو أبو يزيد ابن طيفور البسطامي ، من أعلام الرعييل الأول من الزهاد ، ذاعت شهرته في النصف الأول من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي .

(٣) مقالات ، ص ٥٥ وما بعدها .

(٤) انظر عبد الباقى كوليبيمارلى ، مولانا جلال الدين : زندگانی : فلسفه ، آثار گزیده ای از آنها ، ترجمه عن التركية إلى الفارسية دكتور توفيق سبحانى ، طبع طهران ١٣٧٦ هـ . ش (١٩٩١ م) ، ص ١١١ ، وقد دلت المؤلف على تبخر شمس في الفلسفة بالعديد من النصوص من كتاب «مقالات» .

العرش (١) . فإن اتجهت إلى العرش لا ينفعك ، وإن اتجهت فوق العرش ، أو تحت الطبقة السابعة من الأرض لا ينفعك ، إن باب القلب هو الذى يجب أن يفتح . ما مس كل الأنبياء والأولياء والأصفياء من ضراء وزلزلوا إلا لهذا ، فمن هذا كانوا يبحثون ، فالعالم كله فى شخص واحد ، إن عرف نفسه ، عرف الكل . (٢)

ويقول وكأنه يتحدث عن نفسه : « إن لله عبادة لا يملك أحد طاقة حزنهم كما لا يملك أحد طاقة سعدهم ، والكأس الذى يملأونه كل مرة ويشجعونه ، كل من يشربه لا يرجع إلى نفسه ، فالآخرون يشربون ويخرجون ، ويبقى هو جالساً على رأس الدن . » (٣)

وهو يشرح ذلك بقوله : « لا أحد يستطيع معى صبراً ، إن ما أفعله لا يتاح له مقلد يقتدى به ، وقد قيل حقاً ، إن هؤلاء قوم لا يجوز لهم اقتداء » (٤) ويقول : « إن كلامى صعب مشكل ، ولو قلته مائة مرة لفهم فى كل مرة بمعنى آخر ، وهذا المعنى يظل مع ذلك بكراً » . (٥)

كان يتزبى بزى التجار تارة ، ، أو يتزبى بزى خاص يتكون من قلنسوة طويلة مصنوعة من اللباد البنى وعباءة سوداء فضفاضة من الصوف الخشن . (٦) ويتحرك من مكان إلى مكان لا يمسكه بلد ولا وطن ، فقد كان

(١) إشارة إلى قوله تعالى : « ولقد كرمتنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ... الآية : (الإسراء ، ٧٠) .

(٢) مقالات ، ص ٢٦٧ .

(٣) أيضاً ٣٥٥ . والدن : وعاء ضخم للخمر ونحوها .

(٤) مقالات ، ص ٣٥٥ .

(٥) نفس المرجع

(٦) وهو الزى نفسه الذى أمر حلال الدين أتباعه بارتدائه بمجرد أن أبقن بأن شمس الدين لن يعود ، وعرف بالزى المولوى .

كثير الأسفار ، ولذلك سُمِّي بـ «شمس الطَّيَّار» (١) . وكان إذا دخل مدينة من المدن أقام في «نُزُل» أو بيت من البيوت التي ينزل بها المسافرون العابرون .

وتذكر بعض الروايات أن شمس الدين كان يتنقَّل من مدينة إلى أخرى ، ويفتتح في بعضها كتاتيب لتعليم الصبيان : وكانوا إذا أعطوه أجراً يمتنع عن أخذه ويطلب تأخيرهُ حتى يتجمع له في النهاية من المال ما يعينه على قضاء دين كبير عليه ، ثم لا يلبث أن يختفى من المدينة دون أن يحصل على ما تجتمع له عند النَّاس من مال .

ويقال إنه مكث أربعة عشر شهراً كاملة في حجرة بإحدى المدارس في «حلب» يشتغل بالرياضة الروحية . (٢)

يقول شمس الدين في مسألة توجهه إلى قونية - المدينة التي كان يقسم بها جلال الدين - «طالما تضرَّعتُ إلى الله تعالى كي يجعلني أختلط بأوليائه وأنعم بصحبتهم ، فرايت في المنام من يقول لى : سنجعلك تصحب أحد الأولياء . قلتُ : حسناً ، وأين أجد ذلك الوليُّ ؟ . وفي الليلة التالية رأيت نفس الرؤيا ، وفي الليلة التالية كذلك ، وقيل لى : هو في بلاد الروم ، وبعد مدة من البحث والطلب لم أعثر عليه ولم أره . قيل : لم يحن الوقت بعد ، فالأمور مرهونة بأوقاتها .

(١) انظر : الأفلاكي : مناقب العارفين ، ١ : ٨٥ .

(٢) انظر ، بديع الزمان فروزان نقر ، مقدمة كليات ديوان شمس تبريزي ، طهران ، سنة

١٣٥١ هـ . ش ، ص ٤٢ .

لقاء القطبين شمس الدين وجلال الدين

وصل شمس الدين إلى «قونية» يوم السبت السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وستمائة (٦٤٢هـ / ١٢٤٤) ، واختار الإقامة ببيت من بيوت المسافرين فيها .

واختلفت أقوال الرواة في كيفية اللقاء الأول بين شمس الدين وجلال الدين الرومي ؛ وربما كانت رواية الأفلاكي في كتابه «مناقب العارفين» هي أصح الروايات وأكثرها قبولاً (١) ؛ يقول :

«ذات يوم غادر مولانا (يعنى جلال الدين) يرافقه جمع من الفضلاء مدرسة «هنيه فروشان» (٢) ، وحين مرّ من أمام نزل «شكر ريزان» (٣) نهض مولانا شمس الدين وسار بضغ خطوات ، ثم أخذ بعنان فرس مولانا [جلال الدين] قائلاً : يا إمام المسلمين، أيهما أعظم أبو يزيد أم محمد؟ قال مولانا [جلال الدين] إن السماوات السبع بدت من هيبة ذلك السؤال وكأنها قد تقالرت أجزاء ثم سقطت على الأرض، وشبّت نار هائلة من باطنى صعدت

(١) هناك روايات أخرى تنطوي على كثير من المبالغة وتضفي على شمس الدين قدرة خارقة ، من تلك الروايات ما ذكره صاحب الجواهر المضيئة من أن جلال الدين كان جالساً يوماً بهيته وحوله الكتب ويحيط به الطلبة فدخل عليه شمس الدين التبريزي وأشار إلى الكتب قائلاً : ما هذا؟ قال جلال الدين : هذا ما لانعرفه ، فما فرغ من هذا اللفظ إلا وال نار تشتعل في البيت والكتب جميعاً . فقال جلال الدين للتبريزي : ما هذا؟ قال : هذا ما لا نعرفه . ثم خرج من عنده فتبعه جلال الدين ... الخ» (محيى الدين عبد القادر ، الجواهر المضيئة ، طبع حيدرآباد الدكن ، الهند ، ١٣٣٢هـ ، ٢ : ١٤٣ وما بعدها) .

(٢) المدرسة التي كان يلقى فيها جلال الدين دروسه .

(٣) النزل الذي كان ينزل به شمس الدين بعد دخوله «قونية» .

إلى رأسى ، ورأيت وكان دخانا أخذ يصعد فى السماء حتى بلغ ساق
 العرش ، أجاب [جلال الدين] : إن محمداً رسول الله أعظم العالمين ، فأين
 منه أبو يزيد؟ قال : شمس ، فما معنى قوله - ﷺ - : « ما عرفناك حق
 معرفتك » وقول أبى يزيد « سبحانى ما أعظم شأنى وأنا سلطان السلاطين » .
 قال مولانا [جلال الدين] : إن أبى يزيد سكن من جرعة واحدة ، وتحدث عن
 سراب ، وامتلاً قدح إدراكه بهذا القدر وحده ، وكان ذلك النور بقدر الكوة
 والنافذة الصغيرة فى بيته .

أما المصطفى - عليه الصلاة والسلام - فكان يُسقى سقاء عظيماً ، له
 ظمأ فى ظمأ ، وكان صدره المبارك قد صار منشرحاً بشرح ، ألم نشرح لك
 صدرك ، وه أرض الله واسعة ، فلا غرو أن تحدث عن الظمأ ، وكانت له فى
 كل يوم زيادة قربى ، فشان المصطفى شأن عظيم لأن أبى يزيد حين وصل إلى
 الحق ، رأى نفسه ملأنا ولم يُزد فى النظر ، أما المصطفى - عليه الصلاة
 والسلام - فكان يرى المزيد كل يوم ، ويمضى قدما فيرى المزيد من أنوار الحق
 وعظمته وقدرته وحكمته يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة ، ومن ثم قال : « ما
 عرفناك حق معرفتك » . فما لبث مولانا شمس الدين أن صاح صيحة
 عظيمة ثم وقع على الأرض . . . (١)

ومنذ ذلك اليوم ، حدث التحول الكبير فى حياة جلال الدين ، فلم
 يفترق عن شمس الدين إلا بعد اضطر شمس إلى الارتحال مغضباً إلى حلب ،
 بعد أن لقى العنت من رفاق جلال الدين ومريديه ، كما سيرد تفصيله فيما
 يلى .

(٤) مناقب العارفين ، ٢ : ٦١٨ .

ومازني جلال الدين منذ ذلك اليوم إلا وهو في صحبة شمس الذي بدا في نظره ممثلاً لنور الله تعالى ، وأنه مبعوث للعناية الإلهية إليه ليهديه إلى نوع من المعرفة اليقينية لم يتح له من قبل . (١)

وقد وصفه جلال الدين في المثنوى بأنه ، شيخ الدين وبحر معاني رب العالمين . الأرض والسماء تبدو أمامه وكأنها قشّة : لو أظهر جماله دون حجاب لما بقى شيء في مكانه ، ولا ينبغي أن نُغفل ذيل ثوبه من أيدينا إن أردنا إدراك الحقيقة . ولو طلع شمس لانعدمت الظلال ، إن النجوم وإن كانت بلا عدد ، فإن قوتها على التجلي أمام الشمس منفردة معدومة :

طُور الضحى لا تستطيع شعاعه فكيف طُور الليل تطمع أن ترى
كذلك وصفه جلال الدين بقوله : «شمس تبريز يعلمك العشق لا العقل» .

لقد أخذت الدهشة والعجب من أهل قونية بعامة ومن أهل الشريعة وأهل الطريقة فيها بخاصة كل ما أخذ حين رأوا كيف فُتن رجل يشار إليه بالبنان في الوعظ والفتوى كجلال الدين برجل مجهول كشمس ، تحيط علامات الاستفهام بأصله ومنشئه .

كانت قد مضت نحو ستة أشهر على اللقاء بين الرجلين ، ترك فيها جلال الدين ما كان قد اعتاده في حياته السابقة ، ولم تبدر منه بادرة تدل على العودة إلى التدريس والفتيا ، بل بدا أنه صار من أهل اخبية الإلهية والجداب وترك كرسى الدرس ولقاء الطلبة ؛ يقول :

(١) تشبیه بعض المصادر اللقاء الذي حدث بين جلال الدين وشمس الدين كاللقاء الذي حدث بين موسى عليه السلام والخضر ، وهو اللقاء الذي تحدّث عنه سورة الكهف في قوله تعالى : ... فوجدا عبداً من عبادنا أتيناہ رحمة من عندنا وعلّمناہ من لدنا علماً . قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علّمت رشداً ... الآيات ، (الكهف ، ٦٦) .

قد كان بيدي على السدّوأم مُصحف ، وفي العشق أمسكتُ بقيشارة
 قد كان في فمي ذُكْرٌ وتهليل وتسيح ، وفيه الآن شعرٌ وبيتان وترنيمة
 يُروى عن « كرا خاتون » زوجة جلال الدين أنه كان - قبل مقدم شمس
 الدين التبريزي إلى قونية - يظل الليالي منذ بدايتها حتى طلوع الفجر
 قائماً تحت مصباح صنّع بطول قامة الرُّجُل يقرأ كتاب « المعارف » لأبيه بهاء
 الدين ولد (١) . وأنه كان يحلو له أن يقرأ ديوان أبي الطيّب المتنبي (٢) :
 ودراوین شعراء الفرس - والصوفیة منهم بخاصة - کسنائی العزنوی
 و فرید الدین العطار .

لكن جلال الدين ما لبث أن ترك ذلك كله بعد أن التقى بشمس ،
 الذى حثّ صاحبه على أن يضرب صفحاً عن كل ما كان يهواه ويجد فيه
 لذّة ومتعة ، بل لم يسمح له - بخاصة - بقراءة كتاب « المعارف » وديوان
 المتنبي (٣) ، فضلاً عن أنه لم يكن يسمح له بلقاء أحد . وكان يجلس
 بمدخل المدرسة - التى كان يلقى فيها جلال الدين دروسه - ويقول لمن
 يرغب فى رؤيته : بأى شئ جئت له به حتى آخذه منك وأقدمه له ؟ وذات
 يوم غضب منه رجل يطلب مقابلة جلال الدين فسأله شمس هذا السؤال
 نفسه ، فقال له الرجل : وما الذى جئت به أنت ؟ قال : «جئت
 بنفسى ، وجعلت رأسى فداء له » (٤)

(١) مناقب العارفين ١ : ١١٩ - ١٢٠ . وقد طُبِع كتاب المعارف فى طهران فى جزءين

بتصحیح الأستاذ بدیع الزمان فروز انفر .

(٢) نفس المرجع ٢ : ٦٢٣ .

(٣) أيضاً .

(٤) أيضاً ، ٢ : ٦٨٣ .

كان شمس يستفز تلامذة جلال الدين ومريديه بأقواله ، ويستشيرهم بطبعة الحاد ؛ فقد تجمع الصوفية ذات يوم في إحدى الخانقاهات (١) ، وأخذ بعضهم بروى حديثاً عن السابقين ، وبعضهم الآخر يلهج بكرامات أحد العارفين ، بينما أخذ شمس ينتقل من ركن إلى ركن لا يقر له قرار ، ثم صاح بهم : « إلى متى تتباهون بقولكم : حدثنا وحدثنا؟ وتمرحون في ميدان الرجال وأنتم تمتطون سُرُجاً بغير خيول ، أما من أحد منكم ينطق بخبر فيه : حدثني عن ربِّي . » (٢)

لم يكن بوسع جلال الدين أن يفعل شيئاً حيال ما كانت تتصف به أعمال صاحبه وأقواله من حدة ظاهرة وشدة بالغة لا تتناسب مع ما اعتاده المريدون من شيوخهم ، ومن توهين لأتباعه ومريديه الذين ثاروا ثورة عارمة على شمس الدين ، فأخذوا يشنعون عليه ويتحرشون به . يقول «سلطان ولد بن جلال الدين» : «عمدوا كلهم إلى التشنيع ، أولئك المريدون الذين كانوا كالقطيع ، فقالوا : لماذا أعرض عنا شيخنا (يعنون به جلال الدين) وأقبل على «شمس»؟ إنما نحن جميعاً معروفون بالأصل وعراقة المختد ، قد كنا في طلب الحق منذ الطفولة عبيداً صادقين لطريقة الشيخ ، وعشاقاً متخلصين . قد رأينا منه من الكرامات ما لم يره أحد ، وسمعنا من الحكم ما لم يسمعه أحد ، نحن كصقور الصيد ؛ كم من فرائس صدناها ثم جعلناها بفارأ تحت قدميه ، قد جعلنا شهرة الشيخ تُطبق الآفاق . أسعدنا أوليائه وفقرنا خصومه وأعداءه»

(١) خانقاه : مكان تجمع الصوفية للذكر .

(٢) مناقب العارفين ، ٢ : ٦٨٣ .

ثم يتحدثون عما فعل شمس الدين بشيخهم قائلين: «فماذا إذن يقول شمس هذا؟ يقول: إنه جعل شيخنا يتخدع به، فإن كنا قد حرّمنا رؤية وجهه، فما ذلك إلا لأنه جعل شيخنا مفتوناً به. إن نسبه مجهول، لا ندري أين ولد، قد عمل عملاً حرم به الناس من مجالس وعظ الشيخ. صار طالعنا الميمون عثراً بقدمه...»

يضيف سلطان ولد قائلاً: «وهكذا صاروا جميعاً متعطّشين لدماء شمس، فكانوا إذا رأوه أمسكوا سيوفهم. وكانوا يسبّونه سباً فاحشاً، ويرمونّه بالسحر والدجل وبتربصون به قائلين: متى يغادر شمس قونية، أو متى يختطفه الموت؟» (١)

وأحس شمس بهذا العداء الشديد، فأثر الابتعاد عن قونية، وذات يوم غاب ولم يُعثر له على أثر. وقد أملى جلال الدين على أحد تلامذته هذا البيان الذي يسجل غيبة شمس الدين: «سافر المولى الأعز الداعي إلى الخير، خلاصة الأرواح، سر المشكاة والزجاجة والمصباح» (٢)، شمس الحق والدين، مخفي نور الله في الأولين والآخرين، أطال الله عمره وثقانا بخير لقاء، يوم الخميس الحادي والعشرين من شهر شوال سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة» (٣)

وهكذا مكث شمس في قونية نحو ستة عشرة شهراً قبل أن يغادرها هارباً من عداء تلاميذ جلال الدين وتشجيعهم عليه.

(١) سلطان ولد: ابتدائه، تحقيق الأستاذ جلال هماني، طهران، ١٣١٥ هـ. ش. ص ٤٠-٤٣

(٢) إشارة إلى ما جاء عن النور الإلهي في سورة النور، آية ٣٥ «انله نور السماوات والأرض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة.. الآية».

(٣) مناقب العارفين ٢: ٦٢٩-٦٣٠.

عودة شمس إلى قونية

على أن رحيل شمس الدين التبريزي ومغادرته قونية لم يأت بالنتيجة التي كان يتوقعها تلامذة جلال الدين وحواريوه ممن ناصبوا شمس الدين المحصومة والعداء ، فلم يرجع جلال الدين إلى ما كان عليه قبل مقدم شمس بل زاد على ذلك أنه أشاح بوجهه عن كل من أصاب شمس بأذى أو كان سببا في رحيله .

وأخذ جلال الدين وهو في قونية يتسمع أخبار شمس كي يعرف أين ذهب . ولم تمض مدة طويلة حتى تلقى من شمس رسالة تبين منها أنه مقيم بالشام ، فأرسل إليه جلال الدين أربع رسائل - أو أربع قصائد (١) - مع ابنه سلطان ولد ، وأمر عشرين من تلاميذه وأتباعه بمرافقته .

ويقال إن جلال نظم عدة قصائد في فترة ترقب عودة شمس الدين إلى قونية ، ومن بين تلك القصائد قصيدتان وردت ترجمتهما في هذا الجزء ، وهما الرقيمتان ٣٨ ، ٨٢ .

واستطاع سلطان ولد إقناع شمس الدين بالعودة ، فغادر الركب الشام متجها إلى قونية ، فلما اقتربوا منها طلب سلطان ولد من أحد المرافقين الإسراع لكي يرفق البشري لجلال الدين ، فخلع عمامته وجبته على البشير ، وحلف الناس على اختلاف طبقاتهم ، يتقدمهم جلال الدين ، لاستقبال شمس . وكان ذلك في أحرَم من سنة ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م .

(١) وردت هذه القصائد كلها في ديوان شمس تبريز ، وقد نقلها الأفلاكي في مناقب العارفين ، ٤ : ٧٠٦ - ٧٠٢ .

شمس الدين الشهيد

وبعد عودة شمس الدين، جاء من كانوا على خلاف معه وأعرّبوا عن أسفهم وقدموا إليه العذر، فشمّلتهم جميعاً بعفوه، وعقدت مجالس السماع التي يُنشد فيها المنشدون الأناشيد التي تثير الشوق والوجد في نفوس الحاضرين، كما أقيمت المآدب كل يوم على شرف جلال الدين وشمس الدين، ولكن لم يمض وقت طويل حتى بدأت حملة جديدة من العداة ضد شمس كانت أشدّ صراوة من الأولى، فأخذ الرجل يشكو إلى سلطان ولد قائلاً: «ألا ترى ما فعلوه، أبريدون إبعادي عن مولانا (يعنى جلال الدين) لم يخلصون بعد ذلك فرحين سعداء؟ سوف أرحل هذه المرة فلا يعرف أحد أين أكون، سوف تمرُّ سنوات لن يجد فيها أحد لى أثرنا، سأختفى وتمرُّ أوقات وأزمان حتى يُقال: إن أحد الأعداء قد قتله». وظل شمس يكرّر هذه الأقوال حتى اختفى فجأة ذات يوم.

ولما جاء جلال الدين إلى المدرسة في صباح اليوم الذي اختفى فيه شمس الدين ولم يجده سارع إلى ابنه "سلطان ولد" وأمره بأن ينهض لتوّه ويجد في البحث عن شيخه وصاحبه.

وقد تعددت الروايات في مسألة غياب شمس الدين، ولكنها تُجمع على أنه قُتل ولم يُعثر على جثمانه، بعد أن تمكن القتل من إخفاء الجثمان بعيداً عن الأنظار للإيهام بأن الرجل قد رحل عن قونية كما فعل من قبل.

ويورد "الأفلاكي" رواية عن زوجة "سلطان ولد" تقول فيها إن شمس الدين بعد أن قُتل شهيداً ألقيت جثته في بئر. وبعد بضع ليالٍ رآه "سلطان ولد" فيما يرى النائم وهو يقول: «إننى نائم في المكان الفلاني»، فجمع سلطان ولد جماعة من أقرب الناس إليه، وأخرجوا جثمان شمس من البئر،

لم واروه الصراب في ركن من أركان فناء المدرسة التي كان جلال الدين يلقي دروسه بها. كل ذلك دون أن يعلم جلال الدين بشئ مما حدث ، وظل على قناعته بأن صاحبه قد رحل للمرة الثانية.

ويحدد الأفلاكي تاريخ مقتل شمس الدين بيوم الخميس الخامس من شعبان سنة ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م.

ونستطيع أن نسبين من الروايات التي ذكرها كل من "سلطان ولد" و"الأفلاكي" أن جلال الدين ظل مدة طويلة موقناً بأن "شمس الدين" قد رحل مرة أخرى إلى الشام ، ولم يصدق الشائعات التي جرت على الألسنة بأن شمساً قد مات :

من قال إن الحى الخالد قد مات ،
من قال إن شمس الأمل قد قضت

اعتلى عدو الشمس السقف

وأغمض عينيه قائلاً : الشمس انطفأت (١)

كان جلال الدين يزود بالمال كل من كان يوالى البحث عن شمس الدين ، وقد روى الأفلاكي أن رجلاً جاء إلى جلال الدين وأخبره أنه رأى شمس الدين ، فخلع جلال الدين عباءته ورداءه وعمامته على الرجل ، فقبل له : إن الرجل يكذب ، فلماذا خلعت عليه ذلك كله ؟ فأجاب : «أعطيته هذا القدر مقابل كذبه ، ولو صدق لكنت قد أعطيته روجي».

لم تحرك جلال الدين بنفسه هذه المرة متوجهاً إلى الشام للبحث عن شمس الدين واصطحب معه جماعة من تلاميذه ، وبقي هناك بضعة أشهر لم يذوق فيها طعم الراحة ، وكان الناس في الشام يعجبون لأمره ويقولون : «من هو

(١) ديوان شمس تبريز ، ص ١٣٨٤ .

شمس الدين هذا الذي يسعى هذا الرجل الفرد كل السعى بحثاً عنه (١) .
وما إن عاد جلال الدين إلى قونية حتى أمر أصحابه بالارتحال من
جديد إلى الشام للبحث عن شمس ، ثم عاد من سفرته الثانية هذه وقد هدأ
خاطره .

بيد أن نفسه مالمبثت أن نازعته للسفر مرة ثالثة إلى الشام ، كما
يقول هو في الديوان :

نحن عُشَّاقُ رُؤوسنا تدور ولعاً بدمشق
قد وهبنا الرُّوحَ وأوثقنا القلبَ حبًّا لدمشق
من الرُّومِ نسعى دفعةً ثالثة صوب الشام
من طُرةٍ فاحمة كالليل ، نحن طُوعَ لدمشق
لو أن سيدنا شمس الحق التبريزي هناك

فنحن إذن عبید لدمشق ، وأى عبید نحن لدمشق (٢)

غير أن زيارة جلال الدين لدمشق للمرة الثالثة لم تتم : ويبدو أنه كان
قد بدأ يسلم منذ ذلك الحين بأن شمس الدين قد مات .

وحين وابت المرأة أصحابه المقربين على سرد واقعة مقتل شمس الدين
أمامه سال دمعته وجررت في لفظه عبارات : القتل ، والبئر ، والدماء ،
وفساة القلوب ... الخ ، ثم إنه جلس لتقبل العزاء في الفقيده (٣) .

(١) ابتدائه ، ص ٥٧ - ٦٠ .

(٢) الديوان ، ص ٥٧٢ .

(٣) الأفلاكي ، ١ : ٨٨ . وقد حيك حول شمس الدين الكثير من الحكايات والأساطير ،
ويعتقد المولوية أن الباب الذي يطل على باحة مقبرة مولانا جلال الدين في قونية ،
ويُفتح جهة القبلة ، سوف يُفتح ذات يوم ، ويدخل منه شمس . ومن ثم يتبين أن شمس
الدين قد تحول إلى المهدي المنتظر عند المولوية ، (عبد الباقي گولپينارلي ، مولانا جلال
الدين ، ص ١٦٨) .

من منهما كان الشيخ ومن كان المرید ؟

سنحاول الآن أن نتبين نوع العلاقة الروحية التي ربطت بين جلال الدين وشمس الدين، هل كانت علاقة بين تلميذ وأستاذه، أو بين مرید وشيخه؟

لقد بدأ التحول الذي طرأ على جلال الدين بعد لقائه بشمس في نظر بعض الدارسين وكأنه نقلة دفعت جلال الدين من حوزة «علوم الشريعة» التي أنفنها وبرع فيها إلى مجال جديد عليه تماماً لم يكن يدرى عن شيئاً، وهو «علوم الحقيثة» التي تلقى دروسها الأولى على يد شمس الدين.

ولا شك أن هذا التفسير يتجاهل كل الحقائق المعروفة من حياة جلال الدين الذي تربي في بيئة تحفل بالحياة الروحية، واستطاع بعد أن أتم تعليمه والنهي من رحلته لطلب العلم ببلاد الشام أن يجمع في نفسه بين شخصية العالم الفقيه وشخصية الشيخ الصوفي - كما أشرنا سلفاً - والتف حولها طلاب العلوم الدينية كما تبعه المریدون من أصحاب الطريق الصوفي، فلا يصح إذن أن يقال إن جلال الدين ما تعرّف على التصوف ولا استشرف بهمة الحياة الروحية إلا بعد أن التقى بشمس الدين التبريزي.

فما طبيعة العلاقة التي ربطت بين هذين القطبين؟ إن الإجابة عن هذا السؤال إنما ترتبط بالمبدأ الأصيل الذي وقف جلال الدين الرومي جهده على بيانه وإعلانه، وهو العشق، الذي يجتمع فيه الشيخ والمرید سواء بسواء ويصبحان رجلاً واحداً بعد أن سلكا طريقاً واحداً واتجها سوياً نحو غاية واحدة، فيصبح الشيخ مریداً والمرید شيخاً، أو يصبحان شخصاً واحداً بعد أن توحدت فيهما الإرادة والغاية.

وقد عبّر شمس الدين التبريزي في كتابه «المقالات» عن هذا المعنى نفسه حين عدّ جلال الدين شيخاً له، وصرّح بأنه حصل منه من القوائد ما لم يحصل من شيوخه الأقدمين. (١)

وقد عبّر جلال الدين - في قصائده التي بين أيدينا - عن هذه الوحدة التي تجمع بين أحبّاء الحق تعالى شيوخاً كانوا أو مرّيين، سواسية لا فرق بينهم، انظر مثلاً القصيدة رقم ٢٠، والتي مطلعها :

بِشْفَتِهِ مَا أَحْلَى الْكَلَامَ وَالسَّمَاعَ وَمَا جَرَى
سَيِّمًا حِينَ يَفْتَحُ الْبَابَ وَيَهْتَفُ : سَيِّدِي هَلُمَّ، أَقْبِلْ عَلَيْنَا
ويقول فيها :

فَاعْلَمْ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنْ تُقْبَ إِبْرَةَ الْهُوسِ بِأَلْبَعِ الضُّيْقِ
لَا يَسْمَحُ بِوُجُوحِ الْخَيْطِ حِينَ يَبْدُو مُزْدَوَجًا.

وقوله في قصيدة أخرى (رقم ٦٩) عن شمس الدين التبريزي :

من جهة تبريز أضاءت شمس الحق، فهتفتُ بها :
« نورك بالكلّ متصل ، ومنفصل أيضاً » .

ويقول جلال الدين في «المدح» :

بهاء رحيل وطسرف بساب رفيق قال له الرفيق : من أنت يا معتمد

قال : أنا ، قال : الذهب ، ليس الآن لا مكان لمن لم ينضج على مثل هذا الخوان

ذهب المسكين وأمضى سنة في سفر احترق لفراق صاحبه بالنار والشر

(١) راجع ماسبق ، ص ١٢ ، ويقول شمس الدين في «المقالات» : « وأنا نفسي مذ خرجت من بلدي لم أر شيخاً . ومولانا (يعني جلال الدين) هو من ينبغي اتخاذه شيخاً » (كتاب المقالات ، نسخة قونية ، نقلاً عن كورينار لي ، ص ١٧٥) .

نضح ذلك المحترق ثم عباد وطاف من جديد بيست الرفيق
صاح رفيقه: من بالسباب؟ قال: "على السباب أنت أيها الحبيب"
قال: أنت الآن مثلي، فتعال الآن وادخل فلا موضع لائنين بقصر واحد
وكان جلال الدين، بعد أن طالت غيبة شمس الدين في المرة الثانية
ولم يُعثر له على أثر قد رأى في أحد تلاميذه المقربين - وهو صلاح الدين
(زكوب - صورة لشمس، فأقبل على صلاح الدين يمثل ما كان يُقبل على
شمس، ونعم بصحبته مُدة حتى توفي صلاح الدين في سنة ٦٦٢هـ/
١٢٦٤م. ثم إن جلال الدين اختار صاحباً آخر هو حسام الدين چلبى رأى
فيه البديل الصالح لشمس الدين، فظل بذلك مصدر الإلهام والحببة يتجدد
في قلب جلال الدين، ومثلما ألهمه شمس الدين أغلب قصائده في ديوان
"شمس تبريز" ألهمه كل من صلاح الدين وحسام الدين ديوانه الآخر:
"المنوى".

لقد ذكر جلال الدين أصحابه الثلاثة في بعض قصائد "ديوان شمس
تبريز"، ووصفهم بأنهم روح واحدة وإن تعددت أشخاصهم واختلفت
أبدانهم، وأنهم مثل جمال واحد ظهر في مرآيا عدة.

ومهما يكن من أمر، فإن شمس تبريز قد أطلع جلال الدين على
جانب من مباحج الحياة الروحية لم يكن يدري عنه شيئاً، ولم يتركه شمس
إلا بعد أن اطمأن إلى أنه يمضي وحده قُدماً في الطريق الصحيح الذي يسير
هو نفسه فيه والذي يسير عليه الأولياء والعرفاء في موكب واحد في
الطريق السبيل للأجيب إلى الحق تعالى.

وجاءت غيبة شمس الثانية في وقت كانت طريقة جلال الدين قد تحدت معالمها واستبان ملامحها ؛ فقد انفتح أمامه باب عالم آخر من المعرفة والذوق ، وتفجرت في نفسه ينابيع الشعر الذي وجدته أصلح وسيلة لتعبير الإنسان عن حبه لله تعالى ، وأقرب طريق لدعوة الناس إلى هذا الحب .

يقول سلطان ولد في "ولد نامه" ، عن تغير حال أبيه جلال الدين وتحولته إلى قول الشعر بعد لقاء شمس الدين :

صار الشيخ المفتى بسبب العشق شاعراً ،
بعد أن كان زاهداً صار خمّاراً
لا بخمر يخرج من عنب وكرم ،
فالروح النورانية لا تسقى إلا بخمر النور

الإنتاج الأدبي لجلال الدين

لم يُعرف لجلال الدين الرومي أي إنتاج أدبي قبل لقائه بشمس الدين التبريزي ؛ كان جلال الدين قد بلغ الثامنة والثلاثين من عمره عندما التقى بشمس ، ومنذ ذلك الحين لفجر ينبوع الشعر في نفسه وتدفق على لسانه فأخرج إلين من أهم الآثار الخالدة لا في الشعر الفارسي فحسب بل في الآداب العالمية كلها ، وهما :

١- ديوان شمس تبريز ، أو الديوان الكبير ، وسنخصه بشئ من التفصيل فيما بعد .

٢- المثنوى، في ستة أجزاء (١) ، وقد نظمه جلال الدين الرومي في صرب من ضروب الشعر الفارسي يُطلق عليه نفس الاسم : مثنوى . وفيه تكون القافية واحدة بين شطري البيت الواحد وتتغير بعد ذلك بتغيير الأبيات ، وجعله جلال الدين على وزن الرُّمل . وقد نال المثنوى شهرة كبيرة في الآداب العالمية ، فضلاً عما يتمتع به من قداسة بين المسلمين ، لاشتماله على خلاصة الفكر الإسلامي - كما يراه جلال الدين - في مسائل الشرع والفلسف ، والقضايا الكلامية والفلسفية ، والآداب والرسوم الأخلاقية والاجتماعية ، وعقائد الصوفية وتجاربهم ، واستغرق نظم المثنوى بأجزائه السفة نحو عشر سنوات (٦٦٢-٦٧٢هـ / ١٢٦٣-١٢٧٣م) .

أما أعمال جلال الدين النثرية ، فهي :

١- كتاب فيه ما فيه : ويشتمل على تقريرات قام بتسجيلها سلطان ولد بمساعدة أحد مريدي جلال الدين ، وتأتي هذه التقريرات تارة كإجابة عن سؤال وتارة كخطاب لشخص معين . ويمكن الاستعانة بها في فهم بعض أشعار جلال الدين وبخاصة المثنوى .

٢- مكاتيب ، وهي ما بقى من رسائل جلال الدين أرسلها إلى بعض الصعابه ومريديه .

٣- مجالس سبعة : وهي خطب جلال الدين التي خطبها على المنبر .

(١) ترجم المرحوم الدكتور محمد عبدالسلام كفا في الجزءين الأولين من المثنوى إلى اللغة العربية وأكمل ترجمته بقية الأجزاء السنة المرحوم الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا .

ديوان شمس تبريز

المقصود بديوان شمس تبريز مجموعة الأشعار التي نظمها جلال الدين الرومي تخليداً لذكرى صاحبه شمس الدين التبريزي ، وقد صرح جلال الدين في أغلب قصائد الديوان باسم شمس الدين وأشاد به وعده "الإنسان الكامل" ، قد تجلت فيه أسمى مظاهر الإنسانية ، فهو سلطان دولة العشق ، وأمير قافلة الحب الإلهي في عصره .

يشتمل الديوان على اثنين وأربعين ألف بيت من الشعر (٤٢٠٠٠) ، ضمّتها ثلاث آلاف وخمسمائة واثنان وحدة (٣٥٠٢) ما بين غزليات وقصائد ومقطعات وترجيعات ، وقد أضيفت إلى الديوان في طبعته الأخيرة (التي توفّر على تحقيقها الأستاذ بديع الزمان فروزانفر ، وصدرت عن دار أمير كبير ، للنشر في طهران سنة ١٣٣٦ هـ . ش / ١٩٥٧ م) أضيفت مجموعة الرباعيات التي تبلغ ألفاً وتسعمائة وخمس وتسعين رباعية (١٩٩٥) .

وهذا يعني أن كل ما نظمه جلال الدين من ضروب الشعر غير ضرب المثنوي ، كالغزل والقصيدة والرباعي وغيرها ، قد ضمّها هذا الديوان الذي أطلق عليه في طبعته الأخيرة التي أشرنا إليها اسم «كليات ديوان شمس تبريزي» ، واشتمل على ألف وخمسمائة وسبعين صفحة (١٥٧٠) من القطع الكبير ، ضمّت كل الأشعار التي نظمها جلال الدين خارج كتابه «المثنوي» في أنواع الشعر التي ذكرناها - أعنى الغزل والقصيدة وغيرها - في الفترة من سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م تاريخ لقائه بشمس التبريزي وحتى سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م ، وهي السنة التي توفّي

فيها جلال الدين .

والأشعار التي قيلت في شمس أنثى جانب منها في حياته والجانب الآخر بعد مقتله .

الشعر في الديوان

وقد أدرجت القصائد والمقطعات التي نظمها الشاعر بالفارسية ، وكذلك التي نظمها بالعربية ، ضمن الغزليات . وشكلت القسم الأعظم من الكليات (٦٥ ، ٣٣٠ وحدة) ، وبلغ عدد ما نظمه الشاعر في ضرب الغزل وعده ثلاث آلاف ومائتين وتسع وعشرين غزلية .

والغزل في الأدب الفارسي ضرب مستقل من ضروب الشعر يختلف عن القصيدة التي تشبه في شكلها وموضوعها القصيدة العربية ، لكن الغزل عبارة عن منظومة قصيرة قائمة بذاتها تتكون من خمسة أبيات إلى خمسة عشر بيتا ، وقد تزيد على ذلك في بعض الأحيان حتى وصل بعض شعراء الفرس - ومن بينهم جلال الدين الرومي - بعدد أبيات بعضها إلى ثلاثين بيتاً . وينتهي الغزل عادة بأن يذكر الشاعر لقبه الشعري ، أو ما يُسمى في الفارسية بـ «التخلص» .

أما موضوع الغزل في الأدب الفارسي فهو العشق ، والحب الذي يسمو بروح الإنسان ويحرك أشواقه للحبيب . ومن أجل ذلك تتسم الألفاظ في الغزل بالعدوية والرفقة والبعد عن الألفاظ النابية والعبارات الواهية ، ويبنى الغزل على الأوزان الشعرية التي تحلو موسيقاها إلى الأسماع وتالفها

القلوب والطباع، وترتاح النفوس إلى ما فيها من نعمات ونبرات وتنفعل بما
في وقعها من أصوات وأنات .

ولا يُشترط في الغزل أن يعالج موضوعاً واحداً، وإنما الشاعر فيه على
سجيته، يعبر عن تجربته الشعرية بصورة فنية دون قيد موضوعي؛ ولذلك
حُبب نظم الغزل إلى كبار شعراء الفرس، كحافظ الشيرازي، وسعدى
الشيرازي وفريد الدين العطار مثلما حُبب نظم هذا الضرب من ضرور
الشعر إلى جلال الدين الرومي.

فالشاعر الصوفي يعيش في جو طليق رُفّاف يعبر بالشعر عن تجربته
وإن بدا مثل «درويش» يعثر الكلمات والإيماءات والإشارات دون أن تكون
بينها رابطة ظاهرة تربط بينها، وإنما يربطها في الباطن يقين هذا الدرويش
بأن الأشياء «من الدرة إلى الحجر» مهما تبعثرت وتناثرت فإنما تربطها وحدة
واحدة وتمضى نحو غاية واحدة، وتتراءى هذه الرابطة كأنها حقيقة
محتجبة وراء أبيات الغزل .

ومع ذلك فإننا إذا قارنا بين الغزل عند جلال الدين الرومي والغزل
عند سعدى الشيرازي والعطار، مثلاً، نشعر بمزيد من الوحدة والترابط
الظاهر بين الأبيات، وربما كان ذلك يرجع إلى مفهوم جلال الدين لدور
الشعر باعتباره تجربة - وإن كانت تشتمل على عناصر عديدة لغوية
وموسيقية وتصويرية - تمثل وحدة تشي بطبيعة هذه التجربة . وسوف
نلاحظ أن هذه المجموعة المترجمة من الغزليات (أو ما سميت قصائد) إنما
هي نماذج باهرة ومعبرة تسجل لحظات من حياة الشاعر وتجاربه الروحية .

عاش جلال الدين الرومي في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) في وقت كانت الثقافة الإسلامية فيه قد أخذت تتجه اتجاهها عقلياً محضاً تحت تأثير الفلسفة الإغريقية، وتبتعد عن الروح كمصدر للهداية الإنسانية، بينما أخذ التصوف - من ناحية أخرى - يدعو الناس إلى الاستسلام والخنوع، وإلى ترك الدنيا والعزلة عن الناس .

فقام جلال الدين يدعو الناس من جديد إلى العشق ، وإلى طرح الفلسفة جانباً ، وإلى الاندماج في حياة عقلية وجدانية كاملة، وكشف عن الأخطاء الفلسفية والكلامية ، وبين أن المعارف العقلية ليست كاملة بل لابد لها من العشق، وإلا أصبحت عرضة للفتنة والوقوف في منتصف الطريق والاكتفاء بالعالم عن خالقه وبالعقل عن الوحي ؛ إنما لابد للمعرفة والعلم من الإيمان الذي حدّد النبوة سبيله وأوضحت معالمه .

فمن أجل ذلك كان هدف جلال الدين أن يُخرج الحياة الإنسانية مما أصابها من جمود الوجدان وموت القلب وفقدان الخس الروحي وتدهور القوى المعنوية بسبب الاستغراق في المادة والابتعاد عن مباحث الحياة الروحية ، وكان يدرك أن هذا الهدف لن يتحقق - كما يقول هو في المثنوي - إلا بتبديل المزاج : «يُشترط تبديل المزاج ، واعلم أن المزاج السيئ موت زوام ، لكن هذا التبديل لا يتم إلا على أيدي الأطباء الربانيين ورجال الحق ، الذين اختصهم الحق - تعالى - بخصائص يبدلون بها السيئة حسنة ، والمرارة حلوة ، والجذب نماءً واخضراراً .

ولا بُدَّ من حُداء متواصل يصدر من قلب صادق، وطُرقٍ مُستمر على أبواب القلوب حتى تفتح مغاليقها، ويُسَقَّل صدورها، فتصبح كالمرآة الصافية، قابلة لانعكاس البروق والفيوضات الإلهية عليها، فتنعش بالحب وتحيا بالأمل.

ويبدو جلال الدين - من خلال الديوان بخاصة - وكأنه قد نحا نحواً جديداً في تاريخ التجربة الروحية حين جعل العشق قُطبَ الرُحى ومركز الدائرة في حياة الإنسان وعلاقته بالحق تعالى من ناحية، وبالعالم من ناحية أخرى.

لقد بُنى التصوف منذ بدايته في أوائل القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي على الزهد، ورفع شعار "الخوف من الجليل" كواحد من أهم شعاراته، وكان أهم من حرص على التذكير بقيمة هذا الشعار حجة الإسلام «أبو حامد محمد الغزالي» (ت ٥٠٥هـ / ١١١١م)، ومن يقرأ كتابه «أحياء علوم الدين» لتعلمه الرهبة وتستبد به مشاعر الخوف من الحق تعالى، وسيطر عليه الإحساس بالعجز والتسليم المطلق أمام القادر الجليل.

ويعترف جلال الدين الرومي بالتأثير الإيجابي للزهد والخوف في النفس الإنسانية، لكنه يُعلی من قيمة المحبة، ويجعلها مهيمنة على ماعداها؛ لأن العلاقة بين الإنسان والحق تعالى قائمة على حب وود، كما ورد في القرآن الكريم: «يحبُّهم ويحبُّونه...» ومن ثم كانت المحبة هي المقدمة على ما عداها، وهي العلاج لكل العلل، والوسيلة المثلى للوصول إلى المقصود.

ويتردد هذا المعنى كثيراً في المثنوى، ولكن الديوان يكاد يكون وقفاً على بيان خصائص اغبة وآثارها، فموضوعه الأساسي - كما سيرد فيما يلي - هو، الحب الإلهي، وما يعترى نفس المحب من مشاعر الشوق واللهفة والألم والأمل، وهي تسعى حثيثاً إلى أن تحظى ببارقة تنبئ بلحظات الأُنس والقرب الخاطفة التي قد تأتي وقد لا تأتي .

وتلقى هذه اغبة قبولاً وترحيباً من الحق - تعالى - تتجلى في رحمته بالعاشق وإقباله عليه ورأفته به وتأثره - جل وعلا - بحرقه الدعاء والابتهال الصادر من قلبه، ومظاهر هذه الاستجابة كثيرة متعددة في هذه المحاورات من أشعار الديوان .

فالديوان دعوة إلى العشق، وإلى الاندماج في موكب الحب الذي يقود الإنسان فيه الكون كله إلى التوجه إلى خالقه وإلى الإخلاص له وابتغاء وجهه وتحقيق الوصال به، ومن ثم يبدو العشق عند جلال الدين وكأنه القوة المحركة للكون كله، تسرى في أجزاء الوجود بأسره .

ومن أهم المحاور وأكثرها دوراً في غزليات الديوان موضوع: الوطن الأصلي للإنسان، فالإنسان ليس ابن هذه الأرض، إنما هو ينتمي إلى أصل عاوى لا يد أن يشعر بالشوق إلى العودة إليه. وإدراك الإنسان لنبل عنصره واستعداده الروحاني الهائل أمر مهم ولازم لأنه يمثل الشرارة الأولى لانطلاق السالك بدفعه الشوق وإخلاص القصد إلى السير في طريق الحق، والطريق محفوظ بالخطير مليء بالعقبات، لكن هذا الإدراك كفيلاً بتذليل العقبات وتيسير الصعاب، فضلاً عن أنه يجعل الإنسان جديراً بنيل العون من الحق - تعالى - على المضي قدماً في الطريق .

والإنسان حرّاً مُخَيَّرَ ، قد اجتاز المراحل من حدّ التراب إلى الإنسانية ،
مرحلة في إثر مرحلة ، والموت ليس إلا لحظة خاطفة ينتقل بها الإنسان إلى
مرحلة أُسمى من هذه الحياة الدنيا ،
يقول جلال الدين :

« من حدّ التراب إلى البشرية آلاف من المنازل عديدة ، دَفَعْتُ بِكَ مِنْ
مرحلة إلى مرحلة ، ولن أدعَكَ بأول الطريق أو أتخلى . » (١)
كما يقول في «المثنوى» متحدثاً باسم «الإنسان» :
« عِشْتُ نَحْتِ الثَّرَى فِي عَوَالِمٍ مِنْ تَبَرٍ وَحَجَرٍ ،
ثم ابتسمتُ في ثغور زهراتٍ عديدة الألوان ،
ثم جُبتُ مع الوحش والحيوان المتنقّل فوق ظهر البسيطة ، وعلى متن
الهواء وفي مناطق الخيط ،

وفي ميلادٍ جديد غطستُ في الماء وحلقتُ في الهواء ، وحبوتُ على
بطني وهدوتُ على قدمي ، وتشكّل سرُّ وجودي كله في صورة أظهرت كل
ذلك للعيان ، فإذا أنا إنسان .

ثم أصبح هدفي أن أكون في صورة ملاك في ملكوت وراء السحاب ،
وراء السماء ، حيث لا يمكن لأحد أن يتبدّل أو يموت : ثم أعدو بعيداً ، وراء
حدود الليل والنهار والحياة والموت ... الخ . » (٢)

(١) القصيدة رقم ٥٠ ، ص ١٥٣ فيما يلي .

(٢) من ترجمة Thadani للمثنوى ، نقلاً عن كتاب تجديد التفكير الديني في الإسلام ،
محمد إقبال ، الترجمة العربية لعباس محمود ، طبع دار الهداية ، مصر ، سنة ٢٠٠٠م ،
ص ٢٢٠ .

كل هذه المعاني وغيرها تجد نماذج منها في هذه المختارات، وهي تبين عن مدى ما يضطرم به قلب العاشق من شوق وإقدام؛ مما يعطى الشعر حركة وانفعالاً وقدرة لانظير لها على التأثير والأخذ بمجامع القلوب، وعلى إشاعة روح التفاؤل والاستبشار في النفوس.

وتتميز أشعار الديوان بموسيقاها الجميلة، التي تُعبر عن مدى حب جلال الدين للموسيقى، بل وبراعته التي كان يشتهر بها - كما يقولون - في الضرب على بعض آلاتها كالربابة.

ويرجع حب جلال الدين للموسيقى إلى ما ذكره هو في "المنشوى" (١) من أن آدم - عليه السلام - قد سمع الموسيقى والأخان في الجنة وتأثر بها فعلق قلبها بقلبه ذريته، فأصبحت هذه الأنغام العذبة والأخان الجميلة تذكّر الإنسان بالجنة وتثير عنده الحنين إلى العودة إلى أصله السماوي.

وقد انعكس حب جلال الدين للموسيقى في الديوان - بخاصة، حيث استخدم خمسا وخمسين بحراً مختلفاً من بحور الشعر، وهو تنوع في الموسيقى لم يفتح لشاعر آخر سواه، بل إن الأوزان المهملة التي كانت تترجم في شعر القدماء ثم أهملت... استطاع الشاعر أن ينظم فيها جميعاً حتى أصبحت تنافس الأوزان المألوفة في رقتها وعذوبتها. وقد جاء هذا الموسع في الأوزان عند الشاعر كنتيجة طبيعية لحبه للموسيقى وشغفه بها. (٢)

(١) انظر قصة إبراهيم بن أدهم، الجزء الرابع من المنشوى.

(٢) تاريخ الزمان لفرزانه، شعر مولوى، مقال نشر في "بنا دنامه مولوى"، ص ٢٥٢.

كذلك استخدم جلال الدين «الموسيقى الجانبية» (١) كالقافية والرديف (٢)، وما فى حكمهما من قبيل التكرار والترجيع . أما «الموسيقى الداخلية» فقلما تخلو منها غزلية من الغزليات ، وهى تتجلى فى التناسب الذى يقع بين مقاطع الشطر الواحد ، وفى تقفيتها ؛ للتعبير عن مشاعر الشوق واللهفة المتدافعة المتلاحقة التى تدفع بالقلب دفعا خارج العالم المادى ، ليمضى قداماً بهجة الموسيقى ونشوتها وما يصاحبها من انفعال وثأب خارج حدود الزمان والمكان .

والشاعر يستخدم "الرمز" والإيحاء ويوظف الطبيعة وما فيها من مظاهر الجمال والجلال فى تعميق المعنى وإضفاء أبعاد جديدة عليه ، واستدراج الذهن لنقله من المادى إلى المعنوى ، ومن السكون إلى الحركة والحياة .

وهو يتخذ من الزهور البهيجة رموزاً ملفته ، فالترجس رمز للعين ، والترجس المغمور رمز لعين الإنسان التى ثملت بخمر المعرفة الإلهية فأعرضت عن ما سوى الحق - تعالى ، لكن هذا الإعراض ليس كاملاً لكى يشهد السالك - إن لم يتيسر له وهو فى هذا الحال معاينة بروق الوصال - جانباً من صفات الحق وقد انعكست على مظاهر الكون أمامه ، ومن ثم بدت هذه العين كالترجسة حين تغمض عينها نصف إغماضة .

(١) انظر محمد رضا شفيعى كذكتى، "غزيده، غزليات شمس"، طبع طهران، ١٣٨١هـ.ش (٢٠٠٢م)، المقدمة، ص بيست و سه (٢٣)، وما بعدها .
(٢) الرديف فى الفارسية كلمة أو أكثر تلى القافية الأصلية وتكرر فى كل الشطرات أو الأبيات .

والسُّوسن رمز للسُّكون والصَّمْت وإن كان ذا لسان ، فهو من هذه الناحية يشبه الشَّاعر نفسه حين يلتزم السُّكون والصَّمْت لأنه لا يقدر بأدواته البشريَّة المتاححة أمامه من لغة وبيان أن يعبرَ تعبيراً صحيحاً عن التجربة . والبنفسج رمز لمن يضع رأسه في جيب رداءه حزناً وقرناً . فهذه الزُّهور تشبه الإنسان وتعبر عنه في مختلف أحواله ومشاعره . ولما كان الشاعر يخاطب صاحبه وشيخه الجليل «شمس الدين» الذي رأى فيه «الإنسان الكامل» - كما أسلفنا - ويخاطب أحياناً الحق تعالى ، فقد استخدم الشاعر من الألفاظ والتراكيب والأوزان والقوافي والموسيقى عناصر بالغة العظمة والرُّوعة لبناء صورته وبيان معانيه وأخيلته . وضمَّن أشعاره شواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف والسيرة النبوية وقصص الأنبياء والزُّهاد والصوفية وغيرهم . فبدت كلُّ غزلية من الغزليات وكأنها أنشودة واحدة ، أنشودة العشق واخبة ، وهو عشق يسمو بالإنسان محلّقاً به خارج إطار الزمان والمكان ، عشق مقصده الحقُّ تعالى ، ومصدره الكون بأسره ، والإنسان بأحاسيسه ومشاعره .

هذه الترجمة

هي ترجمة منشورة لمائة غزلية وغزلية واحدة (١٠١) من ديوان شمس تبريز ، نقلتها إلى العربية اعتماداً على المجموعة التي اختارها من الديوان الدكتور محمد رضا شفيعى كدكنى ، الأستاذ الجامعى والشاعر الإيراني المرموق ، ونشرها فى طهران لأول مرة سنة ١٣٤٢هـ.ش / ١٩٦٤م ، وقد طبعت هذه المجموعة بضع طبعات اعتمدت منها على الطبعة الخامسة التي صدرت سنة ١٣٨١هـ.ش / ٢٠٠٢م .

وتشتمل مجموعة الدكتور كدكنى على ٤٦٦ غزلاً ، اختارها من بين ٣٢٢٩ غزلاً ضمَّها الديوان الكبير ، واستبعد من بعضها أبياتا وجدها لا تنطبق انطباقاً كاملاً - فى رأيه - مع معايير علم الجمال أو النقد الأدبى أو ذوق عامة القراء ، فجاءت الغزليات الطويلة - والتي يبلغ عدد أبياتها ثلاثين بيتاً - فى بضع عشرة بيتاً فى مختاراته .

واشترط كدكنى فى الغزليات التي اختارها أن : تتميز من حيث الترابط العاطفى والمجال الشعورى بمزيد من التالىق والإبهار . وأن تتبلور فيها وحدة الموسيقى والنغمات ، وأن تحظى - من ناحية اللغة والألفاظ الشعرية بمزيد من التناسق ، وأن تكون معبّرة عن الخصائص التي يتميز بها جلال الدين الرومى فيما يتصل بالتجديد فى الشكل والقالب ، وأن تتميز فيها طرائق التصوير بالإبداع والرّوعة . فما كان من غزليات الديوان قد استوفى بعض هذه الشروط جعلها ضمن مختاراته .

وحين أمعت النظر فى مختارات كدكنى وجدت أن بالإمكان الاكتفاء منها بترجمة نحو مائتين وخمسين غزلية ، تشتمل فى مجملها على الخصائص الفنية والمعنوية العامة للديوان ، فضلاً عن تميّزها بالسهولة والبعد عن الغموض والإغراق فى المعانى الصوفية الدقيقة وقربها من ذوق القارئ العربى .

ويشتمل هذا الجزء على ترجمة للمختارات المقفّاة فى أصولها الفارسية بقافية الألف والباء والتاء وبعض الدال ، وسوف أحاول فى الجزء الثانى أن أستوفى بقيّتها بعون الله تعالى .

وكان الهدف الذى سعيتُ إليه منذ الوهلة الأولى أن أقدم للقارئ العربى ترجمة تتسم بالدقّة الكاملة التي تلتزم النص ولا تحيد عنه ، فعمدت إلى ترجمة هذه الأشعار ترجمة نشرية لا تنقيد بقيد من القيود الفنية ،

لكنني حاولت قدر الإمكان - في الوقت نفسه - الحفاظ على شيء من جمال الشعر وروائه فاستخدمت لغة الشعر وألفاظه، وأبقيت - في بعض الأحيان - على الموسيقى الداخلية للنص الفارسي، وعلى السجع والقافية، حتى يتأذى المعنى إلى القارئ بأدوات الشعر ووسائله دون إخلال بالمعنى الذي أرادته الشاعر .

وزوّدتُ التّرجمة ببعض الشُّروح في هوامش الصفحات، استعنت في جانب منها بما كتبه الدكتور كدكني من تعليقات وشروح لمختاراته، وبآراء عدد من كبار الأساتذة الإيرانيين الذين تخصصوا في دراسة أعمال جلال الدين الرومي كالأستاذ بديع الزّمان فروزانفر والأستاذ جلال الدين همالي وغيرهما . كما استعنت أيضاً بما تيسر لي من فهم لهذه الأشعار - بعد طول معايشة - لأفكار الشاعر والفيلسوف الإسلامي محمد إقبال (١٨٧٧-١٩٣٨م)، والذي يعدّ أنجب تلامذة جلال الدين الرومي في العصر الحديث وأكثرهم تأثراً بآرائه وتجاربه وتعاليمه .

وكان المفترض أن يكون عنوان هذا الكتاب : «غزليات مختارة من ديوان شمس تبريز»، غير أنني رأيتُ درءاً للالتباس اختيار كلمة «قصائد» بدلاً من «غزليات»، لقرب مصطلح «القصيدة» من ذوق القارئ العربي، ومن ثمّ دلالتها على ما تتضمنه هذه الأشعار من معانٍ تبعدها عن معنى «الغزل» في الأدب العربي .

والله من وراء القصد

محمد السعيد جمال الدين

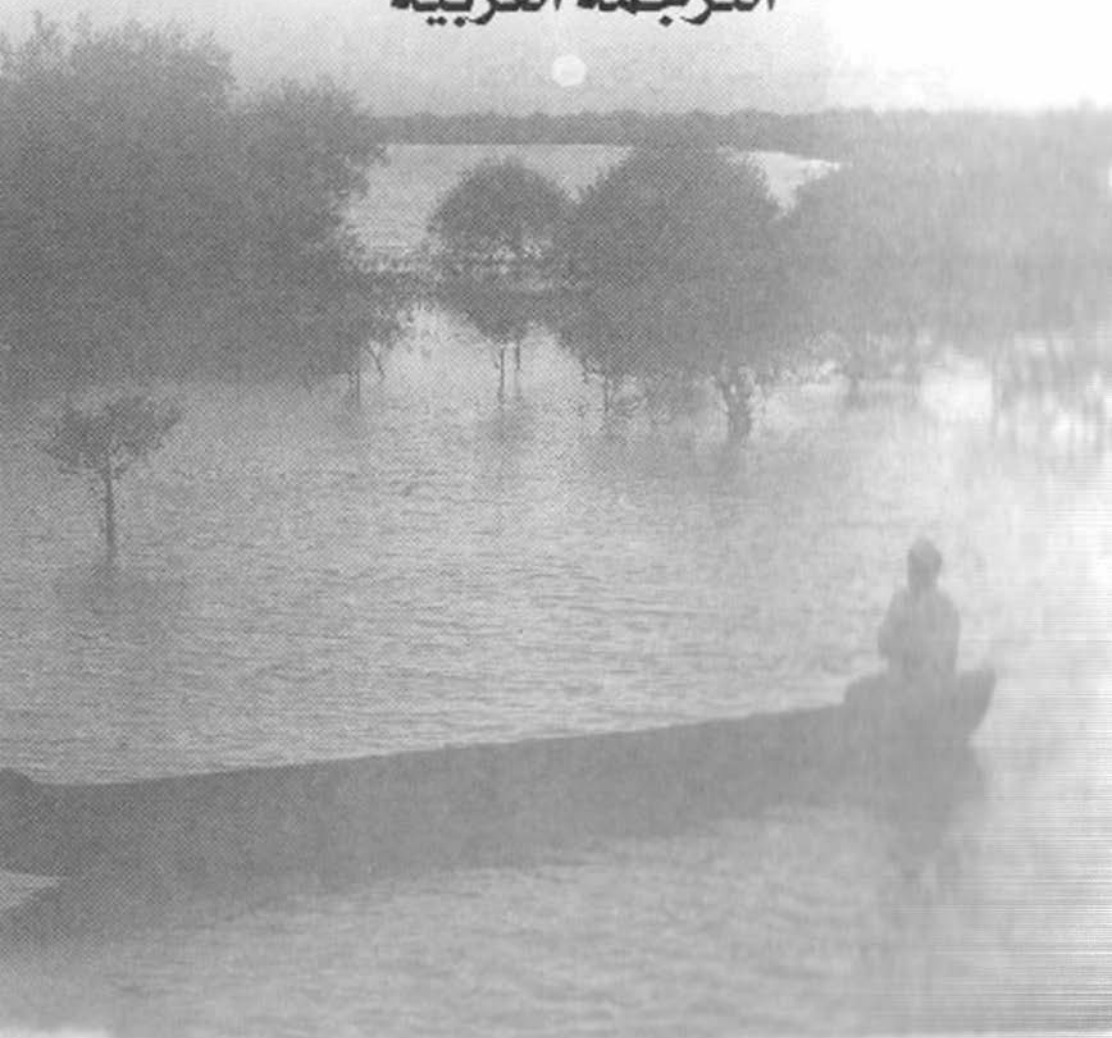
القاهرة : السابع والعشرين من رمضان سنة ١٤٢٥هـ .

العاشر من نوفمبر سنة ٢٠٠٤م .

قصائد مختارة من

ديوان شمس تبريز

الترجمة العربية



حقيقة (أحمر القلم) (١) * (١)
 أيها البعثُ الخاطفُ (١) ، يارحمةً لا تنتهي
 يا ناراً تشبَّتْ في غابةِ الفكرِ (٢)
 أصبحتَ اليومَ باسمِ الثغرِ

غدوتَ اليومَ مفتاحَ السَّجْنِ (٢) ، جئتَ للشَّمالي هبةً من الله وفضلاً

خاجبُ الشمسِ أنتَ ، أهلُ كلِّ رجاءٍ أنتَ
 أنتَ المطلبُ ، أنتَ الطالبُ (٣) ، أنتَ المنتهى والمبتدأ

لُشَّتْ في الصُّدورِ أنتَ ، فازدأنتُ بكِ الفكرُ
 أُرِدتُ بنفسكِ حاجةً ، فیسرَّتْ لفعْلِها السَّبيلُ (٤)

(٥) مطلعها : ای دستگیر ناگهان ، وی رحمت بی منتها

ای آتشِ فروخته در پیشهء اندیشه ها

(٦) الخطاب هنا لشمس الدين التبريزي الذي أخذ بيد شاعرنا جلال الدين الرومي إلى حياة جديدة تشرق فيها شمس الروح ، فتبتدئ بها معالم حياته السابقة ويُبعثُ بعثاً جديداً.

(٧) إشارة إلى الحديث النبوي الشريف : «الدنيا سجن المؤمن ...» ، رواه مسلم في باب الزهد ١ : ٥٥٠ ، ويعني الشاعر أن مرشده شمس الدين التبريزي قد فتح له مغاليق هذه الدنيا .

(٨) أنت المطلب لأنك تعيننا على سلوك الطريق إلى الحق - تعالى ، كما أنك طالب مثلنا لتسأل الحق .

(٩) أي أنك تثير في القلوب الشعور بالحاجة وتعمل من ناحية أخرى على تحقيقها ، يقول جلال الدين الرومي في ديوانه المشهور :

الدعاء منك ، وكذا الإجابة منك الأمن منك ، وكذا الهيبة والخوف منك

أنت واهبُ الروح (٥) بلا بَدَلٍ

أنت لذة العلم والعمل (٦)

وما بقي عبثٌ ودَغَلٌ (٦)

هو داءٌ وسقمٌ ، أنت دواءٌ كُلُّ العِللِ

تأمل هذا السُّكْرُ ، ودَعِ العَقْلُ (٧)

تأمل هذا النُّقْلُ ، ودَعِ النُّقْلُ (٨)

أيجدُرُ أن يجري كُلُّ ما يجري

من أجل الخَبْرِ والبَقْلِ (٩)

صِه (١٠) ، فأنا على عَجَلٍ

مضيتُ صوبَ ساريةِ العِلْمِ

(٥) تُعطي الأمور المادية بُعداً روحياً .

(٦) الدَغَلُ : العيب في الأمر يفسده .

(٧) دَعِ العَقْلُ إن شكَّل لك عقبة في طريق المحبة الإلهية .

(٨) يعني بالنقل طعم الخمر ، وهو في المصطلح الصوفي دليل على لذة المحبة الإلهية ،

ويعني بالنقل العلوم المتداولة ، وهي عامل مُثبِّط لهمة السائر في طريق الحق - تعالى -

إن لم تسبقها المحبة .

(٩) أصبح إن الإنسان ما أبط إلى الأرض إلا لكي يشبع حاجاته المادية ١٢ .

(١٠) بالفارسية : خاموش : يعني صِه ، اسكت ، اصمت ، أو الساكت ، وهو اللقب الذي

اختاره جلال الدين لنفسه في شعره ، كعادة شعراء الفرس الذين يطلقون على هذا

اللقب : "التخلص" ، ويرد التخلص في الأغلب الأعم في البيت الأخير من القصيدة أو

الغزل ، وربما يأتي في البيت قبل الأخير ، وهو أشبه ما يكون بتوقيع الرسام على ذيل

لوحته الفنية . راجع المقدمة .

ضع الصحيفة وانحسر القلم * (٢)

فقد اقبل الساقى (١١) مُنادياً : الصُّلا (١٢)

ثلاثة نخل

* * * ثمنه ارسنقا وميله اء عة

شلا وانغا فقلته روع

كل حول وعلال

(٢) ناله لما ريسونقا لسيو

نومه راياء (٣) و نولا كما شبه اء

والأح

نريقه بمطال زيه آينة شلكو

سيغاا مطبا ريتا نايغاا رعا

نالفه زوجه راع ثلثه رعدايتو

والله اعلم بالصواب

(١) قوله (١١) مُنادياً : الصُّلا (١٢) : أي نادياً بصوت عالٍ ليطلب من الصلوات.

(٢) قوله (٢) ناله لما ريسونقا لسيو : أي ناله لما ريسونقا لسيو.

(٣) قوله (٣) و نولا كما شبه اء : أي و نولا كما شبه اء.

١١ يعني بالساقى الشيخ أو المرشد الهادي إلى الحق تعالى.

١٢ كلمة ينادي به للدعوة إلى شرب الخمر. والخمر هنا ليست إلا لذة المعرفة الإلهية التي

يقدّمها المرشد للمسالك.

انت واهب الروح (٥) بلا يد (٢) • (٢) * هلقا يستاع فطيرتها
يامن حُبك
قد زاد طيور القدس أجنحة (١)
وفي حلقة الغرام بك
يهب القديسين الأحوال (٢)

لا أحب الأفلين ، (٣) دليل مبین
بأنك مبراً من الصور بيقين
وفي العيون التي تبصر الغيب
بغراءى منك كل حين مثال

(*) مطلعها : اى طيران قدس را عشقت فزوده بالها

- (١) تنطوى على إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل
الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع ﴾ (سورة فاطر ، آية ١) .
- (٢) جمع حال : والحال فى المصطلح الصوفى هو شعور طاغ برد على النفس من غير
اجتلاب ولا اكتساب .
- (٣) جزء من الآية ٧٦ من سورة الأنعام ، وتشير إلى زهد إبراهيم أثناء بحشه عن الحق
تعالى - فى ظواهر الوجود وعالم الأجسام فوجدها أفلة ولم يبق إلا الواجب الحق .
(راجع غرائب القرآن للنيسابوى ٢ : ١٢٧٢) .

من أجلك انكفأ الفلك الأشم (٤)
 واستحال الترابُ بحراً من الدم (٥)
 لست أدعوك هلالاً (٦)
 فالت أسمى من كل حَوْلٍ وهلالٍ

أنهم بمن أنت له جناح
 بالها من رفعة له وجلالٍ وفلاح
 ومن صار على هذا الحال
 كرم له على عارضيه من خال

هب أن شوكتي شوكتُ ضررٍ
 بنيت في دهر الوردِ النضيرِ
 فالصبر في حين يزن الذهب ، يضع حبة شعير
 فوق كل مiscal (٦)

إشارة إلى قوله تعالى ﴿ ألم تر أن الله
 جعل له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم... ﴾ (سورة
 الحج: ١٨)
 وهو من تراب - تحول إلى نفس ذات كبد حرى تحترق شوقاً إلى
 الحبيب
 وزن يوزن به الذهب ومقداره ١٠٨ قطمير ، والقطمير هو حبة الشعير .

قَدْ كَانَتْ فِكْرَةً هَذِهِ الْأَفْعَالُ
مَا كَانَ إِلَّا تَرَابًا هَذَا الْمَتَاعُ وَذَلِكَ الْمَالُ
قَدْ كَانَتْ قَالًا هَذِهِ الْأَحْوَالُ
مَا كَانَ إِلَّا حَالًا هَذَا الْقَالَ

بَدَأَ الْعَالَمَ صَخَبًا ، خَتَمَ الْعَالَمَ زَلْزَالَ
عَشَقٌ وَشُكْرٌ يَخَالِطُهُ الْأَسَى
سَاكِنٌ بِرَغَمٍ أَلْفِ زَلْزَالَ

انظُرْ سَعْدَ الْمَسَاكِينِ بِرَحْمَةِ لِلْعَالَمِينَ (٧)

الْخِرْقُ تُشَعُّ بِالنُّورِ الْمُبِينِ (٨)
وَقَدْ وَشَى بِالْوَرْدِ الْمُعْطَرِ
كُلُّ شَأْنٍ (٩)

العشيقُ امرٌ شاملٌ كُلِّيٌّ ، ما نحنُ إلا رُقْعَةٌ (١٠)

هو بحرٌ محيطٌ ، ما نحنُ إلا جُرْعَةٌ

وقد أتى بمائة دليلٍ
وأتينا نحنُ بصنوفِ الاستدلالِ

(٧) إشارة إلى النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ، من قول الله عز وجل في سورة الأنبياء آية ١٠٧ ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ .
(٨) اكتسب المساكين صفات نورانية ، فانطلق النور يشع من أرواحهم المعزقة .
(٩) كما تضمنت شيلانهم بعطر الحبيب .
(١٠) الرُقْعَةُ : قطعة من ورق يكتب عليها .

السَّمَاوَاتُ بِالْعَشْقِ تَأْتَلَفُ * (٧)
النَّجْمُ بِغَيْرِ عَشْقٍ يَنْخَسِفُ
صَارَتْ الدَّالُ بِالْعَشْقِ أَلْفٌ (١١) لَهَا وَبِالْعَشْقِ (١٢) هِيَ حَيَاةٌ نَبِيهَا
كُلُّ أَلْفٍ بِغَيْرِ عَشْقٍ دَالٌ لَقَدْ رَأَى مَا يَتَوَلَّى لِنَهْ ثَلْبِيَا لِهْ رَجَعِ

لَقَدْ صَارَ مَاءَ الْحَيَاةِ (١٢) الْكَلِمُ
فَهُوَ فَرَعٌ عَنِ عِلْمٍ مِنْ لَدُنْ (١٣) لَهَا بِالسَّحَابِ وَتَمَلُّهُ الثَّلْبِيَا لِهْ رَجَعِ
فَلَا تُبْقِ الرُّوحَ مِنْهُ خَلْوًا لَقَدْ رَأَى مَا يَتَوَلَّى لِنَهْ ثَلْبِيَا لِهْ رَجَعِ
كَيْ تُشْمَرَ عِنْدَكَ الْأَعْمَالُ لَقَدْ رَأَى مَا يَتَوَلَّى لِنَهْ ثَلْبِيَا لِهْ رَجَعِ

الْكَلِمُ الْمُجْمَلُ عِنْدَ أَهْلِ الْمَعْنَى : تَفْصِيلُ نَلْقَا دِيْمَاعُ رَاثِيَا لِهْ رَجَعِ
وَالْفُؤْلُ الْمُفْصَلُ عِنْدَ أَهْلِ الصُّورَةِ : إِجْمَالُهَا رَاثِيَا لِهْ رَجَعِ
لَقَدْ رَأَى مَا يَتَوَلَّى لِنَهْ ثَلْبِيَا لِهْ رَجَعِ

أَوْ قَبِيلُ الشَّعْرِ عَلَى الثَّمَامِ ١٢
أَنْعَمُ بِبَحْرِ غَضُّ بِالذَّرْرِ الْكِرَامِ رَاثِيَا لِهْ رَجَعِ
فِي دَوْرِ الشَّعْرِ بِطَيْبٍ لِلنَّاقَةِ أَنْ رَاثِيَا لِهْ رَجَعِ
أَسْرَعُ الْخَطْوِ وَهِيَ تَحْمِلُ الْأَحْمَالَ (١٤) لَقَدْ رَأَى مَا يَتَوَلَّى لِنَهْ ثَلْبِيَا لِهْ رَجَعِ

١١ | الألف تستقيم والدال معوجة.

١٢ | أي أنه كلام يهيب الخلود.

١٣ | إشارة إلى قوله تعالى وهو يتحدث عن الخضر عليه السلام في سورة الكهف ، آية

١٤ | وعلمناه من لدنا علما ، والعلم اللدني هو العلم الإلهي.

١٥ | التغيير المحض بالأفعال بغد السير حين يسمع حدى الحادى الذى يتغنى بالأشعار.

(۳) *

كأنه فكرة هذه الأفعال
أيها القلب ، ماذا لفتت من أذار لكل ذاك التقصير ؟
فمن جانبه ثم (١) يتتابع الوفا (٢) نفاً رشماعاً زانفاً متولنه
ومن جانبك هنا يتوالى الجفاً

من جانبه ثم يتتابع الكرم
ومن جانبك الخلاف وحساب الكثرة أو القلة والعدم
من جانبك هنا يكثر الخطأ

من جانبك هنا يعظم الحسد ،
يكثر الخيال وسوء الظن
من جانبه ثم يتوالى الجذب
يتوالى الذوق ، يتوالى العطا

لم إذن كان كل هذا الذوق ؟
كي تحلو فيك مرارة الروح
لم إذن كان كل هذا الجذب ؟
كي تلحق بالأوليا

(*) مطلعها : اي دل ، چه انديشيده اي در عذر آن تقصيرها
زان سوی او چندان وفا ، زين سوی تو چندان جفا
(١) ثم : هناك .

إن غدوت من الجرم فزرعاً
 ومضيت تسأل عن مخرج جزعاً
 ولا ترى معك حينذاك وازعاً (٢)
 فلم !؟

هنا جذب صوب الصالحين ،
 وهناك جذب نحو الفاسدين
 وإنما ان تمخر السفين العباب
 او لمعظم في الموج قطعاً

الظلم من الدعاء في الخفاء
 الظلم من الأبين في الظلماء
 كي يفتاهي لسمعك
 من قول سنع سماوات ندا (٣)

بقولنا خالما رة يشه رجاأ باع
 رعتنا رنية (٧) عند تسعمة أع

(١) ...
 (٢) ...
 (٣) ...
 (٤) ...
 (٥) ...
 (٦) ...
 (٧) ...

حِينَ تَجَاوَزَ صَوْتُ شُعَيْبٍ (٤) الْخَلْدُ

وَأَرْتَفَعَ أُنَيْبُهُ عِنْدَ ذَلِكَ وَاضْطَرَمُّ

وَأَنهَمَرَتْ مِنْ عَيْنِيهِ الدَّرُورُ

هَبَّطَ مِنَ السَّمَاءِ فِي السُّحْرِ بَدَا :

« إِنْ كُنْتُ ذَا جُرْمٍ ، عَفْوَتْ

وَلِمَا أَتْرَفْتُ عَفَّرْتُ

وَإِنْ أَرَدْتُ الْفِرْدَوْسَ وَهَبْتُ

لَكِنْ صَبَّ ، وَدَعَّ هَذَا الدُّعَا (٥)

قَالَ : « مَا أَرَدْتُ هَذَا وَلَا ذَلِكَ أَنَا

بَلْ أُرِيدُ رُؤْيَا الْحَقِّ عَيَانًا

وَلَوْ صَارَتْ السَّبْعُ الْبَحَارُ نَارًا

خُضَّتْهَا بُغْيَةَ اللَّقَا

وَلَوْ أَنِّي مَسُوقٌ لِذَلِكَ الْمَنْظَرِ (٦)

وَأَغْمَضْتُ عَنْهُ (٧) عَيْنِي الدَّمْعَى

(٤) النبي شعيب عليه السلام ، وقد ورد خبره في القرآن الكريم مع قوم مدين ، ومدى إبهائهم له .

(٥) في البيت إشارة إلى تأثير الحق تعالى بحرقته من بدعوه ويتضرع إليه .

(٦) يعني بالمنظر : الفردوس .

(٧) يعني عن الحق تعالى .

لَكَانَ الْجَحِيمُ بِي أَوْلَى

وَمَا وَجِبْتَ لِي جَنَّةَ الْمَأْوَى

الْجَنَّةُ بَدُونَ وَجْهِهِ هِيَ عِنْدِي نَارٌ وَعَدْوٌ (٨)

فَقَدْ احْتَرَقْتُ مِنَ الرَّوَاحِ وَالْأَلْوَانِ (٩)

فَأَنْتَ لِي بِسُودِّدٍ تَجْلِي أَنْوَارَ الْبَقَا

قَالُوا : « كَفَكَفِ الدَّمْعَ إِذْنُ

كَمْ لَا يَضْعَفُ الْإِبْصَارُ ، فَالْعَيْنُ تَعْمَى إِنْ جَاوَزَتْ

حَدَّ الْبُكَاءِ

قَالَ : « لَوْ أَنَّ عَيْنِي ظَفَرْتُ ، بَأَن رَأَيْتَ تِلْكَ الصَّفَّةَ

لَا سُدْحَالَ كُلُّ عَضْوٍ مَنَى عَيْنَا

فَلَا بَأْسَ عِنْدِي بِالْعَمَى

وَإِنْ بَلَّيْتُ عَيْنِي مَخْرُومَةً

لَهَيْتُ حَتَّى تَعْمَى

فَهَذَا لَيْسَ غَيْرُ جَائِزٍ مِنْ

الْجَبِيبِ الْأَعْلَى ،

١٩١ : الجنة ليست الهدف الذي يسعى إليه الصالحون ، بل وجه الله .

١٩٢ : يعني بالرواح والألوان : الدنيا وزخرفها .

ولأن كل امرئ قد تخير
صاحباً يناسبه حسناً وقبحاً
فلا غرو أن أفئنا أنفسنا
من أجل " لا " (٩)

ذات يوم رافق إنساناً بايزيد (١٠) في طريق
فخاطبه بويزيد : « ماذا اخترت من مهنة يارفيق »
قال : « أنا حمار » (١١)

فقال له بويزيد : اغرب عن وجهي ،
ويارب ، أمت حماره ، كي يصير لله عبداً

* * *

فيها ثلاث نال ، شايقة رينه نا باو : ران
رأيه رينه لفق حمارا
لو صارت النسخ البعاد فار
فصنعا بقية اللقا
هو أنى مسرق لذالك النظر (٦)
وأعجبني منه (٧) عيسى النعمي
فمن رينه رينه تيقونان
رحمن رينه رينه
رينه رينه رينه ثالثة

-
- (٩) لأن النفس "لا" تانس "إلا" بالرفيق الأعلى. ودلا، هنا تعني نفى غير الله تعالى .
(١٠) بايزيد : هو أبو زيد بن طيفسور بن عيسى بن سروشان البسطامي ، أحد كبار
الصوفية ، توفي في بسطام سنة ٢٣٤ أو ٢٦١ هـ حسب اختلاف الأقوال .
(١١) يُقال للحمار بالفارسية : خرينده ، أي عبء الحمار .

(٤) (•) نشأ لنا نبيء وانشأ لنا نبيء

يوسف ، يا أجملَ أسمائنا ذلك الذي خلق لنا ... ليلنا نيلنا

يا من يخطر جدلاً فوق سطحنا

يا من حطمت كأسنا الوقار (١)

يا من مزقت فخنا بالحيا

أنت لنا النور ، أنت لنا السرور

أنت إقليمتنا المنصور

يا من يخلق لنا ما نرى

ألق في نشوتنا حباباً (١)

كس يغدو كرمنا (٢) خمراً

أنت لنا الحبيب والمقصود

أنت لنا القبلة والمعبود

الظفر دُخاننا المتصاعد

حين أذكيت ناراً

في عودنا (٣)

(١) مطلقها : اى يوسف خوشنام ما ، خوش مى روى بر بام ما

اى در شكسته جام ما ، اى بر دريده دام ما

والخطاب فيها للشيخ شمس الدين التبريزى .

(٢) الحباب : الفلج .

(٣) الكرم : العيب .

(٤) العود : ضرب من الطيب يُصخر به .

رَفِيقُنَا أَنْتَ ، عَيَّارُنَا أَنْتَ (٤)
قَيْدُ قَلْبِنَا ... خَمَّارُنَا أَنْتَ (٥)
لَا تُسْحَبُ الْقَدَمَ عَنْ شَأْنِنَا
بَلْ خُذْ بِعُقْدَةِ عِمَامَتِنَا (٦)

مُنْغْرِسَةٌ فِي الطَّيْنِ أَقْدَامُ الْقَلْبِ (٧)
وَالْهَقِي عَلَى مَا حَلَّ بِالْقَلْبِ ، بِالْقَلْبِ
وَمِنْ لَوْعَةِ نَارِ الْقَلْبِ
أَهٍ لِلْقَلْبِ ، أَهٍ لِنَا

* * *

-
- (٤) عَيَّارٌ : مَنْ يَتَصَفَّ بِالْمَهَارَةِ وَخَفَةِ الْحَرَكَةِ .
(٥) خَمَّارٌ : بَانِعُ الْخَمْرِ ، وَتَطْلُقُ فِي الْمَصْطَلَحِ الصُّوفِيِّ عَلَى الْمُرْشِدِ الْكَامِلِ وَالشَّيْخِ الْبَصِيرِ .
(٦) خُذْ بِزِمَامِنَا صَوِّبْ طَرِيقَ الْحَقِّ .
(٧) الطَّيْنُ : الْحَيَاةُ الْمَادِيَّةُ .

(٥) *

انظر ذاك الشكل ، وانظر ذاك النعمم والدل
ذاك القد والحذ والساق واليد
انظر ذاك اللون وذاك الوقار
وذاك البدر المنقب بالضيا

أيها العشق ، جئت شكلاً وصورة
كأتون متقد
قافلة العشق بك تصظلم
فالأمان الأمان لحظة يافتى

في نار وفي تحرق أنا
قد طال تسهيدى حتى الصباح أنا
ما أسعدني بظفري
بطلعة شمس الضحى

حول قمره أدور
ألقي تحبتي صامتاً

(*) مطلعها : أن شكل بين وأن شيوه بين وأن قد وخذ ودست وها
آن رنگ بين وأن هنگ بين وأن ماه بدر اندر قبا

أرْتَمِي عَلَى الْأَرْضِ
قَبْلَ أَنْ يَقُولَ : الصَّلَا (١)

رَوْضُ الْعَالَمِ وَجَنَّتْهُ أَنْتَ
عَيْنُ الْعَالَمِ وَقَنْدِيلُهُ أَنْتَ
أَسَى الْعَالَمِ وَحَرْقَتُهُ أَنْتَ :
حِينَ تُمَعْنُ فِي الْجَفَا

أَتَقَدِّمُ لِرَهْنِ الرُّوحِ
تَقُولُ : "لَا تَشُقْ عَلَيْنَا ، وَرُحُ"
حِينَ أَشْرَعَ فِي التَّحِيَّةِ كَيْ أَنْصَرِفَ
تَقُولُ : "أَيُّهَا الْأَبْلَهُ ، عُدْ لَنَا"

غَدَا خِيَالَهُ مُؤْتَسِّأً لَنَا كَلَّ إِبْنَانَ
وَالْعَاشِقُونَ فِي حَرِّ أَنْفَاسِ
حَاشَا لَطِيفِكَ أَنْ يَغِيبَ لِحِظَةً
أَوْ بُرْهَةً عَن عَيْنِنَا

أَيُّهَا الْقَلْبُ ، مَاذَا حَلَّ بِكَ ؟
وَالْإِمَّ صَارَ شَأْنُكَ ؟

(١) انظر ما سبق ، ص ٤٩ ، هامش ١٢ .

ومن ذا الذي يحرمك النوم هكذا
في الصباح وفي المساء ؟

قال القلبُ : حسنُ طَّلَعته ،
ومُقلَّتُهُ (٢) الناعسةُ السَّاحِرةُ
وسنبلةُ حَاجِبِهِ ،
وتلك الياقوتةُ عَذْبَةُ الأدا

أيها العشق ! كم لك عند الناس من اسمٍ ومن لقبٍ
وبالأمس ، أطلقتُ اسماً آخرَ عليك :
" داءُ بلا دَوا "

لن أنطق بحرفٍ بعدُ
فقل هذا البيتَ وحسبُ :
ذابت رُوحِي من الهونس ،
فأرفق بنا ياربتنا .

* * *

(٢) في الأصل : نرجسته ، والنرجس زهر يظل يقظانا مفتوحاً طول الليل .

(٦) *

أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْأَجَلُ لَدُّ بِالْفِرَارِ

مِمَّا أَلَمَّ بِنَا مِنْ عَارٍ ، مِمَّا أَلَمَّ بِنَا مِنْ عَارٍ

فَلَسْتُ تُطِيقُ أَنْ تَصْطَبِعَ بِلُونِنَا ، بِلُونِنَا

فَمِنْ غَارَاتِ جُنْدِهِ ، وَمِنْ وَقَعَاتِ ضَرْبِهِ

لَا يَسْلُمُ لَكَ عِرْقٌ بَعِزْفٍ قِيَارَتِنَا ، قِيَارَتِنَا

أَبْدًا بِحَسْوِ جِرْعَةٍ أَوْ لَا ، تَعْدُو بِنَشْوَةِ ثَمَلًا

فَتَصْبِحُ عَنْ نَفْسِكَ ذَاهِلًا ، وَمَنْ تَمَّ يَمِّمُ شَطْرَنَا ، شَطْرَنَا

أَشْيْنَا مِنْ هَذِي الْخَمْرِ تَبْغِي ؟ امْضِ أَوْلَا فَرِقَ رِقَّةِ الْكَاسِ

وَإِنْ غَدَوْتَ كَأَسَا ، انْكَسِرْ بِصَخْرِنَا ، بِصَخْرِنَا

كُلُّ مَنْ ذَاقَ خَمْرًا أَحْمَرَ ، بَاتَ ذَا شَأْنٍ فِي الْوَرَى

يَذْهَبُ بِسَعَةِ الْقَلْبِ مَنْ ضَاقَ بِسَبَبِهِ قَلْبُنَا ، قَلْبُنَا (١)

(*) مطلعها : بگريز ، ای امير اجل ! از ننگ ما ، از ننگ ما

زيرا نمی دانی شدن هم رنگ ما ، هم رنگ ما

(١) من ملأ قلبنا حزناً وجزعاً ، يذهب بما في القلوب من سعة ولا يبقى فيها موضعاً .

مَرِيخُ الزَّمَنِ (٢) مُؤَنَّثٌ لَا مُذَكَّرٌ
وَهَا هُنَا ضَرْبُ خَنْجَرٍ
أُنِّي لِخِمَارٍ (٣) أَنْ يَصِيرَ لِحَرِينَا ، حَرِينَا

إِنْ كُنْتَ تَبْغِي الشَّمْسَ سَيْفًا ، فَاتَّخِذِي مِنَ الْبَدْرِ دَرْعًا
وَإِنْ كُنْتَ لِلرُّومِ قَيْصَرًا ، فَاضْرِبِي الصَّفْحَ عَن صَدْنِنَا ، عَن صَدْنِنَا (٤)

صِرْ إِسْحَاقَ فِي نَحْرِنَا (٥) ، صِرْ سَاكِنًا فِي بَحْرِنَا
كَيْ لَا يَتَحَطَّمُ مِنْكَ السُّفِينُ فِي مَائِنَا (٦) ، فِي مَائِنَا

* * *

-
- (٢) المريخ كوكب الحرب ودليل الشجاعة ، ومريخ الزمن عندنا مؤنث ، وليس برجل ، فليس أهلاً للحرب ، فنحن لا نقيم للزمن وزناً
- (٣) الخمار : ما تضعه المرأة على رأسها .
- (٤) إن أردت أن تجعل من الشمس سيفاً لك فلا بد لك أن تجعل القمر درعاً ، وإن كنت ملك الروم (رمز الجمال والضياء) فيتعين عليك أن تتجاوز عن صدننا (رمز الظلمة) .
- (٥) نقول التوراة إن إبراهيم قدّم إسحاق - عليهما السلام - ضحية ، وحدّ السكين لذبحه ، ولكن الروايات الإسلامية تشير إلى أن الذبيح إسماعيل لا إسحاق . والشاعر لا يقيم وزناً للتفرقة بينهما ، فكلاهما نبي . والإشارة هنا لتسليم الذبيح الكامل لأبيه إبراهيم ، لقوله تعالى " ... فلما أسلما وتله للجبين ... " (الصافات : ١٠٣) ، والمعنى كن على استعداد للتضحية بنفسك الأمانة كي تغدو مثلنا .
- (٦) في الأصل : گنگ ، نهر بالهند ماؤه مقدس عند الهندوس ، ويطلق في الفارسية على مطلق النهر والبحر .

« (۷)

لَزِمْتُ بِأَبِكَ عَلَّ الْوَقْفَا يَتَجَدَّدُ ،
لَعَلَّكَ تَفْتَحُ بَاباً ، وَتَهْتَفُ أَنْتِ وَتُرَدُّدُ :
أَنْهَضُ إِلَيْنَا

عَلَى بَابِكَ رُوحِي غَرَّقِي ، بِشَذَا الْمَسْكِ وَالْعَنْبِيرِ
يَأْمَنُ لُطْلَعَتِكَ الْبِهِيَّةُ ، أَلْفُ أَلْفِ تَحِيَّةٍ وَأَكْثَرُ ، دَائِمًا

نَحْنُ سُكَارَى رُؤُوسِنَا تَدُورُ ، قَدْ فَرَعْنَا مِمَّا لَغَيْرِنَا مِنْ أُمُورِ
لَوْ تَقَوَّضَ الْعَالَمُ وَأَمَحَى ، فَلَعَشَقَكَ أَبْدًا الْخُلُودُ وَالْبَقَا

نَحْنُ الْيَوْمَ ضَيْفُكَ ، سُكَارَى بَيْشٍ وَجْهَكَ
حِينَ أَهْتَفُ بِاسْمِ وَجْهِكَ ، فَوَاللَّهِ يَنْخَلَعُ الْقَلْبُ حَتْمًا

أَنْبِي لِي بِسَقْفِ غَيْرِ سَقْفِكَ ؟ أَنْبِي لِي بِاسْمِ غَيْرِ اسْمِكَ ؟
أَنْبِي لِي بِكَاسِ غَيْرِ كَاسِكَ ؟ أَيُّهَا السَّاقِي حَلِّوْ الْأَدَا

« » مطلعها : بنشسته ام بر دَرْتِ تا بوبك بر جوشد وفا

باشد که بگشایی دری ، گویی که بر خیز اندر *

لو أنك الروح الحى ، فليتني أجدك ليتني
آه ، ليتني أمسك بتلابيبه وألفها ، ليتني
ليتني فى حلم ليتني ، عملة يوافقني فيه باللقاء

يامن ببابك خيل وحشم ، ابرز بتؤدة سدى اغتشم
فأنا نمل سعيد ، بتلك المقللة الجاذبة المسكرى

الأرواح كالسيل جارية ترتفع ، صوب خط بحر الخيب تندفع
عن كل قربات وعلائق تنقطع ، قد صار لها بالبحر قربى

سيل جار فى حيرة وولته ، سيل آخر قد ضل الطريق بسفه
ذاك يهتف : احمده لله ، وذا يهتف آه ، لا حول ولا (١)

* * *

(١) أى أن من يتحرك نحو المقصود فلسان حاله الشك والاحتمال ، ولا حول ولا ... تعبيراً عن الحيرة البالغة .

أنا من أين؟ النصح من أين؟ مرر الخمر أيها الساقى
أهرق على الروح تلك الكأس المثيرة للمسرّة والهنا (١)، أيها الساقى

ضع في يدي كأس الحبيب، يا من أنت للعشاق معين وسند
ابتني به خفية، بمنأى عن شفاه الغربا، أيها الساقى

ياروح روح روح الروح، ما جئنا لأجل الخبز
فانهض، ودع التسوّل في حفل السلطان جانبا (٢)، أيها الساقى

خذ أولاً ذلك القدر الكبير، وخذ بيد الشيخ البصير
وحين يشمّل الشيخ، يمم الوجه شطر السكارى، أيها الساقى

امض ودع الحياة (٣) جانبا يا مرتضى، أين السكران، أين الخجلان أين
وإن استبد بك الخجل، فأهرق على الخجل قدحاً، أيها الساقى

(١) مطلعها: من از كجا، بند از كجا ٢ ياده بگردان ساقيا !

آن جام جان افزای را بر ریز برجان ساقیا !

(٢) أي الكأس المملوءة بخمر المعرفة التي تفضى إلى اليقين.

(٣) ليس هدف الإنسان من حياته الأكل والشرب، فاعمل على مقتضيات الحياة المادية، وليكن رجاؤك مناسباً لقدرك ومتوافقاً مع مهمتك، فحفل السلطان ليس به شحاذ يقصّر رجاءه على طلب الدنيا.

(٣) الحياة، عبارة عن وجود هبة في القلب تتحصل بالتعظيم والحب، (فرهنگ دیوان شمس).

فَمُ أَيُّهَا السَّاقِي وَهَيَّا ، يَا مَنْ أَنْتَ خَصِمٌ لِكُلِّ خَجَلٍ وَحَيَا
وَلَكِي يَغْدُو حَظًّا ضَاحِكًا ، تَقْدَمُ ضَاحِكًا إِلَيْنَا ، أَيُّهَا السَّاقِي

* * *

وَقَدْ سَمِعْتُ الْعَالِمَ ، وَصَارَ كَمَا خَجَلٌ فِي الْبَيْتِ ، الْمَدَّةُ تَتَأَلَّفُ لِمَنْ
يَأْتِيهِ حَيَاةٌ مِنْ عَيْنٍ ، فَالْحَالُ كَالْحَالِ مِنَ الْبَيْتِ ، أَيُّهَا السَّاقِي

يَسْتَلِمْ إِلَى حَيْثُ الْبَيْتِ ، فَتَسْتَلِمْ إِلَى الْبَيْتِ ، وَهِيَ الْمَدَّةُ
الَّتِي تَسْتَلِمْ مِنْ عَيْنٍ ، فَالْحَالُ كَالْحَالِ مِنَ الْبَيْتِ ، أَيُّهَا السَّاقِي

فَالرِّيحُ تَسْتَلِمْ إِلَى حَيْثُ الْبَيْتِ ، فَتَسْتَلِمْ إِلَى الْبَيْتِ ، أَيُّهَا السَّاقِي
فَالرِّيحُ تَسْتَلِمْ مِنْ عَيْنٍ ، فَالْحَالُ كَالْحَالِ مِنَ الْبَيْتِ ، أَيُّهَا السَّاقِي

فَالرِّيحُ تَسْتَلِمْ إِلَى حَيْثُ الْبَيْتِ ، فَتَسْتَلِمْ إِلَى الْبَيْتِ ، أَيُّهَا السَّاقِي
فَالرِّيحُ تَسْتَلِمْ مِنْ عَيْنٍ ، فَالْحَالُ كَالْحَالِ مِنَ الْبَيْتِ ، أَيُّهَا السَّاقِي

فَالرِّيحُ تَسْتَلِمْ إِلَى حَيْثُ الْبَيْتِ ، فَتَسْتَلِمْ إِلَى الْبَيْتِ ، أَيُّهَا السَّاقِي
فَالرِّيحُ تَسْتَلِمْ مِنْ عَيْنٍ ، فَالْحَالُ كَالْحَالِ مِنَ الْبَيْتِ ، أَيُّهَا السَّاقِي

فَالرِّيحُ تَسْتَلِمْ إِلَى حَيْثُ الْبَيْتِ ، فَتَسْتَلِمْ إِلَى الْبَيْتِ ، أَيُّهَا السَّاقِي
فَالرِّيحُ تَسْتَلِمْ مِنْ عَيْنٍ ، فَالْحَالُ كَالْحَالِ مِنَ الْبَيْتِ ، أَيُّهَا السَّاقِي

فَالرِّيحُ تَسْتَلِمْ إِلَى حَيْثُ الْبَيْتِ ، فَتَسْتَلِمْ إِلَى الْبَيْتِ ، أَيُّهَا السَّاقِي
فَالرِّيحُ تَسْتَلِمْ مِنْ عَيْنٍ ، فَالْحَالُ كَالْحَالِ مِنَ الْبَيْتِ ، أَيُّهَا السَّاقِي

ألا ياربيع العاشقين ، أعندك عن حبيبنا خير يقين ؟
يا من بك المروج ضاحكة ، والرياض حُبلى

ياربها ذات شذا ، أدرك العشاق حبذا
يا من أنت أظهر من الروح والمكان ، فأين أين كنت قبلا ؟

يا فتنة الروم والحبش (١) ، تملكنتني الحيرة ، أخذني الدهش
أكان هذا الريح العذب قميص يوسف ، أم روح المصطفى ؟ (٢)

يا غديراً بدوت صدقاً ، من نهر الحبيب أنت حقاً
طور سيناء أنت للصدور (٣) ، وللأرواح دمت طرباً

يا عذب القيل والقال ، يا مليحاً في كل الأشكال
طاب لك الحول وطاب الهلال (٤) ، دمت لعبدك حولاً وهلالاً .

(*) مطلعها : اى نو بهار عاشقان ! دارى خير از يار ما ؟

اى از تو آيستن چمن ، وى از تو خندان باغها

(١) يعنى بالروم : النهار ، والحبش : الليل . أو لعله يعنى بهما مختلف أجناس البشر .

(٢) إشارة إلى قميص يوسف - عليه السلام - الذى أرسله مع إخوته من مصر ، وكان أبوه يعقوب - عليه السلام - قد كف بصره لفقد يوسف ، وحين جاء البشير وألقى القميص على وجه يعقوب ارتد بصيراً ، وكان يعقوب قبل أن يأتى البشير قد شم ريح يوسف من بعيد .

(٣) جبل الطور فى سيناء الذى تجلى عليه الله - تعالى - إجابة لطلب موسى عليه السلام ،

انظر قوله تعالى : ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً ... ﴾ (سورة الأعراف : آية

١٤٣) ، ويشبه الشاعر شيخه بالجميل الذى تجلت عليه أنوار الحق تعالى .

(٤) طابت سنتك وطاب شهرك ، بل طابت كل أوقانك .

أَيُّهَا الْعَاشِقُونَ ، أَيُّهَا الْعَاشِقُونَ ، نَحْنُ الْيَوْمُ وَأَنْتُمْ
قَدْ وَقَعْنَا الْيَوْمَ فِي لُجَّةٍ ، فَمَنْ يَعْرِفُ السَّبَاحَةَ مِنْهَا

لَوْ ظَمَّ سَيْلُ الْعَالَمِ ، وَصَارَ كَالْجَمَلِ مَوْجُ الْيَمِّ
فَمَا لِطَيْرِ الْمَاءِ مِنْ غَمٍّ ، فَهَلْ يَغْتَمُّ طَيْرُ الْهَيَا (١)

قَدْ أَضَانَا الْوَجْهَ بِالشُّكْرِ ، قَدْ بَلَوْنَا الْمَوْجَ وَالْبَحْرَ
مِثْلَمَا كَانَ الْبَحْرُ - وَالرِّيْحُ تَعْصِفُ - لِلسَّمَكِ طَرَبًا وَلِهَيَا (٢)

هَذِهِ الرِّيْحُ تَنْضِجُ فِي كُلِّ رَأْسٍ وَلَعَا آخَرَ ،
فَمَا فِيهَا مِنْ وَتَعٍ مِلْكٌ لِسَاقِينَا ، وَالْبَاقِي كُلُّهُ لَكُمْ خَالِصًا

بِالْأَمْسِ ذَهَبَ ذَاكَ السَّاقِي مُمَشِقُ الْقَوَامِ
بِالْبَابِ السُّكَارِي فِي عُرْضِ الطَّرِيقِ
وَالْيَوْمَ يَسْتَخُو بِخَمْرٍ عَتِيقٍ ، كَيْ يَخْلَعَ عَنَّا الْقَبَا (٣)

(١) مطلعها : اي عاشقان ، اي عاشقان امروز مايميم وشما

افتاده در غرقابه اي تاخود كه داند آشنا

(٢) قد خلصنا من المادة ومن جذب التراب وصعدنا إلى العلا محلقين كالطير لايعبأ بما
يجرى تحته .

(٣) السمك يظرب ويلهو في البحر حين تعصف الريح وبعلو الموج .

(٣) ليذهب بما بقي عندنا من وقار .

يا من يحسدك القمر والمُشترى ، أنت معنا ، ومنا - كملك - تختبئ
فاجذبني برفقٍ واذهب بي ، ثم لا تنقل إلى أين ؟

أيها وليت وجهك فأنت معي ، يامن أنت عيناى ونورى
إن شئت إلى الثمالة جرنى ، أو شئت فادفعنى إلى الفنا

هب أن العالم جبل الطور العظيم ، وهب أننا طالبون كموسى الكليم
في كل لحظة يقع التجلى ، ويجعل الجبل دكاً دكاً (٤)

تارة يغدو أخضر ، تارة يضحى عبهر (٥)
تارة يصبح جوهرًا ، وتارة يافوتا وحجرًا جاذبا

يا طالباً رؤيته ، أبصره فى إقليمه الجبلى هذا (٦)
أيها الجبل ، أية خمرة شربت ، فقد صرنا سكارى بالندا (٧)

* * *

إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال : لن ترانى ، ولكن انظر
لى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى
سعداً ، فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ﴾ (سورة الأعراف ، آية
١٤٧) . والمعنى أن العالم يغدو هباء لاقيمة له حين ينال الإنسان القرب من الله تعالى .
العبهر : زهر كالياسمين .

فهذا الإقليم (العالم) ليس إلا انعكاساً للصفات الإلهية .
إشارة إلى نداء الله - تعالى - لموسى - عليه السلام - عند جبل الطور ، من قوله تعالى
للمرسول محمد - ﷺ - : « وما كنت بجانب الطور إذ نادينا .. » (القصص : ٤٦)

يوسفُ يا أجملَ أسمائنا ، يا من يتبخترُ جذلاً فوقَ سطحنَا
 "إنا فتحنا الصلا" (١) ، فدع السطحَ واعبرَ البابَ ، عدُّ لنا

يا بحرِي المملوءَ بالمرجانِ ، خفتُ واللّه رُوحِي الآنَ
 رُوحِي هذي الحائره ، من دورة هذي الرُحَى (٢)

يا حادي القافلة ، لا تُجاوزَ هذه المرُحلة
 أنخِ البعيرَ وانزل برفقٍ ، لله لا لنا

لا لا امضِ ، منجنونا امضِ ، ثم برفقٍ في الدّمِ خُصِ
 عن الكيفِ لا تفل ، بلا كيفِ امضِ ، فليس للروح مكانٌ أبداً

إن صارَ قلبُك في الترابِ ، علّت رُوحُك على الأفلاكِ
 ولو تمزقتُ خرقتك قطعاً ، فما لرُوحِك أبداً فنا (٣)

(*) مطلعها : اى يوسف خوشنام ما ، خوش مى روى بر بام ما

"إنا فتحنا الصلا ، باز آ ز بام ، از در درآ
 (١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ (سورة الفتح آية : ١) ؛ اى أن
 النداء هو : "إنا فتحنا".

(٢) دورة الرُحَى : دورة الفلك ، وتتابع الأيام .

(٣) يعنى فناء الجسم والقالب الترابى ، أما الروح فباقية ، وهى أسمى من المكان .

لست عن سرِّ القلب غريباً ، مرآة أنت فأظهر الطلعة
ولأنك لفتن العشق مثير ، فالفتن تقدم إليك طوعاً

تخاطبني : كيف تمضي ؟ أمزهاواً مختالاً تمضي ؟
تبصر فإنما تسير في الدم ، ثم لاتقول : إلى أين ؟

قلتُ : من نيران القلب ، وفوق فرش القلب
يتدحرج القلب في الغرام ، ليبلغ بحر " بفعل ما يشاء " (٤)

في كل حين يصل رسول ، فيمسك بتلابيب الروح
ثم يمزق فوق القلب خيال ، يهتف : " هيا إلى أصلك تعال "

غدت حبة الفؤاد جامحة ، تفرُّ هنا وهناك صانحة
هرباً من عالم اللون والرائحة (٥) ،
تصرخ : " أين ذاك الأصل ؟ "
وقد مزقت ثوبها صوناً للوفا

* * *

(٤) وردت في القرآن الكريم في عدد من السور ، آل عمران ٤٠ : إبراهيم : ٢٧ ، الحج ، ١٨
(٥) أي العالم المادي .

كَمْ أَنُوحٌ بِبِرْحِ الْأَسَى ، كَمْ أَتْلُونُ بِالْأَلْوَانِ
حَتَّى أَجْلُوْا عَنْ مَرَاةِ كُلِّ مُنْكَرٍ صَدَاءً

على مَطِيَّةِ عَشَقِكَ يَطْوِي الْقَلْبُ الْوَهَادَ وَالْوُدْيَانَ
بِكُلِّ قَدَمٍ يَقَطَعُهُ هَذَا الرِّكْبُ ، تُطْوِي الْفَرَاسِخُ مِنْ قَبْلِ الْحَبِيبِ آفَا

أَظْهَرَ يَا قَوْتَتِكَ الْمُنِيرَةَ لِعَمَى كُلِّ عَابِدٍ وَتَن
حَتَّى يُمَطِّرَ قَسَاةَ الْقُلُوبِ مِنَ الْعَرْشِ حَجْرًا

أَتَدْرِي لِمَ أَنْكَرُوا ؟ بِرَغْمِ أَنَّكَ تَبْدَى صَبْرًا وَإِمْهَالًا
لَأَنَّ هَذِهِ السَّعَادَةَ وَالْإِقْبَالَ تَكُونُ بِهِمْ عَارًا

لَوْ لَمْ يُصَابُوا بِعَمَى الْبَصْرِ ، لَكَانُوا قَدْ رَأَوْا فِيمَا وَرَاءَ النَّظَرِ
آلَافَ الْأَرْوَاحِ مَعْلُوقَةً بِالْقَمَرِ ، كَنُجُومٍ تَسْطَعُ نُورًا

حِينَ يُصْبِحُ كُلُّ أَعْمَى ، بِسَعْدِ نُورِكَ مُبْصِرًا
يَغْدُو كُلُّ أَعْرَجٍ ، بِيَمْنِ دَرِيكِ قَارِيهَا (١)

(*) مطلعها : چندان بنالم ناله ها ، چندان برآرم رنگها
تا برکنم از آینه ی هر منکری من رنگها

(١) الفاره : سریع السیر .

ألا إن كلَّ عقلٍ عن نفسه - في ذربك - يذهل
إذ نبتَ في مرجك الأخضر نبتٌ يذهب اللبأ

لأجل هذا أرى أناساً كالنأي ، لا يفترون عن الأنين
لأجل هذا هناك مائتان من أشجار السرِّو المشقوق
قد انحنت كمنقار طائر حُرنا

لأجل هذا تعثرت آلاف القوافل عن السير الحثيث ،
لأجل هذا غدت أعداد من السفن المشحونة فوق المياه حطّاما

للمنكسرين أرواح معلقة بالرجاء منك ،
كي يدي علمك الذي لا يتفد من الفنون ألوانا

كي يقوّض ذلك اللطف الكامن في لطفك كلَّ قهرٍ
كي يعمّ السلام والأمن كلَّ قُطرٍ ، وتمحى الحروب والشحنا

كي يظهر بحثٌ من نوع آخر ، كي يكون هناك سيرٌ ينحو آخر
ويتجدد في كلِّ حشاشة كلِّ حينٍ مقاصدا (٢)

(٢) عبّر جلال الدين الرومي عن هذا المعنى بشكل آخر في المثنوى وهو يتحدث عن التطور والتكامل اللانهائي للإنسان ، فقال :
عشت تحت الشرى ، في عوالم من تبر وحجر ، ثم ابتسمت في لغور زهرات عديدة =

لذالك السيد قَدَمٌ ، غاصت في الطين بحِينًا (١)
إن حَدَّثْتُكَ عَنْ حالِهِ ، فاهتف : إذا جاء القضا (٢)

سَيِّدِي أَصْبَحْتُ ثَمَلًا ، تُضْرَبُ كَفًّا بِكَفِّ سَخْرِيَّةٍ مِنْ حالِ العاشِقِينَ
ثَمَلًا بِجانِبِ الألوهِيةِ فَيْكُ ، قَدْ أَخَذَتْ تُصارعُ اللهُ (٣)

= الأنوان ، ثم جيت مع الوحش والحيوان المنقل فوق ظهر البسيطة ، وعلى متن الهواء
وفي مناطق اشحيط .

وفي ميلاد جديد غطست في الماء ، وحلقت في الهواء ، وحبوت على بطني وعدوت
على قدمي ، وتشكل سرّ وجودي كنه في صورة أظهرت كل ذلك للعيان ، فإذا أنا
إنسان .

ثم أصبح هدفي أن أكون في صورة ملاك في ملكوت وراء السحاب ، وراء السماء ، حيث
لا يمكن لأحد أن يتبدل أو يموت ، ثم أعدو بعيداً ، وراء حدود الليل والنهار والحياة
والموت ، ... الخ .

(نقلاً عن كتاب تجديد التفكير الديني في الإسلام ، محمد إقبال ، الترجمة العربية ،
الطبعة الثانية : طبع دار الهداية ، مصر ، سنة ٢٠٠٠ م ، ص ٢٢٠) ، راجع المقدمة ،
ص ٣٨ فيمات سبق .

(*) مطلعها : آن خواجه را در كوی ما ، در گل فرورفته ست پا

باتو بگویم حال او ، بر خوان إذا جاء القضا

(١) يتحدث الشاعر عن أهل الظاهر الذين يفتنون بالدنيا ومظاهرها ويصعب عليهم إدراك
اخفائيق الخفية وراء الظواهر ، ولا يكون من السهل ردهم إلى سبل الهدى .

(٢) إذا جاء (أو حان) القضا ضاق القضا ، مثل عربي .

(٣) إشارة إلى ما جاء في التوراة من أن دواود (النبي عليه السلام) قد صارع الرب .

صار فرعون وصار شداداً (٤) ، صار شراعاً بالريح ملاناً
كان نملة صار حيةً وتعباناً ، وتلك الحية صارت تنينا

علا برأسه على السماوات ، ولا يدري عن مصيره قدر قطمير
هميانه قد ملئ بالفضة والذهب ، أذناه قد امتلأت بقول :
أطال الله البقاء (٥)

أيها السيد ذو اليد والقدم ، قد كسر - بفعل القضاء - منك القدم
ما أكثر القلوب التي بسببك حطمت ، فحل بقدمك الجزأ (٦)

هبها عنايةً ورحمةً أن صدر ، من حبى العشق هذا الضرر
عشق المجاز إذا فاعبر ، عشق الحق هو المنتهى (٧)

(٤) فرعون ، لقب يطلق على كل ملوك مصر القدماء ، ولكن يغلب إطلاقه على فرعون
الذى عاصر موسى - عليه السلام - وقد ادعى الألوهية وهو يعد رمزاً للتمرد على الله
والعصيان . أما شداد فهو أحد الملوك الأسطوريين ادعى الألوهية . ويقال إنه شيد جنة
عرفت فى الأساطير بجنة شداد .

(٥) أطال الله البقاء ، دعاء بطول العمر ، ومجازاً بمعنى الجاه والمقام . أما الهميان ، فهو
كيس يُشد فى الوسط يوضع فيه المال .

(٦) لا ينتبه مثل هذا الإنسان إلا إذا حل به ما يثبت له ضعفه ويبين له عجزه ، فلعله أن يعي
الدرس ويكف عن ظلم نفسه وغيره .

(٧) يرى الصوفية أن العشق المجازى قنطرة للوصول إلى العشق الحقيقى والإلهى ، ويقولون :
المجاز قنطرة الحقيقة .

هذا الغازی المجاهدُ قد وَضَعُ ، بيدِ ابنه سيفاً من خَشَبٍ
كَي يَصِيرَ فِيهِ بَارِعاً ، وَيَحْمِلُ السَّيْفَ فِي الْغَزَا

فَالْعُشْقُ إِنْ اعْتَرَى الْمَرْءَ ، بَدَا كَسَيْفٍ مِنْ خَشَبٍ
لَكِنْ عَشِقَ الرَّحْمَنُ ابْتِلَاءً ، حِينَ يَأْتِي آخِرًا (٨)

* * *

(٨) هذا البيت تأكيداً لبُيوت الذي قبله ، يقول للدلالة على أن العشق المجازي قنطرة
للوصل إلى العشق الحقيقي : "إن الغزاة والمجاهدين في سبيل الله يسلمون أولادهم في
مرحلة الطفولة والصبا سيفاً من خشب (رمزاً للعشق المجازي) لكي يستطيعوا بكثرة
المران أن يبرعوا في الضرب بالسيف ، فالعشق الذي يكنه الإنسان للإنسان بمثابة هذا
السيف الخشبي نفسه ، يُفضى إلى العشق الإلهي (السيف الحقيقي) .

بِأَفْضَلِنَا ذَا الْغَيْثِ وَالْمَطَرِ ، أَنْزَلَ عَلَيَّ أَصْحَابِنَا مَطْرًا
كَدَمْعِ الْبَائِسِينَ مِنَّا لِهَجْرِ أَحِبَّتِنَا

يَاعَيْنِ الْغَمَامِ وَالسُّحْبِ ، أَهْرَقِي الدَّمْعَ هَتُونًا بَعَطْرِ الْمَسْكَ يَتَضَوِّعُ
إِذْ تُضْمَرِينَ - كَمَا عَلِمْتَ - الْحَسَدَ ، لَوْجُوهُ لَنَا كَالْبُدْرِ

انظر هذا الغمام قد بكى ، وذاك الروض قد نسم
فبضراعة الأب والبكا (١) ، نال مرضانا الشجاة والشفا

وَكَمَا آتَى السَّحَابُ الثَّقَالَ حَقَّهُ ، لِأَجْلِ مَنْ جَفَّتْ شِفَاهُهُمْ مِنَّا
يُؤْتِي الْكَأْسُ الثَّقِيلُ حَقَّهُ ، لِأَجْلِ مَنْ لَا يُؤْبَهُ بِهِمْ فِينَا (٢)

نَشَرَتْ السَّمَاءُ الْجَوْهَرَ ، عَلَى الْأَرْضِي وَالْوُدَيَانَ الْفَقِيرَةَ
لِهَذَا وَبِسَبَبِ الْعَشْقِ يَتَحَمَّلُ نَصُوصُنَا الْإِمْلَاقَ وَالْعَوَزَ

(*) مطلعها : اى فصل با باران ما ، برويز برباران ما

چون اشك غمخوران ما در هجر دالدران ما

(١) لعلها إشارة إلى بكاء يعقوب على يوسف . والمعنى أن الروض نجما ببكاء السحاب كما
نجما يوسف ببكاء يعقوب (عليهما السلام) ، إذ إن للألام قيمة إيجابية وللضراعة أثر
معجز .

(٢) لعلها إشارة إلى قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « كم من أشعث أغبر ذى
ظمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره » رواه الترمذى فى المناقب ٥٤ - ٥٦ .

هذا السحابُ عندي كيعقوب ، والزهرُ عندي كيوسف في الروض
تفتح وجهُ كلِّ يوسف ، من نائراتِ دموعنا

فطرةً منه تغدو جوهراً ، فطرةً منه تغدو غيرها
وبالمال والنعمة تمتلئ قيعانُ أكفنا ، بعد أن ملئت شوكا (٢)

أغلق الشفة كالصدف ، أتمل أنت ؟ ، لا تتقدم الصف
حتى يعود المقيون منا ، من عالم الغيب إلينا

* * *

(٢) ملئت الأكف شوكا بسبب الفقر والعوز .

أيها الساقى ، أعطنى الخمر جزافاً ، كى يقل عندى الخوف والرجا
اضرب رقبة الفكر : نحن من أين ، ومن أين هو !

قدم الصهباء قدم ، استأصل الوعى من أصله
وذاك العيش الذى برز سافراً ، فك عنه وثاقا (۱)

انظر الخانين يتقافزون ، من قيد الوجود تخلصوا
فى غفلة من القلب أحبوا ، فقد كان هذا القلب فحاً للبلا

عجل إلينا ، هلم ، فقد طال المدى ،
هذا الإقليم (۲) قد أصاب القلب بضر وأذى
فأسكر القلب ، هدده خاطره ، بقولك : عجل إلينا

أمسك الخبز عني ، أمسك الماء عني ، أمسك الراحة والنوم عني
يا من ظمأ عشقك يفتدى ، بمائة مثلنا

(*) مطلعها : مى ده گزافه ساقيا ، كم شود خوف ورجا

گردن بزى انديشه را ، ما از كجا او از كجا

(۱) يعنى بها الحياة الآخرة ، وهى الحياة الحقة ، لقوله تعالى : ﴿ وإن ائدار الآخرة لهى
الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ (سورة العنكبوت ، آية ۶۴) ، وهو هنا يسأل مرشده أن
يلغض بعض أسرار تلك الحياة لتمتع روحه بشئ من مباحها .

(۲) هذا الإقليم : يعنى به الدنيا .

أنا اليوم ضيفك ، ثمل ، ذهبتُ بي الفكر
قد ذاع بالمدينة هذا الخبر : اليوم سعد ، الصلا (٣)

أطل من القلب بغنة خيالٍ خيبي ، كالبدر من الأفق
أو كالزهر من العشب والكلا

الدنيا بكل خيالاتها ، تأتي صوب خياله تسعى
كقطع الحديد تنجذب إلى المغناطيس جذباً

اليواقيت حين جاءته تسعى كانت حجراً ، والأسد كانت حمراً
والسيوف كانت ترساً ، والشمس ذرات وهباً

غدا العالم كجبل الطور ، قد ملئت فيه كل ذرة بالنور
كموسى قد خرّ صعقاً ، ذاهب اللب وقت اللقا

كل وجود إنما هو في وصاله (٤) ، في وصال أصل أصله
ألا همزاً بالعدم ولمزاً ، ألا تصفيقاً للتجلي ومرحياً

* * *

(٣) انظر ما سبق ص ٤٩ ، هامش رقم ١٢ .

(٤) لا يتحقق الوجود للشئ إلا بوصله بالحق تعالى .

أيها الساقى ، أعطني الخمر جزافاً ، كى يقل عندى الخوف والرجا
اضرب رقبة الفكر : نحن من أين ، ومن أين هو ا

قدم الصهباء قدم ، استاصل الوعى من أصله
وذاك العيش الذى برز سافراً ، فك عنه وثاقا (١)

انظر الجنين يتقافزون ، من قيد الوجود تخلصوا
فى غفلة من القلب أحبوا ، فقد كان هذا القلب فحاً للبلا

عجل إلينا ، هلم ، فقد طال المدى ،
هذا الإقليم (٢) قد أصاب القلب بضر وأذى
فأسكر القلب ، هدده خاطره ، بقولك : عجل إلينا

أمسك الحبز عني ، أمسك الماء عني ، أمسك الراحة والنوم عني
يا من ظمأ عشقك يفتدى ، بمائة مثلنا

(*) مطلعها : مى ده گزافه ساقيا ، كم شود خوف ورجا

گردن بزن اندیشه را ، ما از کجا او از کجا

(١) يعنى بها الحياة الآخرة ، وهى الحياة الحقة ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِنِ الدَّارِ الآخِرَةُ لَهِيَ
الْحَيَوَانِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة العنكبوت ، آية ٦٤) ، وهو هنا يسأل مرشده أن
يفض بعض أسرار تلك الحياة لتتمتع بروحه بشئ من مياهاها .

(٢) هذا الإقليم : يعنى به الدنيا .

أنا اليوم ضيفك ، ثمل ، ذهبت بي الفكر
قد ذاع بالمدينة هذا الخبر : اليوم سعد ، الصلا (٣)

أطل من القلب بغتة خيال حبيبي ، كالبدر من الأفق
أو كالزهر من العشب والكلأ

الدنيا بكل خيالاتها ، تأتي صوب خياله تسعى
كقطع الحديد تنجذب إلى المغناطيس جذبا

اليواقيت حين جاءته تسمى كانت حجرا ، والأسد كانت حمرا
والسيوف كانت ترسا ، والشمس ذرات وهبا

غدا العالم كجيل الطور ، قد ملئت فيه كل ذرة بالنور
كموسى قد خر صعقا ، ذاهب اللب وقت اللقا

كل وجود إنما هو في وصاله (٤) ، في وصال أصله
إلا همزا بالعدم ولمزا ، ألا تصفيقا للتجلي ومرحبا

* * *

(٣) الطور ما سبق ص ٤٩ ، هامش رقم ١٢ .

(٤) لا يتحقق الوجود للشيء إلا بوصاله بالحق تعالى .

سَيِّدِي تَعَالَى ، سَيِّدِي تَعَالَى ، سَيِّدِي - مرةً أُخْرَى - تَعَالَى
لَا تَنْتَحِلُ الْأَعْدَارَ ، لَا تَنْتَحِلُ الْأَعْدَارَ ، أَيُّهَا الْبَدْرُ الْعِيَّارُ تَعَالَى

أَبْصِرِ الْعَاشِقَ الْمَهْجُورَ ، أَبْصِرِ الْعَالَمَ الْمَلِيءَ بِالْغَوَايَةِ وَالشُّرُورِ
أَبْصِرِ الظَّمَانَ الْمَخْمُورَ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ الْخَمَّارُ تَعَالَى

أَنْتِ الْقَدَمُ ، أَنْتِ الْيَدُ ، أَنْتِ الْوَجُودُ لِكُلِّ مَوْجُودٍ
أَنْتِ الْبَلْبَلُ السَّكْرَانُ ، صَوِّبِ الرِّيَاضِ تَعَالَى

أَنْتِ الْأُذُنُ ، أَنْتِ الْعَيْنُ ، أَنْتِ صَفْوَةُ الْكُلِّ
أَنْتِ هَوْسُ الْفَتَنْطَفِ ، فَالِي نَاصِيَةِ السُّوقِ تَعَالَى

يَا مَنْ عَنِ الْعَيُونِ اخْتَجَيْتِ ، لِلْكُلِّ رُوحٌ وَعَالَمٌ أَنْتِ
عُدُّ لَنَا رَاقِصًا ، وَدُونَ قَلْبٍ وَعِمَامَةٍ تَعَالَى

أَنْتِ نُورُ النَّهَارِ الْمُبِينِ ، أَنْتِ الْفَرْحُ الْمَحْرُوقُ لِيَهُمْ كُلِّ حَزِينٍ
أَنْتِ بَدْرُ أَضَاءِ اللَّيْلِ ، يَا سَحَابًا بِالسُّكَّرِ مُحْمَلًا ، تَعَالَى

(«) مَظْلَعُهَا : خَوَاجِه بِيَا ، خَوَاجِه بِيَا ، خَوَاجِه دَغْر بَار بِيَا

دَفَعَ مَدَه ، دَفَعَ مَدَه ، أَيُّ مَه عِيَّار بِيَا

وَتَبَدَّرَ الْقَصِيدَةَ وَكَانَتْهَا دَعْوَةٌ إِلَى شَمْسِ الدِّينِ لِكَيْ يَعُودَ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ أَنْ غَابَ وَتَخَفَى .

يا عَلِمًا لِعَالَمٍ جَدِيدٍ ، كُلُّ عَقْلِ أَمَامَكَ رَهِينٌ
مَرَّةً لَانَاتٌ ، وَمَرَّةً أُخْرَى لَا تَمُضُ ، انْهَضْ دَفْعَةً وَتَعَالَ

يا قَلْبًا مُخْضَبًا بِدَمٍ ، كَثِيرًا مَا كَانَ فَتْنَةً وَجُنُونًا
قَدْ نَضِجَ الْكُرْمُ الْآنَ ، فَلَا تَعْصِرِ مِنَ الْعَنْبِ مَا كَانَ حِصْرًا مَا (١) ، وَتَعَالَ

يَالَيْلَةَ نَكْرَاءٍ اَمْضِ ، يَا حُزْنَنا مُضْمَرًا اَمْضِ
يَا عَقْلًا نَائِمًا اَمْضِ ، وَيَا سَعْدَ الْيَقِظَانِ تَعَالَ

يَا قَلْبًا مُشْرَدًا تَعَالَ ، يَا كَبِدًا مُمَزَّقًا تَعَالَ
وَإِنْ كَانَ طَرِيقُ الْبَابِ مُغْلَقًا ، فَعَنْ طَرِيقِ الْجِدَارِ تَعَالَ

يَا نَفْسَ نُوحٍ تَعَالَ ، يَا هَوَسَ الرُّوحِ تَعَالَ
يَا مَرَهْمَ الْمَجْرُوحِ تَعَالَ ، يَا شِفَاءَ الْغَلِيلِ تَعَالَ

يَا قِمْرًا مُضِيئًا اَمْضِ ، وَابْحَثْ عَنِ مَاءِ جَارٍ فِي الْقَلْبِ
ابْحَثْ عَنِ سَعْدِ الْعَشَاقِ ، ثُمَّ رَغْمَ أَنْفِ الْأَغْيَارِ (٢) ، تَعَالَ

حَسْبُكَ الْآنَ أَيُّهَا النَّاطِقُ الْحَبِيبُ ، فَقَدْ أَفْرَطَ اللِّسَانُ فِي الْوَجِيبِ
قَدْ طَالَ قَرْعُكَ طَبْلَ الْبَيَانِ ، فَبَغِيرِ هَمْسٍ وَنُطْقِ تَعَالَ

(١) الحِصْرُ : العَنْبُ غَيْرِ النَّاضِجِ .

(٢) الْأَغْيَارُ : مَنْ هَمَّ عَلَى غَيْرِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ .

لنا صاحبٌ ، لنا غارٌ (١) ، لنا عشقٌ يضرمُ الكِبَادَ بنا
أنتَ الصاحبُ ، أنتَ الغارُ ، سيدي فأوني

أنتَ نُوحٌ ، أنتَ الرُّوحُ ، أنتَ الفاعحُ والمفتوحُ
أنتَ الصُّدرُ المشروحُ (٢) ، أنتَ سرِّي المملوءُ بالدرِّ

نورٌ أنتَ ، فرحٌ وسُرورٌ أنتَ ، إقليمٌ منصورٌ أنتَ
أنتَ طائرٌ جبلِ الطُّورِ ، بمنقارك انقروني

قَطَّرَ أنتَ ، بَحَّرَ أنتَ ، لطفٌ أنتَ ، قهرٌ أنتَ
سُكَّرَ أنتَ ، سُمَّ أنتَ ، فحسبُكَ لا تؤذني

قُرْصُ الشَّمْسِ أنتَ ، بُرْجُ عَطاردٍ أنتَ
واحةُ الرجاءِ أنتَ ، فعلى الطَّرِيقِ دُلّني

(*) مطلعها : يا مَرا ، غارُ مَرا ، عشقُ جِگرِ خوارِ مَرا

يا مَرا توبی ، غارِ توبی ، خواجه انگهدارِ مَرا

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ (التوبة : ٤٠)

(٢) إشارة إلى قوله تعالى لنبه ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ (الشرح : ١) والشاعر هنا يخاطب شيخه باعتبار أن العلماء ورثة الأنبياء .

أنت النهار ، أنت الصوم ، أنت حاصل التسوّل
أنت الماء ، أنت الإناء ، فهذه المرأة أروني

أنت الحب ، أنت الفخ ، أنت الخمر ، أنت الدن
ناصح أنت ، نبي أنت ، فيثا لاتتركني

لو كان هذا الجسد مرناً ، لكف عن قطع الطريق على قلبي
أو كان قد واصل السير ، لما كان قد صدر كل هذا القول عني

* * *

برئتُ من هذه النفس ومن الهوى ، الحى فى بلاء والسميتُ فى بلاء
فى الحياة وفى الموتِ ليس لى وطنٌ ، إنما وطنى فضلُ الله ، ليس إلا

برئتُ من هذا الشعر وهذا الغزلُ ، أيها المليكُ يا سلطان الأزلُ
إن مُفتعلنَ مُفتعلنَ مُفتعلنَ^(١) ، قد سفكن منى الدما

قل للسيل العرمُ ، اذهب بكل قافية ومغلطة واضطرم
فكل ذلك كان جلدًا ، كان جلدًا ، يناسب لب الشعر (٢)

يا من تلزم الصمت ، أنت لى ، أنت ستر لكل ما دق عندي
فحسب الصمت فضلًا أنه ، قد خلا من الخوف والرجا

ليس على القرية الخربة عُشر الأرض ، فقد رُفع الخراج عن الخراب ،
سكرانٌ وخرابٌ أنا ، وكل ما فى منطقى نقدٌ وخطا

(*) مطلعها : رستم ازهن نفس وهو ، زنده بلا مرده بلا

زنده ومرده وطنم نيست ، بجز فضل خدا

(١) معنى بمفتعلن : قول الشعر فقد أهاج خاطره ، وأثار فيه من الشعور والوجدان ما لا يمكن التعبير عنه ، فحافظ على موسيقى هذه الشطرة ، لكنه أفرغها من الكلمات .

(٢) الشعر عندي كجلد الإنسان ، لا يبدو من خلاله السيل العرم من الشاعر التى تضطرم بجوفه ، بل لا يكاد يبين عن دخليته .

كي لا يجعلني خرباً ، متى يعطيني ذلك الكنز (٣)
كي لا يسلمني للسيل ، متى يجذبني بحر العطا

ما أدري الرجل المقوّه بصمت كالسكر
وما أدري الحطب الجاف بالغصن الرطيب ذي الندى

مرآة أنا ، مرآة أنا ، لستُ رجلَ مقالاتِ أنا
تروّن حالي عياناً ، إن غدّت أذانكم عيوناً (٤)

يدي مدلاة كالشجر ، أجوبُ الفلك كالقمر
فلكي بلون الأرض ، أظهرُ من فلك السما (٥)

أيها العارفُ الحاكى ، خبرني كي أدعوك
فانا أغدو كل سحر ، نشوان ثملاً وقت الدعاء

لا عيب في مرقعة وخرقة منك نلتها
وما وصلني من السلطان قسمته ، النصف لي والنصف لك صرفاً

(٣) إنما يعثر على الكنوز في الخرابات غالباً.

(٤) بمعنى : سوف تتمكون من إدراك حالي الوجودية الروحية حين تصبح أذانكم قادرة

على الرؤية ، بمعنى أن هذا الحال لا يوصف باللسان بل لا بد لك من معاينته ومشاهدته .

(٥) فسمع أي ترابي خلقني الله من تراب الأرض إلا أن فلك وجودي أظهر من فلك السماء

نفسها بسبب النفخة الإلهية التي حياني الله بها ، لقوله تعالى عن خلق الإنسان : ﴿ فإذا

سويته ونفخت فيه من روحي ... ﴾ (الحجر : ٢٩ وسورة ص : ٧٢) .

كفُّ السُّلْطَانِ يَنَاوِلُنِي قَدَحَ الْقَدَمِ وَكَاسَهُ
وَعَيْنُ الشَّمْسِ تَسْأَلُنِي جُرْعَةً مِنْهُ تَسْوِلاً (٦)

أنا الصامتُ متعبُ الخلقِ ، أيها العارفُ الناطقُ خبّرني
فَنَفْسُكَ نَفْسُ دَاوُدَ ، وأنا كالجبلِ حينَ أَرَبُ أَوْبًا (٧)

* * *

(٦) إشارة إلى أن الخلاق كلها - حتى الشمس نفسها - تغبط الإنسان على تكريم الله - تعالى - له .

(٧) في الأصل : وأنا كالجبل أتحرك من مكاني . والإشارة إلى قصة داود - عليه السلام - حين كان يرتل مزاميره بصوت شجي فتراجع الجبال معه ترتيله والطيور ، لقوله تعالى : ﴿ يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعِيَ وَالطَّيْرُ ... ﴾ (سورة سبأ : ١٠) .

آه ، فصدرُ القصرِ ^(١) لا يؤذنُ لنا بالمشول ،
لا يفتحُ محرمُ الروح أن يكونَ محرمَ أسرارى

لطفه ، وحسنه ، وجلاله ، وحدةُ النارِ في نظرتِه
سؤاله شبيهُ السكر ، أخذنى فلم يفلتننى

قال لى : "أين حبُّك ؟ أين لونك ؟ أين مجدك وجلدك ؟
آه ، ساعةُ الرؤيةِ كيف يبقى اللونُ والرائحةُ منى

غريقُ أنا فى بحرِ كرمه ، عبدُ أنا لأنفاسِ صبحِ
فيه تلكِ الوردةُ العطرةُ صوبِ الروضِ تجذبُننى

كلّ من اتخذَ سبيلَه فى النهارِ ، وثوبَه عليه مُحكمٌ ...
فكم من غنتِ ألقى وكم ثقُلَ الخِرقةُ والعِمامةُ عليّ

المُلكُ وأسبابُ النعم ، وذواتُ الوجهِ القمريّ شبيهاتُ السكرِ
حقيقةٌ واقعةٌ ، طالما كانَ الحبيبُ وفيأ لى

(*) مطلعها : آه كه أن صدرِ سرا مى ندهد بارِ مرا

مى تكند محرمِ جانِ محرمِ اسرارِ مرا

(١) صدرُ القصرِ : كبيرُ الحجابِ الذين يأذنون للناس بالمشول بحضرةِ السلطان .

الْعِدَّةُ وَالْحَرْفَةُ لَكَ ، الْعِلْمُ وَالْفِكْرُ لَكَ
الْأَسَدُ لَكَ ، الْغَايَةُ وَالِدَغْلُ لَكَ ، يَا ظَبِيْنَا التَّرِي

يَنْشَىُ غَيْرَ الْمَوْجُودِ ، يَنْشَىُ الْمَوْجُودِ ، يَنْشَىُ مَا لَا قَلْبَ لَهُ وَلَا يَدَ
يَقْدَمُ الْخَمْرُ ، يُسَكِّرُ : خَمَّارِي السَّاقِي (١)

أَيُّهَا الْقَلْبُ لَا تَخَانِلُ ، لَا تُثْرُ الْفِتْنَةَ وَالغَضَبَ
لَا تَشْهَرُ بِي ، وَلَا تُفْشِ عَلَيَّ نَاصِيَةَ السُّوقِ أَمْرِي

لَا تَنْبَسُ عَنِ الْاَلْتِنِينَ بِحَرْفٍ ، وَلَنْ ، وَلَا تُقَلُّ اَلْتِنِينَ كَالْتَنُوِي
اطْلُبْ أَصْلَ السَّبَبِ ، فَقَدْ كَفَّانِي مَا شَهِدْتُ مِنْ آثَارِ ، كَفَّانِي (٢)

* * *

(١) الخَمَّارُ السَّاقِي : الشَّيْخُ وَالْمُرْشِدُ الَّذِي يَتَعَهَّدُ السَّالِكُ بِالتَّرْبِيَةِ الرُّوحِيَّةِ ، فَيَقْدَمُ لَهُ زَادًا
جَدِيدًا مِنَ الْمَعْرِفَةِ ، أَوْ يَضْفَى عَلَيَّ مَا لَدَيْهِ مِنْ مَعْرِفَةٍ أَبْعَادًا أُخْرَى خَفِيَّةً ، وَيُعْنَى عَايَةَ
العناية بكلِّ ماله صلته بالروح ، كَمَا يَنْشَى السَّالِكُ فِي النِّهَايَةِ بِبَهْجَةِ الْمَعْرِفَةِ .
(٢) أَي لَانِكُن كَالْتَنُوِيَّةِ الْقَانِلِينَ بِمَبْدَأِ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ - وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَعَلَيْكَ بِالتَّرْحِيدِ .
وقوله اطلُبْ أَصْلَ السَّبَبِ أَي اِبْحَثْ عَنِ أَصْلِ السَّبَبِ ، أَي اِبْحَثْ عَنِ أَصْلِ الشَّيْئِينَ :
الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، فَلَسْتَ بِحَاجَةٍ إِلَى الْآثَارِ .

* (٢٠)

بشفتة ما أحلى الكلام والسماع وما جرى ،
سبباً حين يفتح الباب ويهتف : سيدي ، هلم أقبل علينا

بشفة جافة يحكي قصة عين ماء الخضر (١)
وخياط عشقه يحكي على قد كل امرئ عباً

العيون تسكر من سكرات عينه السكرى (٢)
الشجر يرقص للطف ربح الصبا

يقول البلب لشجرة الورد : ماذا يضير قلبك
أبسطى القول الآن ، فليس هناك أحد ، أنت وأنا ، ليس إلا

تقول : « طالما أنت معك ، فلا ترم هذا أبداً
اجهد كي تحمل من هذا القصر متاعاً أنت »

(*) مطلعها : بالبال او چه خوش بود گفت و شنید و ما جرا

خاصه كه در گشاید و گوید : "خواجه! اندرا"

(١) عين ماء الخضر : ماء الحياة ، من يشرب منها ينال الخلود ولا يدركه الموت .

(٢) نظرة الشيخ وحدها تحدث الوجد في قلوب المريدين .

فَاعْلَمْ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنْ ثُقْبَ إِبْرَةِ الْهُوسِ بِالْغُضِّيقِ
لَا يَسْمَحُ بَوْلُوجِ الْحَبْلِ حِينَ يَبْدُو مُزْدَوَجًا (٣)

* * *

(٣) يعني أن الشيخ والمرید كلاهما واحد في طريق العشق. (راجع المقدمة، ص ٢٨-٢٩).

• (٢١)

أَتَى لَنَا فِي الْعَالَمِينَ يَا مِيرَ لَطِيفٍ مَلِيحٍ كَأَمِيرِنَا
لَمْ يَنْقُطْ لَهُ جَبِينٌ (١) مَعَ أَنَّهُ رَأَى مَائَةَ ذَنْبٍ وَخَطَا

افْتَحَ الْعَيْنَ وَطَالَعَ الْوَجْهَ ، ارْتَكَبَ الْجُرْمَ وَانظَرَ الطَّبِيعَ (٢)
انظُر طَبِيعًا كَأَنَّهُ مَاءُ الْغَدِيرِ ، كُلُّهُ نَدَى وَصَفَا

أَنَا مِنْ سَلَامَةِ الْحَارِ وَتَرْحَابِهِ ، ذُبْتُ مِنْهُ خَجَلًا
فَمِنْ كَلَامِهِ النَّاعِمِ ، تَذَوَّبْتُ الْحِجَارَةَ ذَوْبًا

أَحْمِلْ إِلَيْهِ سُمًّا ، يَجْعَلُهُ أَحْلَى مِنَ السُّكَّرِ (٣)
أَحْمِلْ إِلَيْهِ قَهْرًا ، يُحِيلُهُ كُلَّهُ رِضًا

انظُر "مَاءَ الْحَيَاةِ" عِنْدَهُ ، وَلَا تَخْشِ الْأَجَلَ أَبَدًا
لُدَّ عِنْدَهُ بِالرِّضَا ، وَلَا تَرْتَعِدْ مِنَ الْقَضَا

(*) مطلعها : در دو جهان لطیف و خوش همجو امیر ما کجا ؟

ابروی او گره نشد ، گرچه که دید صد خطا

(١) ای لم یستبد به الغضب .

(٢) ای افترف ماشئت من ذنوب وانظر موقفه وطبعه الحسن منك برغم ذلك .

(٣) يرى جلال الدين أن الأولياء والأقطاب ليس بينهم وبين غيرهم من الناس تجانس ذاتي ؛

فهم يختلفون اختلافًا كليًا عن سائر الناس : علمانهم وجهالهم وإن كانوا بشرًا مثلهم .

ويتبع هذا التباين تباين آخر في الأحوال والطبائع الجسمانية والروحية ، ويشير جلال

الدين هنا إلى ذلك التباين ، فالسُّمُّ عند الولي سُّكَّرٌ ، والقهر رِضًا ، والتذلل إليه هو عين

العز . . الخ . (راجع : جلال الدين همالي ، مولوى نامه ، ص ٢٤١) .

إِنْ تَسْجُدْ أَمَامَهُ ، يَعْزُكَ بِالسُّجُودِ
حَتَّى لَوْ صِرْتَ طَرِيحاً تَحْتَ الْقَدَمِ ، كَاخْصِيرِ وَالْبُورِيَا (٣)

الْقَلْبُ كَالْحَمَامِ إِنْ حَلَّقَ طَائِراً مِنْ فَوْقِ سَطْحِكَ (٤)
كَانَ خَيَالُ سَطْحِكَ قِبْلَةً رُوحِهِ فِي الْهَوَا

أَنْتِ السَّطْحُ وَأَنْتِ الْهَوَا لَيْسَ إِلَّا ، وَكُلُّ ذَهَابٍ هَوَسٌ لَيْسَ إِلَّا
مَاءُ الْحَيَاةِ رُوحُكَ ، وَالصُّورُ كُلُّهَا سِقَا (٥)

لَا تَذْهَبُ بَعِيداً ، لَا تَبْغِ السَّفَرَ ، فَمَمْرُكَ أَمَانُكَ هَاهُنَا
لَا تَرْفَعِ الصَّوْتِ ، فَهُوَ يَسْمَعُ تَحْتَ الشَّقَةِ مِنْكَ الدُّعَا

يَسْمَعُ دُعَاكَ ، وَهُوَ يَسْتَجِيبُ لَكَ
قَائِلاً : « يَا مَنْ لَا تُعِيرُنِي سَمْعَكَ ، دَعِ الصَّمَمَ وَكُلَّ سَمْعِكَ أَعْطَانَا »

(٣) البورياء : "الخصير المنسوج .. معرب" ، القاموس المحيظ .

(٤) فالقلب وقد أهبط إلى الأرض بهطل أبداً ينتقل إلى العودة إلى أصله ومنطلقه .

(٥) السقاء : وعاء من جلد يكون للماء . ولعل الشاعر يريد أن الأصل في مراحل تطور الإنسان هو البقاء والخلود (ماء الحياة) والصور التي يتبدى فيها الإنسان في كل مرحلة ليست إلا أوعية وقوالب للروح .

راجع ما نقلناه عن جلال الدين في ديوانه "المثنوى" فيما سبق ، هامش ص ٧٦-٧٧ ،
ومقدمة هذا الجزء ص ٣٨ .

لو لم يكن حديثه ولفظه ، لما كانت روحك تناوئه
تأوه ، فأهتك تسلك طريقها إلى الله تعالى

تروق لي السواقي حين تدور ، فيها أروى البستان
تنضج الثمار بماء الروح ، التابعة من السبخة والحجر والحصا

استحال الروض أصفراً ذائباً ، لعله يشرب من ماء الروح
فقل للغصن المنكسر : ' اشرب الماء مجرباً '

الليل يمضي ، فهلم بنا إلى الحضرة كي نسمع حديث الملك ،
قف الليل - طول الليل - قائماً على قدميك حتى السحر ،
كالقمر في السما

* * *

أيها القلب ، لا تنأ حظة عن وقت السعد والإقبال والهنأ
ارتشف ريق العناقيد تارة ، وامضغ السكر تارة أخرى

هو (١) فى الباطن كالعقل الكلى (٢) ، وفى الظاهر كوز من الطين (٣)
تارة إلهام بأمر قل (٤) ، وتارة تشريف به أعطينا (٥)

تصورات روحانية ، فرح بغير ندم
فى خفاء عن الحرب والسلم ، من سر ، السر وأخفى (٦)

القسمات المليحة بكل وجه ، قطرة من ذاك البحر
كيف يرتوى بقطرة ، من يعاني داء الاستسقا ؟ (٧)

أيها القلب ، لك مخرج من هذى السجون الضيقة إلى باحات فسحة
أو قد وهنت ، أو تظن ألا قدم لك .

(*) مطلعها : از ابن اقبالگاه خوش مشو يك دم دلا تنها

دمى مى نوش بادى جان ويك لحظه شكر مى خا

(١) يعنى الإنسان فى حقيقته . (٢) كناية عن جبريل .

(٣) أى جسد من تراب . (٤) قل : مستهل آيات كثيرة من القرآن .

(٥) أعطيناك : إشارة إلى قوله تعالى للرسول ﷺ ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ (الكوثر ، ١) .

(٦) السر وأخفى : إشارة إلى قوله تعالى : ﴿إنه يعلم السر وأخفى﴾ (سورة طه ، آية ٧) .

(٧) الجمال فى العالم انعكاس لجمال الحق تعالى ، وهو مجرد انعكاس لا يُعد إلا طيفاً
وجزءاً واحداً من مائة جزء من الأصل ؛ فمن ذا الذى يقنع بالجزء عن الكل ، وبخاصة
إذا استبد به الشوق إلى الجمال الحق .

أَغْمَضَتْ كِلْتَا عَيْنَيْكَ ، وَتَقُولُ : "أَيْنَ النَّهَارِ الْمُنِيرِ ؟"
تَصْفُحُ الشَّمْسُ (٨) عَيْنَكَ قَائِلَةً : "اِفْتَحِ الْبَابَ ، هَا أَنْذَا"

من هذه الناحية تُجذبُ ، ومن تلك الناحية تُجذبُ
لا تَمُضْ أَيُّهَا النَّقِيُّ بِشَيْءٍ عَكْرٍ ، حَلِّقْ مِنْ هَذَا الْعَكْرِ ، اصْعَدِ إِلَى الْعُلَا

كُلُّ مَا تُخْفِيهِ مِنْ فِكْرٍ ، هُنَاكَ فِي جَوْفِ الصُّدْرِ
يَصَاعِدُ مِنَ الْقَلْبِ لَوْنٌ وَوَسْمُ الْفِكْرِ ، فَيَغْشَى الْوَجْهَ بِلَا خَفَا

ضَمِيرُ كُلِّ شَجَرَةٍ أَيُّهَا الْحَبِيبُ ، يَظْهَرُ مِمَّا تَشْرَبُ كُلَّ بَدْرَةٍ بِدَرْتِ
فَتَبْدُو عَلَى الْفُرُوعِ وَالْأَغْصَانِ ، نَتِيجَةُ شُرْبِهَا حَتْمًا

فَمَنْ الْحَبِّ مَا إِذَا شَرِبَ التَّفَاحَ ، نَمَتَ مِنْهُ لِلتَّفَاحِ أَوْرَاقُ
وَمَنْ الْحَبِّ مَا إِذَا شَرِبَ التَّمْرَ ، نَمَا فِي أَعَالِيهِ الْبَلْحُ رَطْبًا جَنِيًّا

* * *

(٨) لعل الشاعر يشير هنا إلى شيخه ومرشده شمس الدين التبريزي الذي يعدّه شمساً حقيقيّة تنبذ بها الظلمات ويتضح بنورها ملامح عالم جديد .

* (٢٣)

جاء الربيعُ جاءَ الربيعُ ، فسَلَّمَ على السُّكاري
قد أتى من نبيِّ الحِسان ، بِرِسالَةٍ إلى السُّكاري

روى لسانُ السُّوسن عن الساقِي كراماتِ السُّكاري
حين سَمِعَ السُّرو من السُّوسن ، انتصبَ قائماً للسُّكاري

ومنذُ البداية بَعَثَ الرُّوضُ في المجلسِ النُّقلَ
حين شاهدَ الشقائقِ الجبليَّةَ (١) قد أتتْ بقَدحٍ للسُّكاري

بسببِ من بُكَّاءِ سحابِ نيسان ، احتالَ نفسُ الشِّتاءِ الباردِ
فاستدرجَ من السُّترِ إلى الفُخِّ أولئك السُّكاري

ارتشفوا سقايمَ ربهم* (٢) ، ففقدوا كلَّ وقارٍ وحُرمةٍ
حين جاءتْ رسالةُ الساقِي بِمِ سَمَى السُّكاري (٣)

(*) مطلعها : بهار آمد ، بهار آمد سلام آورد مستان را

از آن پیغامبر خوبان پیام آورد مستان را

(١) الشقائق : زهور كبيرة حمراء قانية .

(٢) تضمين من قول الله تعالى : ﴿ وسقايم ربهم شرباً مطهوراً ﴾ (الإنسان : ٢١) .

(٣) أى حين ذكر الساقى أسماءهم فى جمع من الأخيار .

ادخل روضة الباقي ، اصعد إلى السطح ، فالساقى
أتى من دار الغيب الخفية برسالة للسكارى

إذا ارتدى الحسان الحبل ، فادخل الروض وسرح الطرف
تلقى الساقى وقد أوفى على التمام للسكارى

قد أتى للأرواح بالربيع ، ولفتنا صوب الحبيب
فانظر أى سعادة أتى بها ، من بين ما أتى للسكارى

من قبل شمس الدين التبريزى ، جاء ساقى السعد فجأة
فقدم - فى القدح السلطانى الخاص - خمراً خالصاً للسكارى

* * *

* (۲۴)

إِنْ لَمْ تَكُنْ طَالِباً ، فَصِرْ طَالِباً مَعْنَا
إِنْ لَمْ تَكُنْ مُطْرِباً ، فَصِرْ مُطْرِباً مَعْنَا

وَلَوْ كُنْتَ قَارُونَ ، فَصِرْ فِي الْعَشْقِ مُفْلِساً
وَإِنْ كُنْتَ مَيْدَا مِهَاباً ، فَصِرْ عَبْدَا مَعْنَا

شَمْعَةً وَاحِدَةً مِنْ هَذَا الْمَجْلِسِ تُضِيءُ مِنَ الشَّمْعِ أَلْفَا
أَيَا مَا كُنْتَ مُطْفِئاً أَوْ حَيَاً ، فَأَنْتَ تَغْدُو مُنِيرَا مَعْنَا

تُسْرِعُ أَقْدَامَكَ فِي الْمَسِيرِ ، يُشِيعُ مِنْكَ النُّورُ
وَقَدْ تَغْدُو بِأَجْمَعِكَ وَرَدَاً ، دَائِمَ الضَّحِكِ مَعْنَا

أَقْبَلْ بِخِرْقَةٍ بَالِيَةٍ حِينَا ، كَمَا تَرَى الْقُلُوبَ الْحَيَّةَ فِينَا
اطَّرَحَ الْحَرِيرَ الْأَطْلَسَ جَانِبَاً ، وَصِرَ فِي خِرْقَةٍ بَالِيَةٍ مَعْنَا

حِينَ أَصْبَحْتَ الْحَبَّةَ مُلْقَاةً ، نَمَتْ ، ثُمَّ شَجِرَةٌ صَارَتْ
إِنْ أَنْتَ أَدْرَكْتَ هَذَا الرَّمَزَ ، صَرْتَ مُلْقِيَا مَعْنَا

(*) مطلعها : گر زانکه نی طالب ، جوینده شوی با ما

ورزانکه نی مطرب ، گوینده شوی با ما

يقولُ شمسُ الحَقِّ التبريزيُّ لِبُرْعَمَةِ القلبِ
إن تفتَحَ عَينُكَ ، صِرتَ بِصِيرةً مَعَنَا

* * *

أيها السيد ، ألا ترى أمامك يوم القيامة (١) ؟
أيها السيد ، ألا ترى هذا القدر الفارع والقامة ؟

جدار البيت والباب ، فى هياج وجنون
ها أنا ذا فوق الجدار كدليل وعلامة

القمر الذى لا يتحف أبداً بالنجوال (٢)
قد مزقت شمس جماله كل ظلامه

أيها السيد طاهر الذليل (٣) ، أمجنون أنت أم أنا
تجرع معى قدحاً ، ودع العتبي والملامه

قد كان قبلك كثير ممن ينشد الكرامات
فلما رأى وجه الساقى ، أحرق كل كرامه

* * *

(*) مطلعها : اى خواجه نعى بينى اين روز قيامت را

اى خواجه نعى بينى اين خوش قد وقامت را ؟

(١) القيامة : هى التسليم الكامل ، بالتخلّى عن الشهوات ، ويرمز إليها بالولادة الثانية .
(فرهنگ ديوان شمس تبريزى) .

(٢) على عكس القمر فى السماء الذى يتحول ويصبح نحيفاً بعد أن يكتمل تماماً ، ولعله يريد به شيخه شمس الدين التبريزى الذى كان دائم التجوال من بلد إلى بلد يشع بنور الحق فيبديد الظلام حيثما حل .

(٣) على سبيل السخرية والتهكم .

أَيُّهَا السَّاقِي الْحَيِّيبُ ، اَمْلَأْ ذَلِكَ الْقَدَحَ الْمَقْدَمَ
قَاطِعَ طَرِيقِ الْقَلْبِ ، كَاشِفَ طَرِيقِ الدِّينِ

فَمَا يَصْدُرُّ عَنِ الْقَلْبِ وَيَمْتَزِجُ بِالرُّوحِ
فَوَرَّانُهُ يُسَكِّرُ الْعَيْنَ الَّتِي تَرَى اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ

تلك خمر^(١) من كرم لأمة عيسى
وهذه خمر من منصور لأمة ياسين^(٢)

من تلك الخمر دنان ، من هذه الخمر دنان
لا تذوق هذه أبداً ، ما لم تحطم تلك الدنان

(*) مطلعها : اى ساقى جان پُرُكُنْ اَن سَاغِرِ بِيَشِينَ رَا

آن راهزن دل را راهبر دين را

(١) يعنى : تلك خمر يتم استخراجها من العنب والكروم قد أحلتها طائفة تنسب نفسها إلى المسيح - عليه السلام - أما هذه الخمر فهي تعبير عن الشوق والمجذبة التي بدت في الحسين بن منصور الحلاج ، ولم يكن يرى - مع استغراقه في الحب الإلهي - لنفسه وجوداً ، فأخذ ينادى «أنا الحق» ، وهو ما أفضى به إلى حبل المشنقة ، حيث أُعدم وأحرق وأخذ رماده وألقى في نهر دجلة ، ويبدو المنصور في الأدب الصوفي وكأنه أسطورة الحب الخالص .

(٢) «ياسين» ، مستهل السورة رقم ٣٦ من القرآن الكريم ، وهي إشارة إلى النبي محمد ﷺ .

تلك حَمْر ، لا تُخْلِى القلب من الغم إلا بَرهة
لا تَقْتُلُ الغم إلى الأبد ، لا تَقْتُلُ العداة ولا الحقد الدفين

قطرة واحدة من هذا القدح تجعلك ذا ثروة جمّة الوافر
روحي فداء لهذا القدح الذهبي الثمين

هذا الحال إن حدث ، يحدث غالباً عند السحر
لمن هجر ليل الفراش وأسهد الجفون

إن أصابك بالوجه جرح ، فجديراً أن تروم جرحاً آخر
فما عسى رستم (٢) أن يصنع في ميدان الوعى ، بباقة وردٍ وياسمين

* * *

(٣) رستم ، البطل الفارسي المغوار ، وكان يُحسن الاستعداد للمعارك حتى لا يُمنى بالهزيمة.

صَارَتْ الْعَاهِرُ صَالِحَةً خَيْرَةً ، وَلَيْكُنْ مَا يَكُونُ
كَفَرُهَا كُلُّهُ تَحْوَلُ إِلَى إِيمَانٍ ، وَلَيْكُنْ مَا يَكُونُ

الْمَلِكُ الَّذِي اضْطَرَبُ ، اسْتَحْوِذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ لِلْأَسْفُ
ثُمَّ عَادَ مِنْ جَدِيدٍ لِسُلَيْمَانَ ^(١) ، وَلَيْكُنْ مَا يَكُونُ

الْحَبِيبُ الَّذِي كَانَ يُوَجِّعُ قَلْبِي ، وَكَانَ مُعَلِّقًا فَوْقَ وَجْهِنَا لَا يَبْرَحُ
قَدْ أَصْبَحَ الْآنَ شَفِيقًا بِالْخَلَّانِ ، وَلَيْكُنْ مَا يَكُونُ

بِتِلْكَ الطَّلْعَةِ الْمُلُوكِيَّةِ ، بِتِلْكَ الشَّعْلَةِ الَّتِي أَضَاءَتْ جَنَابَاتِ الدَّارِ
تَحْوَلُ كُلُّ رَكْنٍ إِلَى مِيدَانٍ ، وَلَيْكُنْ مَا يَكُونُ

بِغَضَبِهِ الْمُرَاوِغِ ، بِأَسْلُوبِهِ الْعَذْبِ الرَّائِعِ
تَحْوَلُ الْعَالَمُ إِلَى أَقَالِيمٍ لِلسُّكَّرِ وَجِنَانٍ ، وَلَيْكُنْ مَا يَكُونُ

(*) مطلعها : معشوقه بسامان شد ، تا باد چنين بادا

كفرش همه ايمان شد ، تا باد چنين بادا

(١) إشارة إلى قصة ضياع خاتم سليمان ، وكان الخاتم قد وقع في يد أحد الشياطين فاغتصب

ملك سليمان ، وأخيراً عاد الملك إليه .

يقول حافظ الشيرازي :

من آن نگیں سلیمان به هیچ نستانم که گاه گاه بر او دست اهرمن باشد

ومعناه :

لا يلزمني خاتم سليمان بشئ ، إذ ربما يقع ذات مرة في يد الشيطان

ذَهَبَ اللَّيْلُ وَجَاءَ الصُّبُوحُ ، ذَهَبَ الْأَسَى وَأَقْبَلَتِ الْفُتُوحُ
أَضَاءَتِ الشَّمْسُ سَائِرَ الْأَرْكَانِ ، وَلِيَكُنْ مَا يَكُونُ

بِسَعَادَةِ الْمُحْزُونِينَ : بِهَيْمَةِ الْمُجَانِينِ
تَحَرَّكَتْ تِلْكَ السُّلْسِلَةُ بِغَيْرِ تَوَانٍ ، وَلِيَكُنْ مَا يَكُونُ

جَاءَ الْعِيدُ وَجَاءَ الْعِيدُ ، جَاءَ الْحَبِيبُ الَّذِي جَرَى مِنَّا لِعِيدِ (٢)
غَدَا الْعِيدُ عِيدَانًا ، وَلِيَكُنْ مَا يَكُونُ

انظُرِ الرِّيحَ فِي الْجَوِّ ؛ مِنْ هَوَى الشُّفَّةِ الْعَذْبَةِ
رَاحَ مَعَ النَّأْيِ يُغْنَى الْأَلْحَانَ ، وَلِيَكُنْ مَا يَكُونُ

فَرَعُونَ بَرِغَمِ ذَلِكَ الْجَبْرُوتِ ، وَمَعَ كُلِّ سُوءِ الْحِظِّ وَالطَّاعُوتِ
هَذَا قَدْ صَارَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ (٣) ، وَلِيَكُنْ مَا يَكُونُ

ذَلِكَ الذَّنْبُ ، بَرِغَمِ الضَّرَاوَةِ وَالقَّبْحِ ، وَبَرِغَمِ الْجَهْلِ وَالْبَطْشِ
هَذَا قَدْ صَارَ يُوسُفَ بْنَ كِنَعَانَ (٤) ، وَلِيَكُنْ مَا يَكُونُ

(٢) لعله يشير هنا إلى عودة شمس الدين بعد اختفاله المفاجئ.

(٣) إشارة إلى إيمان فرعون عند غرقه في اليم.

(٤) إشارة إلى إدعاء إخوة يوسف - بعد أن ألقوه في الحب - أن الذنب قد أكله ، ولو كان
الذنب قد أكله حقاً - كما زعموا - فانظر كيف صار الذنب يوسف عليه السلام .

شَمْسَ الحَقِّ التَّبْرِيزِيَّ ، من فرط ما بك من عَطْفٍ وإِحْسَانٍ
صَارَتْ تَبْرِيزُ خُرَاسَانَ (٥) ، وَلِيَكُنْ مَا يَكُونُ

غَدَاً الْآنَ نَفْسُكَ رَبَانِيَا ، بِفَضْلِ أَسْلَمَ شَيْطَانِي (٦)
فَصَارَ مُسْلِمًا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ ، وَلِيَكُنْ مَا يَكُونُ

حِينَ أَضَاءَ ذَلِكَ الْقَمَرُ ، غَدَا الْكَوْنَانَ رَوْضَةً
صَارَتْ أَرْوَاحًا تَلِكَ الْأُبْدَانَ (٧) ، وَلِيَكُنْ مَا يَكُونُ

(٥) صارت تبريز التي تقع في الشمال الغربي من إيران - والتي ينتمي إليها شمس الدين - خراسان التي تقع في الشرق ، وتشرق منها الشمس .

(٦) إشارة إلى قول النبي - صلى الله عليه وسلم - ... ولكن الله أعانني عليه (يعني الشيطان) فأسلم ، (مسند ابن حنبل ، ١ : ٣٨٥) وقد لفت هذا الحديث نظر العديد من شعراء الفرس ! فقد جاء في شعر ناصر خسرو :

آن دیو را که در تن و جان من است باری به تیغ عقل مسلمان کُتَم
يعني ذلك الشيطان الذي يجرى من جسدي وروحي مجرى الدم ، بوسعي أن أجعله مسلماً بسيف العقل .

ويقول سنائي الغزنوي :

ديوى كه بر آن كفر همى داشت مراورا آن دیو مسلمان شد تا باد چنين بادا
الشيطان الذي ظل بحمله على الكفر ، أصبح ذلك الشيطان مسلماً ؛ وليكن ما يكون (٧) البدن هو القالب الظاهري لروح الانسان . ويعني أن الظواهر المادية اكتسبت صفات روحية .

لقد تقدّمت على الروح ، حتى كنتَ كيفما كنتَ (٨)
أشرقَ قدرُك وبالع في اللّمعان ، وليكن ما يكونُ

صارَ قهْرهُ رَحْمَةً ، صارَ سُمُّهُ بأجمعه عَذْباً فَرَاتاً
نثرَ سحَابُهُ السُّكَّرَ والرَّيْحَانَ (٩) ، وليكن ما يكونُ

حينَ أصبحَ الأرضُ سَمَوايَا ، غداً مَقْصُودَ السَّنَا (١٠)
كَانَ هَذَا قَبْلَ فَصَارَ كُلُّهُ ذَلِكَ (١١) الْآنَ ، وليكن ما يكونُ

صه ، فأنا نملّ ، قد أوثقَ امرؤُ يدي
صارَ الفِكرُ مَشْتَتَا حَيْرَانَ ، وليكن ما يكونُ

* * *

(٨) إشارة إلى المعراج النبوي ، حين قال الروح (جبريل عليه السلام) للرسول - صلى الله عليه وسلم - عند سدرة المنتهى تقدم يا محمد . فظهر عند ذلك قدر الإنسان وبدا ما يحظى به من مكانة وتشريف عند الحق تعالى ، حتى على الملائكة المقربين .

(٩) نعم ، لقد أعطى معراج النبي - صلى الله عليه وسلم - الأمل للإنسانية ، فحلّ الرجاء محلّ الخوف والرهبنة .

(١٠) حين علا الإنسان وارتفع على جذب المادة وجذب التراب أحبه الحق تعالى .

(١١) ذلك : إشارة إلى حالة لا يمكن التعبير عنها أو وصفها بالكلمات ، وإنما تعرف بالذوق . (انظر فرهنك دهبان شمس) .

جئت سعيداً إذا وجه القمرى ، يا سعادة الروح أقبل سعيداً
أما وقد كان ما كان ، فليكن ما يكون

يا وجه كل سعد ، أنت فى قلبنا ذكرى
يا وجه العشق الكلى ، تعال وكن فى قلبنا ذكرى

حلقت خارجاً عن هذه الطفولة (١) ، خلصنا أيها الحبيب
من منة كل مرب ، ومن غصة كل مربية خلصنا

من الحزن أنشبتنا أظافرنا فى الأحبة منا والوجوه
أيها الدف عليك بالأنين من القلب ، ويا أيها الناي تعال صارخاً إلينا (٢)

(*) مطلعها : شاد آمدی ای مه رو ، ای شادی جان شادآ

تابود چنین بودی ، تا باد چنان بادا

(١) لعله يعنى بالطفولة الإحساس الساذج بالحياة ، ويتمنى بلوغ مرحلة الإدراك والرعى الحق .

(٢) الدف يندق كما يندق القلب تعبيراً عن الأنين المتواصل ، أما الناي (وهو عبارة عن قصبه من الغاب قد قطعت من منبتها ، فهو من هذه الناحية شبيه بنا فنحن مثله قد انقطعنا عن أصلنا) فنحن إنما ندعوه لأنه يعانى ما نعانیه .

أَيُّهَا الْقَلْبُ يَا مَنْ أَنْتَ مَلِيحٌ جَمِيلٌ، صِرْ شِيرِينَ، صِرْ مَلِكًا خَسْرُو (٣)
فَإِنْ كُنْتَ خَسْرُو شِيرِينَ، فَتَعَالِ كَفْرَهَادَ فِي الْعِشْقِ تَعَالِ

* * *

(٣) شيرين و خسرو و فرهاد : ثلاث شخصيات معروفة في تاريخ الفرس و آدابهم ، و كان الملك « خسرو پرويز » قد تعرّف إلى « شيرين » و أراد زواجها ، كما كان يحبها المهندس « فرهاد » الذي كُلف من قبل خسرو بقطع أخدود في الصخر الصلد لكي يمر منه الماء إلى أعلى الجبل ، و وعده إن هو أتم مهمته أن يزوجه من شيرين ، ولكن تناهى إلى سمع فرهاد نبأ كاذب مفاده أن حبيبته شيرين قد قضت نحبها ، فألقى بنفسه من فوق الجبل الذي كان قد أتم فيه لتوّه مشروعَه الكبير فمات ، و انتهى الأمر بزواج خسرو بشيرين . و فرهاد هنا رمز للإخلاص و المعزِمة .

استمع نصيحة مني ، أتريد ألا تفتضح
فأنا خمر قد مزج بالأفيون (١) ، فحاذر أن تنزع الغطاء عنا

أضرم في ناراً ، فما عساها تصنع بي ؟
فقد أضرمت في السماء ، مائة نار ومائة شجارٍ قدماً (٢)

لو صارت السماء كلها رأساً ، وصارت الأرض كلها قدماً
فلست بتارك رأس ذلك ، ولا أنا بتارك قدم ذاك

«يا صافية الخمر في آنية المولى
أسكر نقرأ لداً ، والسكر بنا أولى»

* * *

(*) مطلعها : يك بند زمن بشنو ، خواهي نشوى رسوا

من خمره فيوم ، زنهار سرم مگشا

(١) يعنى الإغراق فى السكر ، ولتحقيق هذا الإغراق كان مدمنو الخمر يضعون الأفيون فيه .

(٢) قدماً : أى منذ القدم ، وفيه إشارة إلى جعل آدم فى الأرض خليفة ، وتعجب الملائكة لذلك ، وعصيان إبليس أمر اخق - تعالى - بالسجود لآدم ، وما كان من احتيال الشيطان لإخراج آدم من الجنة ، ووعد الحق - تعالى - لآدم ، ووعيده لإبليس .

(٣) البيت بالعربية ، وقد استخدم جلال الدين لفظ : أسكر بدلاً من أسكرى .

* (٣٠)

حَبِّدَا الْعِشْقُ ، حَبِّدَا الْعِشْقُ لَنَا يَا رَبَّنَا
مَا أَبْدَعَهُ ، مَا أَرَوَعَهُ ، وَمَا أَحْسَنَهُ يَا رَبَّنَا

بِمَاءِ الْحَيَاةِ (١) نُدِيرُ نَحْنُ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا
لَا بِالْكَفِّ وَلَا بِالنَّايِ وَلَا بِالذَّفِّ ، يَا رَبَّنَا

أَبُو الْعُرُوسِ فِي الْعُرْسِ يَتَوَارَى بِبِقَيْنِ (٢)
حِينَ تَنْتَهِيَا الْأَسْبَابَ لِتُنْثِرَ السُّكَّرَ وَالْحَلْوَى ، يَا رَبَّنَا

إِنْ حَلَّ خَيَالُهُ بِعَقْلٍ أَوْ لُبٍ
فَمَا أَعْقَلُهُ وَمَا أَبْدَعُهُ وَمَا أَبْصَرُهُ ، يَا رَبَّنَا

إِنْ أَنْ الْجَسَدُ أَنْيْنَا ، مِنْ هَمِّ الْخَسَارَةِ وَالْكَسْبِ
فَذَاكَ مِنْكَ أَنْتَ ، فَقَدْ نَفَخْتَ ، لَا مِنَ النَّايِ ، يَا رَبَّنَا

(*) مطلعها : زهي عشق ، زهي عشق كه ما دراست خدایا

چه تغز است ، وچه خوب است ، چه زیباست خدایا

(١) ماء الحياة : الخلود الذي وعد به الإنسان عبر حيوانه المختلفة .

(٢) لعل جلال الدين يحاول بهذا البيت أن يفسر سبب الاختفاء المفاجئ لشيخه شمس الدين ، فربما اختفى وتوارى بعد أن اطمأن إلى أنه قد وضع أقدام صاحبه على طريق السعادة .

بِكِفِّكَ صَنَعْتَ نَائِ الْجَسَدِ ، مَلِينًا بِالثَّقُوبِ
فَهُوَ عَنِ هَذَا الْأَتِينِ وَالصَّخْبِ ، لَا يَكْفُفُ أَبَدًا يَارَبَّنَا

وَمَا أَدْرَى النَّائِيَ الْمَسْكِينِ بِاللَّحْنِ وَالْإِيْقَاعِ
إِنَّمَا النَّافِعُ هُوَ الْبَصِيرُ وَهُوَ الْخَبِيرُ ، يَارَبَّنَا

أَيُّ نُورٍ سَرَى فِي الْحَمِيلَةِ وَالرُّوْضِ ، مِنْ كَرِّ السُّكَارَى وَفَرُّهِمْ
وَأَيُّ سُرُورٍ وَأَيُّ نَشْوَةِ بِالْحُبِّ ، يَارَبَّنَا

مِنْ أَنْعَكَاسِ وَجْهِ الْخَبِيبِ ، فِي هَذَا الرُّوْضِ النَّضِيدِ
بِكُلِّ نَاحِيَةِ قَمَرٍ ، وَشَمْسٍ ، وَنَجْمٍ ، يَتَأَلَّقُ ، يَارَبَّنَا

نَحْنُ كَالسَّيْلِ ، كَالنَّهْرِ ، كُنَّا إِلَيْكَ نَمْضِي قَدُمًا
فَالْبَحْرُ مَضْبٌ لِكُلِّ سَيْلٍ جَارِفٍ ، يَارَبَّنَا

بِفَضْلِ شَمْسِ الْحَقِّ التَّبْرِيْزِيِّ ، تَوَلَّهَ الْقَلْبُ
وَهَامَتْ الرُّوحُ ، وَحَارَتْ الْعَيْنَانِ فِي الْحُبِّ ، يَارَبَّنَا

* * *

أما أن شمس الدين التبريزي كان أمياً - كما يقول نيكلسون - فهذا ما لا سبيل إلى قبوله ، فلشمس الدين كتاب يضم ما أثر عنه من أقوال يُسمى «مقالات»^(١) ، يتبين منه أن شمس الدين كان متبحراً في العلوم الدينية فضلاً عن درايته الواسعة بآراء المتكلمين والفلاسفة ، مما جعله يوجه إليهم في كتابه المذكور الكثير من الانتقادات والعديد من المطاعن ، كما يشتمل الكتاب على تحليل لعقائد الفرق المختلفة ، وأبيات لشعراء من العرب والفرس ، ونظرة نقدية واعية للعلوم الراجحة في عصره ، وعناية بالأحداث التاريخية ودلائلها ، مما لا يمكن القول معه بأن الرجل كان أمياً .

وقد اختلف أقوال الرواة اختلافاً كبيراً في تحديد نسب شمس الدين ، ولا نجد من بين هذه الأقوال ما يمكن الاستناد إليه والوقوف عنده . ويذكر «الأفلاكي»^(٢) وهو يعرفنا بشمس الدين أن «اسمه محمد بن علي بن ملك داد» .

وتبدو حياة شمس الدين غامضة كل الغموض ، لكننا نستطيع أن نلغف على لغات بسيرة من سيرته من خلال كتابه «مقالات» . فهو يذكر في كتابه أنه كان واحداً من مریدی «أبي بكر سلّه باف» ، يقول : «كان لي شيخ اسمه أبو بكر بمدينة تبريز ، كان يصنع السلال ، وقد تحصل لي منه الكثير من الإفاضات ، لكن ، كان بأعماقى شئ لم يكن

(١) طبع في طهران سنة ١٣٤٩ هـ ش (١٩٧٠ م) ، بتحقيق الأستاذ أحمد خوشنويس (عماد) .

(٢) هو شمس الدين أحمد الأفلاكي ، شرع في تأليف كتابه المسمى «مناقب العارفين» بالفارسية عن سيرة جلال الدين الرومي سنة ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م ، أي بعد وفاة جلال الدين بنحو خمس وأربعين سنة .

شيخى يراه، ولم يكن أحد قد رآه من قبل؛ ذلك الشيء قد رآه مولانا (يعنى جلال الدين) ٤. ويضيف قائلاً وهو يخاطب جلال الدين: «وما فعلته لأجلك لم أفعله لشيخى، وفارقته قهراً، وكان يقول: أنا الشيخ».

ونستطيع أن ندرك من العبارة الأخيرة أن شمس الدين ترك شيخه مُغضباً. وكان هذا دأب شمس الدين مع كل من رآه من شيوخ عصره، الذين لم يستطع أحد منهم أن يستولى على كُيِّه أو يخضعه لتعاليمه. وهو حين يتحدث عن أى منهم يعدّ نفسه أعلى منه مقاماً وأرسخ قدماً، اللهم إلا جلال الدين.

وربما كان هذا هو الأمر الذى جعل شمس الدين يتورع عن أن ينتسب إلى فرقة من الفرق أو طريقة من الطرق ويتقيد برسومها ويلتزم تقاليدها، وإنما كان مرجعه دائماً إلى النبع الصافى كى يرتوى منه، كما أشار هو قائلاً: «كل امرئ يتحدث عن شيخه، لقد أعطانا الرسول ﷺ الخرقه فى الروايا، وما هى بتلك الخرقه التى تَرثُ وتبلى بعد يومين ويستنجى بها الناس فى الخلاء، بل هى خرقه الصُّحبة، الصُّحبة التى لا يحتويها الفهم، الصُّحبة التى تصنع ما تصنع الأمس واليوم وغدا» (١).

وقد ذكر شمس الدين فى كتابه «مقالات» عدداً من كبار شيوخ عصره لم يكن يوافقهم على آرائهم: وأخذ ينتقد طرقهم وسلوكهم الواحد تلو الآخر، كالشيخ صدر الدين القونيوى (٢) وأوحد الدين الكرمانى (٣)،

(١) مقالات، طبع عماد، ص ٥٩.

(٢) النظر: مقالات، ص ٢٥٢، وهو محمد بن اسحاق، أحد كبار تلامذة ابن عربى، كانت بينه وبين جلال الدين لقاءات وتقدير متبادل، توفى ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م.

(٣) مقالات، ٣٤٧-٣٤٨، صاحب ابن عربى زماناً، وكان من مشاهير مشايخ الصوفية فى عصره، توفى ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م.

حَبْدًا الْعِشْقُ ، حَبْدًا الْعِشْقُ لَنَا يَا رَبَّنَا
 مَا أَبَدَعَهُ ، وَمَا أَرُوَعَهُ ، وَمَا أَجْمَلَهُ ، يَا رَبَّنَا

يَالهَا مِنْ حَرَارَةٍ فِينَا ، يَالهَا مِنْ حَرَارَةٍ فِينَا
 مِنْ عِشْقٍ هُوَ كَالشَّمْسِ ، خَفِيَ مِنْهُ مَا خَفِيَ وَظَهَرَ مِنْهُ مَا ظَهَرَ ، يَا رَبَّنَا

حَبْدًا الْقَمْرُ ، حَبْدًا الْقَمْرُ ، حَبْدًا خَمْرٌ تُصَاحِبُهُ
 أَضَفْتُ عَلَى الرَّوْحِ وَالْعَالَمِ زِينَةً وَبَهَا ، يَا رَبَّنَا

حَبْدًا الْهَمَّةُ ، حَبْدًا الْهَمَّةُ الَّتِي أَثَارَتْ الْعَالَمَ
 حَبْدًا الْعَمَلُ ، حَبْدًا الْمَثُولُ بِالْحَضْرَةِ هُنَاكَ ، يَا رَبَّنَا

قَدْ أَنْهَارَ ، قَدْ أَنْهَارَ مَلِكُ الْفُرْسَانَ
 حَبْدًا الْغِبَارُ ، حَبْدًا الْغِبَارُ قَدْ ثَارَ ، يَا رَبَّنَا

قَدْ وَقَعْنَا ، قَدْ وَقَعْنَا ، فَلَا تَقُومُ قَائِمَةً لَنَا
 لَا نَدْرِي ، لَا نَدْرِي ، أَيُّ حَدَثٍ جَلَّلٍ جَرَى ، يَا رَبَّنَا

(*) مطلعها : زهی عشق ، زهی عشق که ماراست ، خدایا
 چه نغزست و چه خوبست و چه زیبا ست ! حدایا

من كل ذرب ، من كل ذرب يصاعد دخان ذو لون مختلف

نارة أخرى ، نارة أخرى أى حب بدا ، ياربنا

لعلنا نرى به نارة في جنتنا

لا أحتبولة ، ولا سلسلة ، فلم نحن بأسرنا مقيدون ؟

أى قيد ، أى صفد أوثق أقدامنا ، ياربنا

(٢) لعلنا نرى نارة في جنتنا

أى صورة ، أى صورة تتراءى فى مقلاة القلوب هذه

غريبة هى ، غريبة من أعلى ، ياربنا

(٢) لعلنا نرى نارة في جنتنا

عليك بالصمت (١) ، عليك بالصمت كى لا تفتضح

فالأخبار (٢) قد ملكوا كل ما حولنا (٣) ، ياربنا

لعلنا نرى نارة في جنتنا

* * *

لعلنا نرى نارة في جنتنا

لعلنا نرى نارة في جنتنا

لعلنا نرى نارة في جنتنا

لعلنا نرى نارة في جنتنا

(١) فى الأصل : خاموش شيد : اصمت . وخاموش هو اللقب الذى اختاره جلال الدين الرومى لنفسه فى الشعر .

(٢) الأخبار : الأجانب ، من هم ليسوا أهلاً للاطلاع على أمرنا .

(٣) فى الأصل : الشمال واليمين .

لعلنا نرى نارة في جنتنا

(٣٢) *

فَلنَحْرَقُ الحُبَّ والجُنونَ
ولنتَجَرَّعُ كلَّ حينٍ موجَ الدِّماءِ

نَحْنُ نُدْمَاءَ لِشارِبِي الحَمْرِ اللَّاذِعِ (١)
لِمَنْ يُمزِقُونَ سَقْفَ الفَلَكِ الأَعْلَى (٢)

ماذا سَيَصْنَعُ السَّرَاجُ الأَزَلِيُّ بالسَّمَاوَاتِ العُلَا
وبهذِينَ السَّرَاجِينَ اللَّذِينَ قُلُوبًا مَعًا (٣)

نَسْخُو بِصَبِّ الخَمْرِ السُّلْطَانِي صَافِيًا
لِيَجْعَلَ العَقْلَ ذَا الفُنُونِ يَغْطُ فِي النُّومِ غَطًّا

حينَ يَغْدُو ثَمَلًا ، نُقِيمُ عَلَيْهِ الحَدَّ
فقد جَاوَزَ بالتَّزْوِيرِ والخِرَافَةِ الحَدَّ جَدًّا

(*) مطلقها : بسوزانيم سودا وجنون را

در آشاميم هر دم موج خون را

(١) الذين يشربون من الخمر ما يلسعُ الحلق والجوف كي يزدادوا سُكْرًا ، والخمر هنا تعنى المعرفة .

(٢) فى الأصل : السقف الأخضر ، وهو آخر حدود دائرة الكون والفساد ، التى يدور فيها كل شئ ويفنى .

(٣) يعنى بها الشمس والقمر .

لَجْعَلُهُ ذَاهِلًا ثَمَلًا ، كَيْ لَا يَعْرِفَ
طَرِيقَ كَيْفٍ ، إِنْ هُوَ أَتَى

لَجْعَلْ يَا شَمْسَ تَبْرِيزَ ، يَا ذَا الْكَمَالِ وَالثَّمِّ
كَيْ لَا يَكُونُ ثَمَّةً نَقْصٍ ، لِلْكَافِ وَالنُّونِ (٣) أَبَدًا

* * *

(٣) يعنى بالكاف والنون : العالم ، إشارة إلى قوله تعالى : « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » يس : ٨٢ ، فالوجود لا يكون وجوداً حقاً بمجرد عناصره المادية ، وإنما ككمال الوجود لا يكون إلا بتجلي الروح التى يمثلها رجلٌ من رجال الحق مثل شمس تبريز .

(٣٣) *

بَيْنَ طَيَّاتِ حِجَابِ الدَّمِّ ، بَدَتْ لِلعِشْقِ رِيَاضٌ وَمُرُوجٌ
وَمَعَ جَمَالِ العِشْقِ غَيْرِ مُحَدَّدِ الكَيْفِ ، بَدَتْ لِلعُشَاقِ أَحْوَالٌ وَشُئُونٌ

يَقُولُ العَقْلُ ، "الجِهَاتُ السَّتُّ حَادٌّ حَاجِزٌ لَا طَرِيقَ وَرَاءَهُ"
يَقُولُ العِشْقُ هُنَاكَ طَرِيقٌ ، وَقَدْ ذَرَعْتَهُ مَرَّاتٌ

رَأَى العَقْلُ سَوْقًا فَشَرَعَ فِي التَّجَارَةِ
وَرَأَى العِشْقُ وَرَاءَ سَوْقِ العَقْلِ أَسْوَاقًا

مَا أَشْبَهَ العَدِيدَ مِنَ الأَخْفِيَاءِ بِمَنْصُورِ (١) ، ثِقَةٌ مِنْهُ فِي رُوحِ العِشْقِ
زَهْدَ المُنَابِرِ ، وَاعْتَلَى أَعْوَادَ المِشَانِقِ

لِلعُشَاقِ شَارِبِي الثُّمَالَةِ (٢) فِي الحِشَاشَةِ أَذْوَاقٌ
وَفِي قَرَارَةِ العُقْلَاءِ سُودِ القُلُوبِ صُنُوفٌ مِنَ الإِنْكَارِ

يَقُولُ العَقْلُ : لَا تَخْطُ خُطْوَةً ، فَلَيْسَ فِي الفِنَاءِ سِوَى الشُّوكِ
يَقُولُ العِشْقُ لِلعَقْلِ : إِنَّمَا فِيكَ أَنْتَ الأَشْوَاكُ

(*) مَطْلَعُهَا : دَر مِيَانِ پَرْدَهءِ عِشْقِ رَا گَلزَارَهَا

عَاشِقَانِ رَا بَا جَمَالِ عِشْقِ بِيچُونِ كَارَهَا

(١) يَعْنِي حَسِينَ بِنِ مَنْصُورِ الحَلَّاجِ ، وَالمُنْبَرِ رَمِزَ لَعَلُّو المَقَامِ ، وَهُوَ النَّقْطَةُ المَقَابِلَةُ لِلْمِشْنَقَةِ .

(٢) الثُّمَالَةُ : بَقَايَا الخَمْرِ فِي قَاعِ الكَاسِ .

جدار ، صه ، انزع شوك الوجود من قواديم القلب
كفى ترى في أعماقك الرياض والمروج

يا شمس تبريز ، أنت شمس في سحاب الكلم
هون طلعت شمسك تبددت الأقوال

* * *

(٣٤) *

بالأمس أرسلتُ إليك النجم رسولاً
قلتُ له : " بلغ عنى لفلق البدر سلاماً "

أطلتُ السجودَ ، وقلتُ : " احمل هذه السجدة منى لشمس
يُحيلُ ضياؤها الحجارة الصماء ذهباً صرفاً "

شَقَقْتُ عَنْ صَدْرِي ، كَشَفْتُ لَهُ عَنْ جِرَاحِ
قُلْتُ لَهُ : " خَبِّرْ عَنِّي الْحَبِيبَ سَفَاكَ الدِّمَا "

مَضَيْتُ أَجُولُ هُنَا وَهُنَاكَ كَمَا يَسْكُنُ طِفْلُ قَلْبِي
فَالطِّفْلُ يَغْفُو حِينَ يَهْزُ أَحَدُ الْمَهْدِ هَزًّا

خَلَّصْتُ طِفْلَ الْقَلْبِ ، خَلَّصْتُ رَضِيعَنَا مِنَ التَّجْوَالِ
يَا مَنْ تَجِيرُ كُلَّ حِينَ مِائَةَ مِثْلِي أَنَا الْمَسْكِينُ أَنَا

مَدِينَةٌ وَصَالِكٌ (١) كَانَتْ سَكَنَ الْقَلْبِ أَوَّلَ الْأَمْرِ وَآخِرُهُ
فَالْإِلَامُ تَحْكُمُ بَغْرِيَةَ هَذَا الْقَلْبِ الشَّرِيدِ الْإِلَامِ

(*) مطلعها : دوش من پیغام کردم سوی تو استاره را

گفتمش : " خدمت رسان از من تو آن مه پاره را "

(١) مدينة الوصال : الجنة حيث يتاح فيها قرب الحق - تعالى - .

أنا قد لَزِمْتُ الصَّمْتَ ، ولكنْ يَسَاقِي العُشَاقِ
أدِرْ نَرَجِسَ الخُمَارَةِ دَفْعاً للخِمَارِ (١) عَنَّا

* * *

(١) الخمار : أثر الخمر . يطلب الشاعر من الساقى أن يدير النرجس ، أى العيون الناعسة
للسكارى بعيداً عنه كي يتخلص من تأثيرها الذى يُتلفُ مهجته .

(٣٥) *

سَائِرُ رِفَاقِكَ مِنْ حَجَرٍ ، وَأَنْتَ يَا قَوْتُ وَمَرْجَانٌ ، فَلِمَ ؟ !
السَّمَاءُ عِنْدَ الْبَرِيَّةِ جِسْمٌ أَصَمٌّ ، وَهِيَ عِنْدَكَ رُوحٌ مِنَ الرَّحْمَنِ ، فَلِمَ ؟ !

إِنْ أَقْبَلْتَ عَلَيَّ شَرَعْتَ كُلَّ ذَرَّةٍ مِنِّي فِي التَّصْفِيقِ
وَإِنْ مَضَيْتَ أَجْهَشْتَ كُلَّهَا بِالْبِكَاءِ وَالْأَنِينِ ، فَلِمَ ؟

إِنْ تَرَأَى خِيَالَكَ بَدَتْ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنِّي بَسْمَةُ الْهِنَاءِ
وَهِيَ تَغْدُو مَعَ عِدْوِكَ بِأَجْمَعِهَا قَوَاطِعَ حَادَّةً وَأَسْنَانَ ، فَلِمَ ؟

بِغَيْرِ الْخَطِّ وَالْخَالِ فِي طَالِعِكَ يَبْدُو الْعَقْلُ أُمِّيًّا (١)
فَإِنْ رَأَى الْعَقْلُ ذَاكَ الْخَطَّ مِنْكَ قَرَأَ بِلَا تَوَانٍ ، فَلِمَ ؟

يَقُولُ الْجَسَدُ لِلرُّوحِ : " تَنْصَلِي مِنْ عَشْقِهِ "
تَقُولُ لَهُ الرُّوحُ : " وَلِمَ الْحَذَرُ مِنْ عَيْنِ الْحَيَاةِ وَالْحَيَوَانِ (٢) ، لِمَ ؟ "

وَجْهَكَ نَبِيءٌ بِجَمَالِ اللَّهِ وَحُسْنِهِ
وَالرُّوحُ لَا تُتِيحُ لَكَ الْإِيْمَانَ بِمِثْلِ هَذَا الْبُرْهَانِ ، فَلِمَ ؟

(*) مطلعها : جملة ياران تو سنگند وتویی مرجان چرا؟

آسمان باجملگان جسم است ویا تو جان چرا؟

(١) یعنی أن العقل لا يؤدي المهمة المنوطة به - وهي إدراك المحسوسات - إلا بالخبية .

(٢) الحيوان : الحياة

أنى لنا ببرهان يشع بنور يزهو على نور وجهك
فلم لا تقطع مظاهر الكفر الأكف (٣) لرؤية يوسف بن كنعان، لم ؟

أينما بذرت بذرة صارت بالضرورة نباتاً
فلم لا ينبت شئ من بذرة الإحسان ، لم ؟

أينما وجدت خرابة وجد الأمل في ظهور كنز
فلم لا تبحث عن كنز الحق في قلب مهدم البنيان ، لم ؟

لم أر في الدنيا سوقاً بغير ميزان
الكل موزون ، فلم العالم ليس له ميزان (٤) ، لم ؟

لكل أغنية ، أيها القلب .. أول وآخر
لكفك ما أنشدت الآن ، أما لهذا اللحن من ختام ، لم ؟

(٣) إشارة إلى قصة يوسف عليه السلام ، حين شغف امرأة العزيز حباً فدعت نسوة المدينة وأتت كل واحدة منهن سكيناً ثم نادى يوسف أن اخرج عليهن ، فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن ، وقلن حاشا لله ، ما هذا بشراً ، إن هذا إلا ملك كريم .
(٤) لو وزن العالم بالإنسان لرجح الإنسان العالم .

(۳۶) *

يَا صَبُوءَ قَلْبِي وَهَوَاهُ ، هَيَّا تَعَالَ ، أَظْهَرِ سَنَا وَجْهٍ أَوْ جَبِينٍ
يَا مُرَادِي وَحَاصِلِي ، هَيَّا تَعَالَ ، أَظْهَرِ سَنَا وَجْهٍ أَوْ جَبِينٍ

أَنَا مُحْتَبِكُ مَشَوِّشٌ ، مِثْلَ طُرْتِكَ ، مِثْلَ طُرْتِكَ
يَا فَتْحَ عُقْدَتِي ، هَيَّا تَعَالَ ، أَظْهَرِ سَنَا وَجْهٍ أَوْ جَبِينٍ

لَا تَسْلُنِي عَنِ طُرُقٍ وَمَنَازِلٍ ، كَفَاكَ حَدِيثًا ، كَفَاكَ حَدِيثًا
يَا مَنْ أَنْتَ طَرِيقِي وَمَنْزَلِي ، هَيَّا تَعَالَ ، أَظْهَرِ سَنَا وَجْهٍ أَوْ جَبِينٍ

انْتَزَعْتَ مِنَ الْأَرْضِ قَبْضَةً مِنْ طِينٍ ، قَبْضَةً مِنْ طِينٍ
بَيْنَ هَذَا الطِّينِ مَوْضِعِي ، هَيَّا تَعَالَ ، أَظْهَرِ سَنَا وَجْهٍ أَوْ جَبِينٍ

طَالَمَا أَنَا وَأَقِفٌ عَلَى الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ ، أَنَا وَأَقِفٌ
فَأَنَا إِذْنٌ عَنِ جَمَالِكَ غَافِلٌ (١) ، فَهَيَّا تَعَالَ ، أَظْهَرِ سَنَا وَجْهٍ أَوْ جَبِينٍ

(*) مطلعها : ای هوسهای دلم ، باری بیا ، رویی نما

ای مراد و حاصلم ، باری بیا ، رویی نما

(١) جمالك حين يستقر في الفؤاد لأبى معه في الوجود قبح .

إِنْ لَمْ يَحْتَرَقْ عَقْلِي بِعَشْقِكَ ، بِعَشْقِكَ
فَأَنَا غَافِلٌ ، لَسْتُ بِعَاقِلٍ ، هَيَّا تَعَالَى ، أَظْهَرِ سَنَا وَجْهٍ أَوْ جَبِينٍ

بِأَصْلَاحِ الدِّينِ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ ، حَاضِرٌ أَنْتَ وَغَائِبٌ مَعًا
بِأَعْجُوبَةٍ ، قَدْ بَلَغْتَ الْوِصَالَ ، هَيَّا تَعَالَى ، أَظْهَرِ سَنَا وَجْهٍ أَوْ جَبِينٍ

* * *

(٣٧) *

أنت لى روح وعالم ، فما نفعى بالروح والعالم ؟
أنت لى كنز ، فما نفعى بالكسب والخسران ؟

رفيق أنا للخمير تارة ، وتارة أخرى رفيق للشواء
إن فى هذه الدورة (١) تلتفى ، فما نفعى بدورة الزمان ؟

فررت من البرية جمعاً ، مضيت فى الفرار قدماً
ما أنا بظاهر ولا خفى ، فما نفعى بالكون والمكان ؟

بوصلك ملاً الخمار رأسى ، فلا أملك رأس إنسان
طالما كنت بغيتى وصيدى ، فما نفعى بقوس أو سنان ؟

حين أبحث فى القاع ما مسيرى ؟ فأى ماء أنشد وأبغى ؟
ماذا أقول ؟ بم أصف هذا الغدير النهلان ؟

(*) مطلعها : تو مرا جان وجهانى ، چه كنم جان وجهان را ؟

تو مرا گنج روانى ، چه كنم سود وزيان را ؟

(١) يعنى دورة شرب الخمر وهى تتطلب ترتيباً وتسلسلاً خاصاً . والخمر رمز للمعرفة

الروحية ، والشواء رمز لتحرق الكبد من الأشواق .

مَذُنصبتُ رَأْسَ الوجودِ (٢) ، أَي جَبَلٍ ثَقِيلٍ أَحْمَلُ ؟
مَذُ صارَ الذئبُ لي راعياً (٣) ، كَيْفَ أَتَحْمَلُ لِحاجةِ الرُعَيانِ ؟

ما أَطيبَ العِشْقِ ! يالَه مِن سُكْرِ ، حِينَ يَكُونُ القَدْحُ على كَفِ يَدِ
طُوبى لِموضعِ حَلَلتَ بِهِ ، طُوبى لِعَيْنِ الرُوحِ وَناشِطِ الأَجْفانِ

بِكَ كُلُّ ذَرَّةٍ عَالَمٌ ، بِكَ كُلُّ قَطْرَةٍ رُوحٌ
إِنْ حَظِيئاً مِنْكَ بِأَثَرٍ ، فَمَا الحَاجةُ لِلأَسْمِ وَالعُنوانِ

صَوَّبَ الجِوهرِ الفائقِ ، بأَعْماقِ بَحْرِ الحَقائِقِ
إِنْ كانَ لا بُدَّ مِنَ الانطلاقِ بِالرَأْسِ ، فَمَا نَفَعى بِقَدَمى تَجْرِيانِ ؟

بِسِلاحِ أَحَدِيَّتِكَ ، قَطَعْتَ الطَّرِيقَ عَلَينا
لَقَدْ ذَهَبتَ بِكُلِّ ما لَدى ، فَمَماذا أُعْطى جُباةَ الخِراجِ فى الدِّيانِ ؟

مِنْ ألقى البَدْرِ السَّاطِعِ ، مِنْ ثَنائِيا الطَّرَّةِ ذاتِ الجَدائِلِ
خَفَّ قَلبى يا حَبِيبى ، فَناولنى ثَقِيلاً مِنْ تلكَ الدَّنائِ

(٢) منذ خلقنى الله - تعالى وسوانى وجعل لى رأساً وأنا أشعر بثقل الأمانة التى أحملها .
(٣) لعل الشاعِر يعنى بالذئب : العقل البارد ، الذى يخلو من المحبَّة ، فيصبح كالوحوش
الضارية لا يقيم وزناً لمقتضيات الروح ودواعى المحبة فى الإنسان ، فيشقى الإنسان به .

لا تُعوّل على نصبٍ أو بلاء ، بلّ عوّل على العشق والولاء
لا تُعوّل على الجورِ والجفا ، بلّ عوّل على طولِ الأسي وفورةِ الأشجان

سمّ الحزن لطفاً ، اسعدّ بالحزن والآلام
وانشدّ بها كلّ خيرٍ ، انشدّ الفرج والأمن والأمان (٤)

انشدّ أمناً وأماناً ، اخترتْ خلوةً طولى
تسمّع طريقَ الفم ، ثم لا تفتحْ للفم طريقاً للبيان

* * *

(٤) للآلام قيمة إيجابية ، فهي تأتي بالخير دوماً .

* (٣٨)

اذهَبُوا أَيَّهَا النَّدَامُ ، ايتُونَا بِالْحَبِيبِ
ثُمَّ هَاتُوا لِي مِنْ بَعْدُ ، ذَاكَ الْمَلِيحَ الْجَافِلَا

بِالْحَانَ عَذْبَةً ، بِحُجَجٍ مِنْ ذَهَبٍ
اجذِبُوا إِلَى الدَّارِ ، ذَلِكَ الْبَدْرُ حَلَوَ اللَّقَا

فَإِنْ قَالَ وَاعْدَاً : سَاتِي غَدَا
فَكُلْ وَعَدِهِ مَكْرٌ ، هُوَ خَادِعُكُمْ هُوَ

جَمُّ الْحَرَارَةِ نَفْسُهُ ، بِالسَّحْرِ وَالتَّخْيِيلِ
يَعْقِدُ عَلَى الْمَاءِ عُقْدَةً ، وَيَرِبِطُ الْهَوَا

بِالتَّهْلِيلِ وَالسَّرُورِ ، حِينَ يَقْدُمُ حَبِيبِي
هَلُمَّ فَانظُرْ أَنْتَ ، عَجَائِبَ اللَّهِ تَعَالَى

إِنْ تَأَلَّقَ جَمَالُهُ ، فَأَيْنَ مِنْهُ جَمَالُ الْحَسَانِ ؟
فَوَجْهَهُ شَمْسٌ ، تَضِيءُ الْقَنَادِيلَ أَبَدَا

(*) مطلعها : برويد ای حریفان ، بکشید یار ما را

به من آورید آخر ، صنم گریزیا را

وتتضمن نصحاً لمن كلّفهم جلال الدين من أتباعه بكيفية إقناع شيخه شمس الدين
بالعودة بعد فراره ، راجع المقدمة .

فامض أيها القلبُ سريعَ الخطوِ إلى اليمنِ ، إلى حبيبي
أبلغَ العقيقِ النفيسِ (١) مني سلاماً وإجلالاً.

* * *

(١) يقترن ذكر اليمن في الأدب الفارسي بما يستخرج من جبالها من أحجار كريمة وبخاصة العقيق .

(٣٩) *

حين أهبطني الجسد من العلا وأودعني السجن
صرت عن الملائكة المقربين في الغربية والوحدة فرداً (١)

فجأة ، صار لي في الحبس قمر قريناً
فألقي هوسه في روعي من ضروب الغرام والحب ألفاً

كل امرئ ينشد الخلاص من الحبس والبلاء ، سوى
لم أمضى ؟ أين أولي ؟ والحبيب هنا

لن أنال الخلو به دون ركن السجن
فلم يغد قلب العسل بغير نار مصفاً (٢)

(*) مطلعها : جو مرا به سوى زندان بكشيد تن زبالا

زمقربان حضرت بشدم غريب وتنها

(١) أهبط الجسد الروح من العلا (العالم العلوي) إلى السجن (العالم السفلي) مما أدى إلى ابتعادى عن الملائكة المقربين للحق تعالى . ويرى جلال الدين أن روح الإنسان (وهى من عالم القدس) أسيرة فى سجن الجسد ، وفى هذا السجن عرفاء يرون أن وجودهم يحول السجن إلى روضة وبستان ، وللقوم تمثيلات مختلفة لهبوط الروح إلى عالم الجسد . يقول "ابن سينا" فى قصيدة "النفس" المعروفة بالورقائية (نسبة إلى الورقاء ، يعنى الحمامة) :

هبطت إليك من اغل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع .

(٢) إشارة إلى قول الله تعالى : "فأينما تولوا فثم وجه الله" (البقرة : ١١٥)

(٢) إشارة إلى أن حرارة النار تفصل العسل عن الشمع ، وتصح سببا لصفائه .

إِنْ كَانَ يُوسُفُ صَاحِبًا ، فَلَا أَحَدٌ يَلُوذُ بِالْفِرَارِ
لَأَنَّ لَهُ فِي الْحَبْسِ بُسْتَانًا ، وَخَاصَّةً يُوسُفُنَا (٣)

عَلَى الْعَيْنِ وَالْبَصْرِ يَجْرِي صَوْبَ الْحَبْسِ مُقْبِلًا كُلُّ مَنْ
يَتَلَقَى مِنْ إِقْلِيمِ السُّكَّرِ طَلَبًا كَهَذَا

مِنَ النُّجُومِ سَمِعْتُ : لَوْ أَنَّ أَحَدًا وَجَدَ أَثْرًا
مِنَ نُورِ ذَلِكَ الْقَمَرِ ، فَخَبِّرُونَا

إِنَّكَ إِنْ وَصَلْتَ إِلَى تِلْكَ الْجَوْهَرَةِ يَجْدُرُ بِكَ
أَنْ تَخْطُو فَتَعْبُرَ - كَمُوسَى - بِحَارًا سَبْعًا (٤)

تَغَارَ عَلَيْهِ الْأَحِبَّةُ ، فَلَا يَصِلُ خَبْرُهُ إِلَى الْقَمَرِ وَالنَّجْمِ
وَحِينَ يَعْلُو قَمْرُهُ ، تَذُوبُ السَّمَاوَاتُ بِأَجْمَعِهَا ذُوبًا

* * *

(٣) إشارة إلى ما حدث ليوسف عليه السلام في السجن .

(٤) إشارة إلى عبور موسى للبحر ، فقد عبه موسى مع بني إسرائيل فلم يدرکہم الغرق ،
ولكن فرعون أتبعهم بجنوده ففرقوا أجمعين .

(٤٠) *

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي خَمْرٍ شَرِبْتَ عِنْدَ السَّحَرِ تَأْثِيرٌ
فَلِخُذْ مِنِّي خَمْرًا هِيَ الْقِيَامَةُ حَقًّا (١)

بأبي روى ترى عند الجرعة (٢) الأولى ، وعند الثانية بالله نعوذ ونستجير
أما الثالثة فلا أجد لها وصفا

هي لا تغادر ضراً ولا نفعاً (٣) ، تذهب بهما جملةً
ثم إن الله يعلم أين تنتهي هذه الرؤى

أسير اللون والرائحة أنت ، كَنَقَشِ (٤) على حجر أنت
لتنافر كماء نبع من قلب حجر أصم ، أنت

(*) مطلعها : اگر آن میی که خوردی به سحر ، نبود گیرا

بستان ز من شرابی که قیامت است حقا

(١) القيامة : تعبير عن أثر التغير الكبير الذي يطرأ على النفس بسبب المعرفة الروحية ،

وما ينتج عنه من تقوض ما يربط الإنسان بالعالم المادى .

(٢) فى الأصل : الكأس الأولى .

(٣) بالمعرفة الحققة لا يعبا الإنسان بضر ولا نفع .

(٤) اللون والرائحة : العالم المادى ، نقش على حجر : صورة بلا معنى وجسد بلا روح .

أَعْطَنِي ذَاكَ الْخَمْرَ الرَّوَاقِي (٥) ، أَلَا يَا أَيُّهَا الْكَرِيمُ السَّاقِي
وَحِينَ أَصْبَحُ كَذَلِكَ ، يَكُونُ لَفْظِي صَرِيحاً مُبَاحاً

بِقَدْحِ ثَقِيلٍ إِيْتَنِي ، إِنْ أَنَا إِلَّا عَبْدُكَ فَارُونِي
ثُمَّ انظُرْ ، فَمِنْ خِمَارِكَ قَدْ تَعَلَّقَ بَصْرِي بِالْعُلَا

تَعَلَّقَ بَصْرِي بِالْوَجْهِةِ الَّتِي عَوَّدْتَنِي
فَلْيُبِقِ اللَّهُ نَهْرًا ، هُوَ مِنْ بَحْرِ قَدْ جَرَى .

* * *

(٥) الرواقى : الصافى .

(٤١) *

هُوَ الرُّوضُ ، فَلْيَزْهَرِ وَرُدَّهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ
هُوَ الْمَلِيحُ ، فَلْيَكُنْ الْعَالِمَانُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ نِشَارًا

أَمِيرُ الْحَسَانِ يَنْطَلِقُ لِلصَّيْدِ بُكْرَةً
فَلْيَكُنْ قَلْبُنَا بِسَهْمِ غَمَزَتِهِ صَيْدًا أَسِيرًا

بِأَيِّ رَسَائِلٍ مِنْ مُقَلَّتِيهِ إِلَى عَيْنِي كُلِّ حِينٍ
فَلْتَهِنْ عَيْنَايَ وَتَمْتَلِي بِخِمَارٍ مِنْ رَسَائِلِ مَنْهُ تَتَرَى

حَطَمْتُ بَابَ أَحَدِ الزَّهَادِ ، فَدَعَا عَلَيَّ مُغَضَّبًا
أَنْ : "أَذْهَبْ لَا جَعَلَ اللَّهُ لَكَ طُولَ عُمَرَكَ قَرَارًا"

فَمَا بَقِيَ بَدْعَائِهِ قَرَارٌ وَلَا قَلْبٌ ، بِسَبَبِ حَبِيبٍ
مَتَعَطَّشٍ لِدِمْنَا (١) ، فَلْيَكُنْ اللَّهُ لَهُ نَصِيرًا

(*) مطلعها : چمنی که تا قیامت گل او بیار بادا

صنمی که بر جمالش دو جهان نثار بادا

(١) الحبيب : الشيخ ، وهو يريد منا أن تتخضب قلوبنا بالدم من لوعة الحب وأسى الفراق .

جَسَدُنَا يَشْبِهُ الْقَمَرَ ، يَدْوَى مِنَ الْعَشَقِ (٢)
قَلْبُنَا كَرَبَابَةِ الزُّهْرَةِ ، قَدْ قَطَعَ اللَّهُ مِنْهَا الْوَتْرَ

لَا تَنْظُرْ ذَوْبَ الْقَمَرِ ، وَلَا ذَوَى الزُّهْرَةِ
أَبْصِرْ حَلَاوَةَ حَزْنِهِ ، فَلْيَكُنْ وَاحِدُهُ عَدْدًا كَبِيرًا (٣)

يَالَهُ مِنْ عُرْسٍ فِي الرُّوحِ ؟ ! فَلَتَكُنِ الدُّنْيَا بَانِعْكَاسٍ طَلَعَتْهُ
كَيْدَى عَرُوسَيْنِ مَلُؤُهُمَا نَدَىٌّ وَنَقَشُهُمَا زَهْرًا

عَذَارَ (٤) الْجِسْمِ لَا تَنْظُرْ ، إِذْ يَرِثُ وَيَبْلَى
بَلْ انظُرْ عَذَارَ الرُّوحِ ، لَنْ تَرَى أَطْيَبَ مِنْهُ عَذَارًا

الْجِسْمُ الْكَدِيرُ كَالْفُرَابِ الْأَسْحَمِ ، وَعَالَمُ الْجُسُومِ كَفَصْلِ الشِّتَاءِ
بِرْغَمِ كَأَبْتِهِمَا ، فَلْيَكُنْ رَبِيعٌ دَائِمًا أَبَدًا

* * *

(٢) إشارة إلى نحافة القمر بسبب السير الدائم والبحث المستمر .

(٣) يجد الحبيب لذة في لوعته وعذابه في الحب .

(٤) العذار : الوجه ، اللون .

(٤٢) *

لَا تَكُنْ بَيْنَ الْعَاشِقِينَ عَاقِلًا
خَاصَّةً فِي عِشْقِ هَذَا الْعَذْبِ اللَّقَا

فَلْيُبْعِدَ اللَّهُ الْعَقْلَاءَ عَنِ الْعِشَاقِ
لِيُبْعِدَ اللَّهُ رِيحَ التَّنَوُّرِ عَنِ رِيحِ الصَّبَا (١)

إِنْ أَتَى إِلَيْكَ عَاقِلٌ ، فَقُلْ لَهُ : " لَيْسَ ثَمَّ طَرِيقٌ "
وَإِنْ أَتَى إِلَيْكَ عَاشِقٌ ، فَالْفُ مَرْحَبًا

إِنْ أَخَذَ الْعَقْلُ فِي التَّدْبِيرِ وَالتَّفْكِيرِ
مَضَى الْعِشْقُ هَرَبًا حَتَّى سَابَعَ سَمَا

إِنْ بَحَثَ الْعَقْلُ عَنِ بَعِيرٍ لِأَجْلِ الْحِجِّ
مَضَى الْعِشْقُ قَدُمًا وَارْتَقَى جَبَلَ الصَّفَا

جَاءَنِي الْعِشْقُ فَأَمْسَكَ بِهَذَا الْقَمِّ هَاتِفًا :
" دَعَكَ مِنَ الشُّعْرِ وَأَعْلُ عَلَى الشُّعْرَى " (٢)

(*) مطلعها : در میان عاشقان عاقل مباد

خاصه در عشق چنین شیرین لقا

(١) ریح الصبا: النفحات الرحمانية التي تهبُّ على العاشق (فرهنگ دیوان شمس).

(٢) یعنی الشعری الیمانیة ، النجم المشهور بعلوہ وتألقه .

إن صببت البحر فلن نرتوى أو نمتلئ
لأنك وضعت الجمجمة مقلوبة برأسنا (١)

ها هم أولاء السُّكاري يَفدُون إلى البُستانِ فوجاً فوجاً
كيف لا يأتي المَخمورُ حينَ يشمُّ رائحتنا ؟

عُطارِدُ (٢) يترك الأدبَ ، يغسل الكُتُبَ
إن سمعَ البُشري بمقدَمنا (٣)

حَسْبُكَ ، فالدُنيا على أهلِ الدُنيا تَتَكَدَّرُ
إنَّ طرقَ سَمْعَهُمُ بَغْتَةً ، هَذَا القَوْلُ مِنَّا

* * *

-
- (١) الجمجمة مقلوبة فلا تمسك ما يوضع بها .
(٢) عطارِد معروف في الأساطير بالكاتب .
(٣) أى أن العالم كله يسلم للإنسان بالمعرفة والعلم .

(٤٦) *

اتخذَ البنفسجُ لنفسه مَوْضِعاً بِجَانِبِ سَوْسَنٍ قَدْ انحنَى
بَيْنَمَا الْوردَةُ المَكْتَسِيَةُ بِالْيَاقوتِ تُشْرَعُ فِي تَمْزِيْقِ العَبَا

وَمِنْ وِراءِ العَالِمِ أَقبلتْ عَصَافِيرُ الجِنَّةِ ذاتُ الأَقْبِيَةِ الخُضْرُ
ثُمَّ طَيِّبَةً تَمْشِي الهُوَيْنَا

مضى السَّرُّو رَافِعاً رايته فأَجَجَ فِي الخَرِيفِ نارا
وَمِنْ قِمَّةِ الجَبَلِ أَطلَّتْ شَقِيقةَ حَمراءُ (١) عَذْبَةُ اللُّقا

قال السُّنْبِلُ لِلْيَاسَمِنِ : "سَلامٌ عَلَيْكَ"
قال : "عَلَيْكَ السَّلامُ ، ادْخُلِ الرُّوضِ يَافَتَى"

يَقُومُ فِي كُلِّ نَاحِيَةِ عَارِفٍ ، وَفِي كُلِّ طَرَفِ صُوفِيٍّ زَاهِدٌ
مُصَفِّقِينَ كَالرُّورِقِ العِضُّ ، رَاقِصِينَ كَرِيحِ الصَّبَا

(*) مطلعها : باز بنفشه رسيد جانب سوسن دوتا

باز گل لعل پوش می بدراند قبا

(١) نوع من الورد الأحمر الكبير يتميز بأوراقه العريضة وبألوانه الحمراء الزاهية.

أنا بالبَابِ ، هَلَمْ ، افتَحَ البَابَ
فغلقُ البَابِ لا يدلُّ على الرِّضَا

فِي قَلْبِ كُلِّ ذَرَّةٍ لَكَ عَتَبَةٌ
إِنْ لَمْ تَفْتَحْهَا ، كَانَتْ فِي خَفَا

مَنْ بالبَابِ لَيْسَ أَنَا ، بَلْ أَنْتَ
امنحني طَرِيقاً ، افْتَحْ إِلَيْكَ بَاباً

جَاءَ كَبِيرَتٌ إِلَى صَدْرِ نَارٍ هَاتِفًا
اخرجني ، يا حَبِيبَتِي ، هَلِّمِي إِلَيَّ

صُورَتِي لَيْسَتْ صُورَتِكَ ، لَكِنِّي أَنْتَ بِأَجْمَعِي
وَصُورَتِي هِيَ كَالْفَطَا

أغْدُو أَنَا أَنْتَ صُورَةٌ وَمَعْنَى ، وَحِينَ تَصَلُّ
تَمَجِّي صُورَتِي عِنْدَ اللَّقَا

(*) مطلعها : هين كه منم بر در ، در برگشا
بستن در نیست نشانِ رضا : دلش با

* (٤٨)

هَتَفَ النَجْمُ : " عَمَّ الضِّيَاءُ هَذَا الْمَسَا "
قُلْتُ لِلْكَوَاكِبِ : " مَعِيَ الْقَمَرُ هَذَا الْمَسَا "

اصْعَدُ إِلَى السَّقْفِ الْأَعْلَى طَلِبًا لِلصَّلَا (١)
قَطَفُ الْوَرْدِ هَذَا الْمَسَا ، شَرِبُ الْخَمْرِ هَذَا الْمَسَا

إِلَى الصَّبَاحِ حَبِيبُنَا مَسْتَكِنٌ - كَالْقَلْبِ - فِي صَدْرِنَا
بِيَدِهِ ضَمْنَا بِخَفَرٍ وَبِرٍّ هَذَا الْمَسَا

إِلَى الصَّبَاحِ كَاسُ الْخَمْرِ دَائِرٌ وَالْعَطَا
إِلَى الصَّبَاحِ الْوَرْدُ فِي خَلْوَةٍ مَعَ السُّوسَنِ الْأَزْهَرِ هَذَا الْمَسَا

أَنَا أَسْخُو بِصَبِّ خَمْرِ الْوِصَالِ عَلَيَّ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ هَذَا الْمَسَا
سُرُورًا بِقَمْرِكَ ، وَقَدْ عَلَا الرَّوْزَنَةُ وَسَفَرَ هَذَا الْمَسَا

* * *

(* مطلعها : آواز داد اختر : " پس روشن ، است امشب "

گفتم ستارگان را : " مدها من است امشب "

(١) انظر القصيدة رقم ١ البيت ٩ ، ١١ .

(٤٩) *

عَرَضَ لِذَلِكَ السَّيِّدِ مُذْ اِنْتَصَفَ اللَّيْلُ مَرَضٌ
حِينَ أَطْلُ حَتَّى الصَّبَاحِ عَلَيْنَا ذَاهِلًا مِنْ فَوْقِ الْجِدَارِ

بَكَتِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ مِنْ أُنَيْنِهِ وَأَنْتَحَبًا
الْتَهَبَتْ مِنْهُ الْأَنْفَاسُ ، كَأَنَّهُ فِي بَيْتِ نَارٍ

قَدْ اِنْتَابَهُ مَرَضٌ عَجِيبٌ ، مَا هُوَ بِصُدَاعٍ وَلَا حُمَىٍّ ذَاتِ لَهَيْبٍ
مَا لَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ دَوَا ، مَرَضٌ قَدْ أَتَاهُ مِنَ السَّمَاءِ

حِينَ رَأَى جَالِينُوسَ (١) وَجَسَّ نَبْضَهُ ، قَالَ هُوَ
« دَعِ يَدِي ، بَلِ الْقَلْبَ عَايِنُ ، فَدَائِي خَارِجُ كُلِّ قَاعِدَةٍ وَقَانُونِ »

مَا لَهُ نَوْمٌ وَلَا مَطْعَمٌ ، بَلِ الْعِشْقُ لَهُ رَاعٍ كَرِيمٌ
فَهَذَا الْعِشْقُ الْآنَ لِلْسَيِّدِ مُرْضِعَةٌ وَأُمٌّ رَوْوَمٌ

(*) مطلعها : آن خواجه را از نیمشب بیماری پیدا شده است

تا روز بر دیوار ما بی خویشتن سر می زده ست

(١) جالینوس : الطبيب اليونانى المشهور ، يُنسبُ إليه علم الطب القديم ، وهو رمز لتحقيق

الشفاء .

هتفت "رُحْمَاكَ يَا إِلَهِي، لَعَلَّهُ يَرْتَاحُ سَاعَةً
مَا سَفَكَ لِأَحَدٍ دَمًا، وَلَا أَكَلَ لِأَحَدٍ مَالًا

وجاءَ الجوابُ مِنَ السَّمَاءِ، أَنْ خَلَصَهُ بِالْيَقِينِ
بِأَنَّ بَلْوَى الْعُشَاقِ، لَا يَنْفَعُ مَعَهَا عِلَاجٌ وَلَا دَوَا

كَيْفَ وَجَدْتَ الْعِشْقَ؟ وَأَنْتَ لَمْ تَسْمَعْ عَنِ الْعُشَاقِ
صَهٍ لَا تَهْدِي، فَمَا هُوَ بِسِحْرِ وَلَا دَجَلٍ

* * *

* (٥٠)

جئتُ كى أشدك من أذنك نحوى رويداً رويداً
وأفرغك من القلب والنفس ؛ ثم أنصبت في القلب والروح نصباً

جئتُك ربيعاً طلقاً يا شجر الورد
كى أخذك في أحضانى بودٌ ، وأضمتك إلى ضمماً (١)

جئتُ كى أظهرتك للعيان في هذه الدار
وأبلغ بك - كدعاء العشاق - السماوات السبع العلاء (٢)

جئتُ كى أقول : " ردّ - عن طيب خاطرٍ - قبلةً اختطفتها من حسناء (٣)
أيها السيد ، لأنى سأستردك حتماً "

(*) مطلعها : آمده ام تا به خود گوش کشان کشانت

بى دل و بى خودت کنم ، در دل و جان نشانت

تبدو هذه القصيدة وكأنها خطاب من الحق - تعالى - للإنسان ، الذى يحبه ، لقوله
تعالى : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ (المائدة : ٥٤) .

(١) النفحات الربانية وعون الحق - تعالى - يربيان ملكات الإنسان ويشحذان قواه
الكامنة ، فيصبح عند ذلك مشمولاً برحمة الحق ومحبه ورضوانه .

(٢) إشارة إلى معراج الرسول محمد - ﷺ - - حادى قافلة البشرية ورائدها إلى الأعتاب
الإلهية .

(٣) لعل الشاعر يريد بالحسنا هنا : الدنيا وزينتها وزخرفها ، وتعلق الإنسان بها .

وما الوردُ ؟ أنت الكلُّ ، أنت من ينطقُ بالأمرِ " قل "
 إن لم يعرفك الغيرُ ، فأنا أعرفك لأنك أنا (٤)

حبيبي أنت وروحي ، أنت من يقرأ فاتحتي (٥)
 فصر كلك فاتحةً ، كي أقرأك بقلبي أنا
 أنت صيدي ، فإن كنت قد فررت - يا فريستي - من الشباك (٦)
 فعد إلى الفخ رجعاً ، وإن لم تفعل أعدتك أنا (٧)

قال لي الأسدُ " يا أعجوبة الغزلان ، اذهب
 لم تعدو في إثري مسرعاً كي أمزقك إرباً "

تلق الضربة وتقدم ، كدرع الشجاعة
 ولا تلق بالاً لغير الوتر ، كي أبريك كالقوس محنياً

(٤) إشارة إلى قوله تعالى عن خلقه "لآدم" : «ثم سواه وفتح فيه من روحه» (السجدة: ٩) .

وقوله تعالى : ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي ... ﴾ (الحجر : ٢٩) .

(٥) أنت قارئ قرآني وفاتحة القرآن ، أم الكتاب .

(٦) الشباك : الفخ .

(٧) اربط قلبك - وأنت في حياتك الدنيا - بالرجوع إلى أصلك العلوي ، فإن لم تفعل

فأنت راجع لا محالة حين تفارق هذه الحياة الدنيا .

من حدّ التراب إلى البشرية ، آلاف من المنازل عديدة
دفعت بك من مدينة إلى مدينة ، ولن أدعك بأول الطريق أو أتخلى (٨)

لا تقل شيئاً ، ولا ترغ أو تزيد ، لا ترفع غطاء القدر
اغل جيداً ، تدرع بالصبر ، كي أسويك نضجاً (٩)

أنت كرتي تجرى في صولجان حكومي
وأنا في إثرك أجرى ، إنما أدفعك إلى الجري دفعا (١٠)

* * *

(٨) إشارة إلى التكامل الإنساني الذي كثيراً ما تحدث عنه جلال الدين الرومي في شعره .

(٩) للآلام قيمة إيجابية في تحقيق معراجك الروحي إلى الحق تعالى .

(١٠) لعل الشاعر يريد بالكرة : الإنسان ، وبالصولجان : قضاء الله وقدره ، والصولجان (أو الصولج) عصا معقوف طرفها ، يضرب بها الفارس الكرة . وكانت هذه اللعبة من أكثر رياضات الفروسية انتشاراً .

(٥١) *

أَضْرَكَ كَالشُّوكِ نَفْسٌ بِالنَّفْسِ مُقْتَرِنٌ
وَجَادَكَ بِالنَّفْعِ نَفْسٌ يَخْلُو مِنَ الذَّاتِ (١)

لِكُلِّ هَامَةٌ (٢) صِرَتْ صَيْدًا ، حِينَ صَارَ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ مُقْتَرِنًا
وَالْفِيلُ قَدْ صَارَ صَيْدًا لِمَنْ يَخْلُو مِنَ الذَّاتِ

عَمَّ الْغَمَامُ وَالْغَمُّ نَفْسًا صَارَ بِالنَّفْسِ مُقْتَرِنًا
وَضَمَّ بَدْرُ الدُّجَى نَفْسًا يَخْلُو مِنَ الذَّاتِ

يَنَأَى الْحَبِيبُ عَنِ نَفْسٍ قَدْ صَارَ بِالنَّفْسِ مُقْتَرِنًا
جَاءَ الْحَبِيبُ بِخَمْرٍ إِلَى نَفْسٍ يَخْلُو مِنَ الذَّاتِ

ذَوَى كَخْرِيفٍ نَفْسٌ صَارَ بِالنَّفْسِ مُقْتَرِنًا
وَصَارَ لَهُ الزَّمْهَرِيرُ رَبِيعًا إِنْ خَلَا مِنَ الذَّاتِ

(*) مطلعها : آن نفسى كه با خودى يار چو خار آيدت

وان نفسى كه بيخودى ، يار چه كار آيدت

(١) يريد بالنفس والذات : النفسُ الأَمارة ، ويقارن بين الآثار المترتبة على الانصياع لها وتلك المترتبة على نهيتها وزجرها .

(٢) هامة : مفرد هوام ، وهى الحشرات الضعيفة الطائفة .

ما اعتراك من قلقٍ وضجرٍ
قد اعتراك لطلبك الهدوءِ والسكينة
فعليك بالقلقِ والضجرِ معاً
كى تأتي إليك السكينةُ تسعى

كلُّ ما بكٍ من مرارةِ الذوقِ
أناك لطلبك لذةَ الطعمِ
إن تركتَ تلكَ اللذةَ
صارَ السَّمُّ الزُّعافُ عندك حلواً

قد أصابك ما أصابك
لحرصك على تحقيق المراد
والأفكلُّ مقصدٍ هو لك
يأتيك طوعاً نثاراً تحت قدميك

كُنْ عاشقاً جورَ الحبيبِ (٣)، لا عاشقاً حُبَّ الحبيبِ
يأتي الحبيبُ ذو الدلِّ متيماً بالعشقِ إليك يسعى

(٣) العاشق يستعذب العذاب الذي يلقاه من هجر الحبيب .

شمسُ الدِّينِ ، سُلطانُ الشَّرْقِ
إِنْ بَزَغَ مِنْ قَبْلِ تَبْرِيزِ
فَلتَشْعُرَنَّ - وَاللَّهِ - بِالْعَارِ
مِنْ هَذِهِ النُّجُومِ وَتِلْكَ الْأَقْمَارِ حَتَّمَا

* * *

(٤) فأين نور النجوم والأقمار من نور الشمس .

* (٥٢)

تَعَالُوا ، تَعَالُوا ، قَدْ تَفْتَحَتْ الْحَمِيلَةُ وَالرَّوْضُ
تَعَالُوا ، تَعَالُوا ؛ قَدْ وَصَلَ الْحَبِيبُ

هَاتُوا كُلَّ الرُّوحِ وَالْعَالَمِ
سَلِّمُوهُمَا الشَّمْسَ الَّتِي سَلَّتْ سَيْفَهَا بِحُنُوٍّ وَحُبُورٍ

اضْحَكُوا مِنْ ذَاكَ الْقَبِيحِ الَّذِي يُبْدِي الدَّلَالَ
ابْكُوا ذَاكَ الْحَبِيبِ الَّذِي انْقَطَعَ عَنِ الْحَبِيبِ

أَثِيرُوا الْمَدِينَةَ كُلَّهَا ، فَقَدْ سَرَتْ شَائِعَةٌ
بِأَنَّ الْمَجْنُونَ قَدْ تَفَلَّتْ ثَانِيَةً مِنَ الْقَيْودِ

يَالَهُ مِنْ يَوْمٍ ، وَيَالَهُ مِنْ يَوْمٍ ؟ ! كَأَنَّمَا هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ
أَقْبَلْتُ صُحُفَةَ الْأَعْمَالِ مِنَ الْأَفَاقِ تَطْيِيرُ

دُقُوا الطُّبُولَ ، وَلَا تَقُولُوا بَعْدُ شَيْئًا
فَلَا مَحَلَّ لِلْعَقْلِ وَالْقَلْبِ ، إِذْ آثَرَتْ الرُّوحُ نَفْسَهَا الْهَرُوبُ

(*) مطلعها : بياييد ، بياييد ، كه گلزار دمیده ست

بياييد ، بياييد ، كه دلدار رسیده ست

* (٥٣)

مَرَّةً أُخْرَى ، ذَاكَ الْحَبِيبُ الْعِيَّارُ (١) وَجَدَنِي
كَانَ فِي السُّوقِ يَسْعَى ثَمَلًا فَوَجَدَنِي

أَخْفَيْتُ نَفْسِي عَنِ النَّرْجِسِ (٢) الْمَخْمُورِ ، فَرَأَنِي
لَذْتُ بِالْفِرَارِ مِنْ بَيْتِ الْخَمَّارِ فَوَجَدَنِي

فِيمَ كَانَ - فَرَارِي؟ وَمَا سَلِمَ مِنْهُ غَيْرِي
فِيمَ كَانَ اخْتِبَائِي؟ وَهُوَ مِائَةٌ مَرَّةً وَجَدَنِي

قُلْتُ : " وَمَنْ يَجِدُنِي فِي زَحْمَةِ الْمَدِينَةِ ؟"
- إِنَّهُ هُوَ مَنْ فِي زَحْمَةِ الْأَسْرَارِ وَجَدَنِي

يَالهَا مِنْ بُشْرَى ! أَنْ بَحَثْتُ عَنَّا غَمَزَةَ الْعَمَّازِ
وَيَالَهُ مِنْ سَعْدٍ ! فَالْسَّارِقُ بِجَبَائِلِ شَعْرِهِ صَادِنِي

(*) مطلعها : بار دگر آن دلبر عیار مرا یافت

سر مست همی گشت به بازار مرا یافت

يبدو الشاعر وكأنه يتحدثُ - في هذه القصيدة - عن شيخه شمس الدين ولقائه به أول مرة حين التقيا في قونية (راجع المقدمة) ؛ فلقد كان هذا اللقاء قدراً مقدوراً لافرار منه ، قد أراد الله له به خيراً كثيراً .

(١) "العيَّار : الذكي الكثير التصرف" (القاموس) .

(٢) إشارة إلى العين التي نامت عن العالم المادى بخمر المعرفة الإلهية .

تَقَطَّرَ أَثْرٌ مِّنْ دَمِي فِي كُلِّ طَرِيقٍ
قَدْ كَانَ يَتَّبِعُنِي ، وَبِالْأَثْرِ وَجَدَنِي

فَرَرْتُ كَالْغَزَالِ مِنَ الْأَسَدِ إِلَى الصَّحْرَاءِ (٣)
ذَاكَ الْأَسَدُ - فِي رِحْلَةِ صَيْدٍ - بِالْجِبَالِ وَجَدَنِي

الْيَوْمَ لَا عَقْلَ وَلَا سَمْعَ وَلَا نَطْقَ
فَأَصْلُ كُلِّ فِكْرٍ وَنُطْقٍ وَجَدَنِي

* * *

(٣) يبدو الشاعر وكأنه يتحدث عن القدر الذي لا يستطيع الإنسان الفرار منه . وقد استحسّن الإمام أبو حامد الغزالي تشبيه القدر بالأسد ، (انظر : إحياء علوم الدين ، كتاب الخوف والرجاء - باب البيان أقسام الخوف بالاضافة إلى ما يخاف منه) .

* (٥٤)

هذه الدَّارُ التي يعلو بها دوماً صوتُ المزمَرِ
سلَّ صاحبها ؛ أي دارِ هذه الدَّارِ

وما صورةُ هذا الصنمِ ، أهي بيتُ الكعبةِ (١)
وما نورُ الله هذا ؟ أهو من بيوتِ الجُوسِ أوقدتْ به النارُ ؟ (٢)

في هذه الدَّارِ كنزٌ لا يسعه الكونُ
وما الدَّارُ وما الصَّاحِبُ إلا فعلٌ وحجَّةٌ تُنارُ

لا تلمسِ الدَّارَ فما هي إلا طلسمٌ
لا تخبرُ صاحبها أنه يشملُ اللياليَ والأسحارُ

ثرابُ الدَّارِ وقشها مسكٌ كلُّه وعنبرُ
صريرُ بابها شدوٌ كلُّه وأشعارُ

(*) مطلعها : اين خانه كه پيوسته در او بانگ چغانه ست

از خواجه بهر سيد كه اين خانه چه خانه ست ؟

(١) لعله يريد بالدَّارِ والصنمِ وبيت الكعبةِ جسم الإنسان ، الذي خلقه الله بيديه ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وفضله على كثير من خلقه ، وسخر له ما في السماوات والأرض ، وميزه عن سائر خلقه بالقلب الحى الذي يتحرَّق شوقاً إلى الرجوع إلى الأصل الأول .

(٢) النور : الروح المشرقة التي تتلظى باغبة والشوق .

جُمْلَةُ الْقَوْلِ أَنْ مَنْ سَلَكَ فِيهَا طَرِيقًا
هُوَ سُلْطَانُ الْأَرْضِ وَسُلَيْمَانُ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَعْصَارُ

اسْتَبَدَّتْ الْحَيْرَةُ بِالْبُسْتَانِ : مَا الْوَرَقُ وَمَا الْبُرْعُمُ ؟؟
اشْتَدَّ الْوَلَهُ بِالطَّيْرِ : مَا الْحَبُّ وَمَا الْفَخُّ الْمَخْفُوفُ بِالْأَخْطَارِ ؟

إِنَّمَا هُوَ سَيِّدُ الْفَلَكَ ، يُشْبِهُ الزُّهْرَةَ وَالْقَمَرَ
وَهِيَ دَارُ الْعَشِيقِ ، لَا تُقَاسُ بِالْأَمْتَارِ

دَارٌ كُلُّهَا ثِقَةٌ وَتَمَكِينٌ ، فَلَا يَدْرِي أَحَدٌ
عَنْ فُلَانَةٍ أَوْ فُلَانٍ ، مِمَّنْ يَدْخُلُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

مَنْ بِاللَّهِ تَمَلَّى هُمْ (وَإِنْ كَانُوا الْوَفَاءَ) وَاحِدٌ
وَمَنْ بِالْهَوَى تَمَلَّى ، هُمْ مَثْنَى وَثَلَاثَ وَأَعْدَادٌ كَثَارٌ

أَيُّهَا الْقَلْبُ ، لَا تُضْرَمِ النَّارَ فِي الدَّغْلِ ، صَهْ
أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، فَمَا لِسَانَكَ إِلَّا شُعْلَةٌ مِنْ نَارٍ

* * *

(٥٥) *

أَغْمَضْتَ عَيْنَكَ ، تَعْنِي حَانَ وَقْتُ النَّوْمِ
لَيْسَ ذَلِكَ بِنَوْمٍ ، بَلْ لِلنَّدَامِ (١) جَوَابُ

قَدْ عَلِمْتَ أَنَّنَا قَلَّمَا نَثُبْتُ قَلَّمَا
وَلِمُقْلَتِكَ السَّكْرَى تَعَجَّلْ وَذَهَابْ

حَبَّذَا الْجَفَاءَ مِنْكَ ، فَاللُّطْفُ وَالْوُدُّ فِيهِ
حَبَّذَا الْخَطَا مِنْكَ : هُوَ عِنْدَنَا عَيْنُ الصَّوَابِ

أَشْعِلْ بِالْعَيْنِ فِي النَّوْمِ نَارًا (٢)
فَمَا الْعَيْنُ وَالْقَلْبُ فِينَا إِلَّا سُوءٌ وَكَبَابُ

إِنْ قِيلَ : "العشوقُ مِنَ السَّاقِي"
قِيلَ "بَلْ هُوَ فَعَلُ الشَّرَابِ" (٣)

(*) مظهرها : ببستی چشم ، یعنی وقت خواب است

نه خواب است آن ، حریفان را جواب است

(١) جمع ندیم .

(٢) عینک تضرم فی النوم ناراً ولا تبقى له أثرا .

(٣) الشراب : خمر المعرفة الإلهية ، وبها لا يقيم الإنسان وزناً ولا يلقي بالألغير

الحق - تعالى .

فَمَا الْخَمْرُ وَمَا السَّاقِي ؟ لَا شَيْءَ إِلَّا الْحَقُّ
يَعْلَمُ اللَّهُ أَمْرَ هَذَا الْعِشْقِ ، هُوَ مِنْ أَىِّ بَابٍ

* * *

هَيْبَاً لَكَ مَا شَرِبْتَ مِنْ خَمْرِ السَّحْرِ
فَتَقَدَّمْ - إِذْنٌ - كَى أَسْرَفَى أذُنَكَ سِرًّا

خَمْرُ الرُّوحِ بَدَتْ نَادِرَةً ، فَاَمْضُ إِذْنٌ وَمِنْهَا تَجْرَعُ
فَجِرْعَةٌ وَاحِدَةٌ تُذْهَبُ كُلُّ مَا فِيكَ عَقْلًا كَانَ أَوْ مَكْرًا

إِنْ خَلَصْتَ مِنَ الْفِكْرِ ، بِالسَّاقَاةِ وَبِالسُّكْرِ
يَهْبِكُ بَائِعُ الْخَمْرِ - بِالْجُودِ - مَائَةَ فِكْرٍ آخَرَ

إِنْ دَخَلْتَ فِي الْأَسْرَارِ ، جَعَلْتُكَ رُوحَ السُّقَا وَالْخَمَارِ
تَضْحُجُ السَّمَاءُ بِصِرْحَةٍ ، عَلَتْ مِنْكَ أَوْ صَوْتٍ سِرِّي

عِنْدَ الْإِصْبَاحِ يَأْتِي إِلَيْكَ ، مِنْجُمُ الْمَلَاخَةِ بِقَدْحِ
يَزْهُو عَلَى مَائَةِ كُنْتَ تَشْرِبُهَا الْبَارِحَةَ لَيْلًا

إِنْ لَمْ تَقُلْ هَايَا أَوْ لَمْ تَقُلْ هَوِيًّا (١)
فَالْمَوْتَى وَالْجَمَادُ تَغْلَى بِغَلْيِكَ غَلِيًّا

(*) مطلعها : هله ، اى آنكه بخوردى سحرى باده كه نوشت

هله پيش آكه بگويم سخن راز به گوشت

(١) ها : إشارة تختص بالقريب . وهو : إشارة إلى الحق تعالى ، كقولك : هو الله .

إِنَّ أَنْتَ أَغْلَقْتَ الْقَم ، رَاقَ لَكَ الصَّمْتُ ، كَمَا رَجَوِيهِ بِفَلْسَفَةِ ثَلَاثَةِ أَنْبَاءٍ
لَكِنْ جَذَبَ النَّدَامَ ، لَا يَدْعُكَ صَامِتًا

من في الخوض ، أعطه كل ذلك

لَمْ يَدَأْ وَلَا قَدَمَا يَنْفَعُ الْفَيْضُ الْفَيْضُ * * *

فَعَمَلُهُ وَالرَّيَابُ كَمَا ، يَنْفَعُ ثَلَاثَةَ أَنْبَاءٍ ، بِأَلْثَمَاتٍ

سَلِيمٍ وَالصَّمْتُ نَعَامًا ، فَلَسْتُ دُونَ الطَّمْعِ إِذَا مَا

لَعَّ أَحَدٌ أَبَدًا ، يَغْمُرُ هَذَا الْعَيْشُ الْوَيْلُ مِنْ تَهْنِئَةٍ ، رَسْمًا رِيهَ تَسْلَمُهُ رِيهَ

(١) فَهَذَا رِيهَ رِيهَ ، لَأَنَّ رِيهَ رِيهَ ، رِيهَ رِيهَ

* * *

رِيهَ رِيهَ رِيهَ رِيهَ ، يَنْفَعُ ثَلَاثَةَ أَنْبَاءٍ ، يَنْفَعُ ثَلَاثَةَ أَنْبَاءٍ

فَعَمَلُهُ كَمَا رِيهَ رِيهَ رِيهَ ، رِيهَ رِيهَ رِيهَ

بِخَلْقَانِ نَهْدِيهِ رِيهَ - رِيهَ رِيهَ - رِيهَ رِيهَ رِيهَ رِيهَ

(٢) فَهَذَا رِيهَ رِيهَ رِيهَ رِيهَ ، وَنَلْقَا نَهْدِيهِ رِيهَ

تَهْنِئَةٍ هِيَ رِيهَ رِيهَ رِيهَ وَنَلْقَا نَهْدِيهِ رِيهَ : لِيَعْلَمَ رِيهَ

تَهْنِئَةٍ هِيَ رِيهَ رِيهَ رِيهَ رِيهَ رِيهَ رِيهَ رِيهَ

لَهُ : رِيهَ رِيهَ رِيهَ رِيهَ رِيهَ رِيهَ رِيهَ رِيهَ

فَلَسْتُ دُونَ الطَّمْعِ إِذَا مَا تَهْنِئَةٍ هِيَ رِيهَ رِيهَ رِيهَ

* (٥٨)

تَاللَّهِ لَنْ أَدْعَكَ تَسْلُكَ طَرِيقَ السَّلَامَةِ
فَلَا رَأْسَ وَلَا قَدَمَ ، وَلَا سَلَامَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

اجْعَلِ الْقَلْبَ وَالرُّوحَ فَنَاءً لـ "لَا" ، اجْعَلْ جَسَدَكَ كَالْعَبَا
لَا تُحَدِّثُ بِأَثَرٍ ، أَوْ تُحَدِّثُ بِخَبِيرٍ ، وَلَا بَدِيلٍ أَوْ عِلَامَةٍ

حِينَ خَلَصْتُ مِنَ النَّفْسِ ، سَدَدْتُ طَرِيقَ الْفِكْرِ
فِيهَا أَيُّهَا السَّاقِي ، ثَمَلٌ سَكْرَانٌ أَنَا ، فَخَلَّصْنِي بِالتَّمَامَةِ (١)

أَلَا فَاقْفِزِ ، أَلَا فَاقْفِزِ ، وَقَدَمًا عَلَى الرَّأْسِ ضَعِ
أَلَا فَحَلِّقْ ، أَلَا فَحَلِّقْ وَاعْلُ مِثْلِي عَلَى السُّكْرِ وَالغَرَامَةِ

اقْطَعِ أَيُّهَا الْعَشِيقُ - كَمُوسَى - رَأْسَ فِرْعَوْنَ التَّكْبِيرِ
أَلَا يَا فِرْعَوْنَ اتْلُقْ دَمًا ، فَلَقَدْ أَخَذْتُ بَابَكَ وَسَقَفَكَ وَالْعِلَامَةَ (٢)

(*) مطلعها : بخدا كت نگذارم كه روى راه سلامت

که سر و پا وسلامت نبود روز قیامت

(١) کذا فی الأصل کلمة عربية تعنى : تماماً

(٢) یعنی علامات الملك وإشارات السلطة .

حذار كى لا تدور عبثاً إذا بلغت الحوض
فقطرته ماء الحياة ، وشطه موضع الإقامة

إن وقعت فى الحوض ، أعطه كل ذاتك
لا تحرك يداً ولا قدماً ، مهارة منك أو شهامة

الزم التسليم والصمت تماماً ، فلست دون الجمع إماماً
فلن يبلغ أحد أبداً ، بغير هذا العشق الإمامة

* * *

(٥٩) *

أَيْنَ مَنْ يَجْعَلُ رُوحِي سَكْرِي بِلَا خَمْرٍ ، أَيْنَ ؟
أَيْنَ مَنْ يُخْرِجُ الْيَدَ مِنْ رُوحِي وَقَلْبِي (١) ، أَيْنَ ؟

وَمَنْ أَقْسَمْتُ أَلَا أَقْسِمُ إِلَّا بِرَأْسِهِ ،
وَمَنْ نَقَضَ عَهْدِي وَتَوَيْتِي ، أَيْنَ ؟

وَمَنْ بِسَبَبِهِ تَصْرَخُ الْأَرْوَاحُ فِي السَّحَرِ
وَمَنْ حَزْنُهُ انْتَزَعَنَا مِنْ مَوْطِنِنَا ، أَيْنَ ؟

هُوَ رُوحُ الرُّوحِ ، فَإِنْ كَانَ بِلَا مَكَانٍ فَلَا عَجَبَ
مَنْ يَطْلُبُ مَكَانًا وَهُوَ فِي جَسْمِنَا (٢) ، أَيْنَ ؟

مَنْ أَغْلَقَ سِتَارَةَ الْقَلْبِ النُّيِّرِ ، وَعَرَضَ الْأَخْيَلَةَ وَالتَّصَاوِيرَ
مَنْ عَلَّقَ عَلَى الْقَلْبِ - خَفِيَّةً - حِجَابًا كَهَذَا ، أَيْنَ ؟

إِنْ لَمْ يَشْمَلِ الْعَقْلُ ، فَلَنْ تَنْخَذَلَ "كَيْفَ وَلِمَاذَا" (٣)
وَمَنْ أَصْبَحَ سَكْرَانًا ، تَرَكَ "كَيْفَ وَلِمَاذَا" ، فَأَيْنَ ؟

(*) مطلعها : آنکه بی باده کند جان مرا مست کجاست ؟

وانکه بیرون کند از جان ودلم دست کجاست ؟

(١) یعنی : من هو مقيم بقلبي ، لا يجد راحته إلا فيه .

(٢) إشارة إلى روح الإنسان .

(٣) إن لم تتملك العقل معرفة الله ومحبتة ، استبدت به الحيرة واستغرقته مقاييس المادة
والخس وصل في بيداء الطلب .

* (٦٠)

الْحُبُّ وَالْهَيَامُ أَسْرَارُنَا
الْأَمْرُ أَمْرُنَا ، وَلَمْ لَا !! ، وَهُوَ رَفِيقُنَا

قَدْ وَلَّى عَصْرُ بَائِعِي الْقَدِيمِ
إِنَّمَا نَحْنُ بَائِعُو الْجَدِيدِ ، وَهَذَا السُّوقُ سَوْقُنَا

إِنْ أَضْحَى الْعَقْلُ سُلْطَانَ هَذَا الْإِقْلِيمِ (١)
صَارَ كَاللِّصِّ مُعَلِّقاً عَلَى أَعْوَادِنَا (٢)

كُلُّ مَا كَانَ سَمًّا أَوَّلًا ، صَارَ تَرْيَاقًا عِنْدَنَا
كُلُّ مَا كَانَ حُزْنًا وَأَسَى ، هُوَ الْآنَ مُحْزُونٌ لَنَا

نَذَرُ نَفُوسَنَا وَذَوَى الْقُرْبَى
فَكُلٌّ مَنْ كَانَ مِنَّا ، هُوَ الْآنَ أَغْيَارٌ (٣) لَنَا

(*) مطلعها : دلبری و بیدلی اسرار ماست

کار کار ماست چون او یار ماست

(١) هذا الإقليم : هذا العالم المادى المحسوس .

(٢) الأعواد : المشانق .

(٣) الأغيار : من هم على غير مانحن عليه .

العُجْبُ بالنَّفْسِ ، حَالَةٌ مِنَ البُؤْسِ
إِيْمَانُنَا بِهَا ، هُوَ إِنْكَارُنَا

طُوبَى لِعَزَلٍ (٤) يَأْتِي مِنْ غَيْرِ نَفْسِي
هَذَا الْأَنْبِيَاءُ البَائِسُ ، إِنَّمَا يَصْدُرُ عَنْ قِيَارَتِنَا

شَمْسُ الدِّينِ التَّبْرِيْزِيْ ، بِنُورِ ذِي الْجَلَالِ
هُوَ فِي الْعَالَمِيْنَ ، أَصْلُ إِقْرَارِنَا

* * *

(١) الغزل : ضرب من ضروب الشعر الفارسي ، نَسَقُهُ يشبه نسق القصيدة في الشكل ، ولكن عدد أبياته أقل . وموضوعه التعبير عن مشاعر السالك في طريق الحق - تعالى - والشاعر في الغزل تبدو معانيه مبعثرة - كما يفعل الدرويش حين يبعثر الأشياء - ولكنها تبدو - بإمعان النظر - مترابطة متماسكة ، راجع المقدمة .

* (٦١)

قَالَ : " مَنْ بِالْبَابِ ؟ " قُلْتُ : " عَبْدُكَ كَامِنٌ "
قَالَ : " مَا حَطْبُكَ ؟ " قُلْتُ : " يَا بَدْرُ ، لَكَ السَّلَامَةُ "

قَالَ : " إِلامَ تَسْعَى وَتَحْفَدُ ؟ " قُلْتُ : " طَالَمَا تُنَادِي "
قَالَ : " حَتَّامَ تَغْلِي ؟ " قُلْتُ : " حَتَّى الْقِيَامَةِ "

دَعَوْتُ إِلَى الْعِشْقِ جَهَارًا ، وَأَقْسَمْتُ بِالْأَيْمَانِ مِرَارًا
أَنْى بِالْعِشْقِ قَدْ أَضَعْتُ ، كُلَّ مَلَكَهٍ عِنْدِي وَشَهَامَهُ

قَالَ : " الْقَاضِي يَطْلُبُ شَاهِدًا عَلَى الدَّعْوَى "
قُلْتُ : " الشَّاهِدُ الْحِشَاءُ مِنِّي ، وَصُفْرَةُ الْوَجْهِ عَلَامَةٌ "

قَالَ : " شَاهِدُ جَرَحٍ (١) : فَعَيْنُكَ آثِمَةٌ "
قُلْتُ : " هِيَ بِيَمِينِ عَدْلِكَ شَاهِدٌ بغيرِ غَرَامَةٍ "

قَالَ : " مَنْ كَانَ الرَّفِيقُ ؟ " : قُلْتُ : " طَيْفُكَ يَا مَلِيكَ "
قَالَ : " مَنْ دَعَاكَ إِلَى هُنَا ؟ " ، قُلْتُ : " عِطْرُ ثوبِكَ وَالْعِمَامَةُ "

(*) مطلعها : گفتا كه : " كيست برادر ؟ " گفتم " كمين غلامت "
گفتا چه كار دارى ؟ گفتم " مها سلامت "

(١) أى أنه ليس شاهداً من العدول ، ففى عدالته جرح .

قال : "ماذا لديك من عزم" ، قلتُ : " المحبةُ والوفاء"

قال : " وما تبغى منّا " : قلتُ : " الطافك العامه"

قال : " وأين الأحسن ؟ " قلتُ : " قصرُ قيصر "

قال : " وماذا رأيت هناك ؟ " ، قلتُ : " مائة كرامه"

قال : " ولم هو خال ؟ " قلتُ : " خشيةُ قاطع الطريق "

قال : " ومن قاطع الطريق ؟ " : قلتُ : " هذى الملامه "

قال : " وأين ترى الأمن ؟ " قلتُ : " فى الزهد والتقى "

قال : " وما الزهد ؟ " قلتُ : " طريقُ السلامه "

قال : " وأين ترى الآفة ؟ " قلتُ : " فى حى عشقك "

قال : " وكيف تراك هناك " قلتُ : " فى حال الاستقامه "

صه لو نطقتُ أنا بطرفه ونكاته ،

لا نطلقت من نفسك مُحلقاً ، فلا باب ولا سقف ولا علامه

* * *

* (٦٢)

كُلُّ جَوْرٍ يَأْتِي مِنْكَ أَفْرَضُهُ عَلَى نَفْسِي غَرَامَهُ
أَضَعُ جُرْمَكَ وَنَفْسَكَ عَلَى بِالتَّمَامَةِ (١)

يَا قَمْرِي الطَّلَعَةَ ، إِنْ صَدَرَ عَنْكَ مَائَةٌ جَوْرٍ
كَانَتْ لِلْجَسَدِ خِلْعَةً ، وَلِلرُّوحِ سَلَامَةً

لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْبِرَايَا فِيكَ نَصِيبٌ
صَارَ عَشْقُكَ نَصِيبِي ، أَنْعَمُ بِهَا مِنْ كَرَامَةٍ

يَسْكُرُ الْكَاسُ بِلَذَّةِ خَمْرِكَ تَارَةً
وَبِذَوْقِ كَاسِكَ يَفُورُ فِيهِ الْمُدَامُ (٢) تَارَةً

يَسْجُدُ الْمَعْنَى حِينَ يَرَى وَجْهَكَ
وَكَلُّ حَرْفٍ حِينَ يَسْمَعُ كَلَامَكَ ، يَرْقُصُ مُوفِيًا ذِمَامَةً

(*) مطلعها : هر جور کز تو آید بر خود نهم غرامت

جرم ترا و خود را بر خود نهم تمامت

(١) بالتمامة : یعنی : تماماً ، انظر القصيدة ص ٥٨ ، هامش ١ ، ص ١٧٠ فيما سبق .

(٢) المُدَام : الخمر .

إِنْ اسْتَتَرَ الْعَاشِقُ حَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَامَةُ
لَأَنْ نُقْلَ هَذَا الْخَمْرُ، لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْمَلَامَةِ (٣)

* * *

(٣) فالملامة تشحذ همّة السالك وتدفعه للمضى قدماً في الطريق ، راجع كتاب "الملامتية والصوفية وأهل الفتوة" للدكتور أبى العلا عفيفى، طبع مصر، ١٩٤٥ م .

* (٦٣)

مَدِينَتُنَا الْيَوْمَ لَهَا ، مَائَةٌ رَوْنَقٍ وَرَوَاءُ
فَقَدْ حَلَّ فِيهَا الْيَوْمَ ، مَلِكُ الْحِسَانِ

لِمَ لَا تَكُونُ حَيْرِي ؟ لِمَ لَا تَكُونُ ضَاحِكَةً ؟
وَهِيَ مَدِينَةٌ بَيْنَ رُبُوعِهَا ، صَارِمُ الزَّمَانِ (١)

هُوَ شَمْسُ الْحُسْنِ حِينَ تَشْرِقُ عَلَى الْأَرْضِ
فَتَرِبُ الْأَرْضُ ثُمَّ يَزْهُو عَلَى كِيَوَانَ (٢)

عَلَى الْفَلَكَ تَضْرِبُ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا ، تَعْنَى
ذَلِكَ هُوَ سُلْطَانُنَا وَمَلِكُنَا ، مَعَهُ مَائَةٌ أَوْ مَائَتَانِ

يَارُوحَ رُوحِ الْأَرْوَاحِ ، اقْرَأْ عَنَّا سَلَاماً
رُحَمَاكَ بِالضُّعْفَاءِ ، فَمَا لِعِشْقِكَ مَنْ أَمَانَ

(*) مطلعها : امروز شهر مارا صد رونق است و جان است

زیرا که شاه خوبان امروز در میان است

(١) صارم ، کذا فی الأصل عربیة والصارم : حامل السیف الباتر الذی یصرع الزمن .

(٢) کیوان : هو زحل .

كَيْفَ لَا يَكُونُ الْعَالَمُ خَضِرًا طَيِّبًا ، مِثْلَكَ أَيُّهَا الرَّبِيعُ
كَيْفَ يَنْعَدِمُ الْأَمْنُ ، وَاللَّيْثُ حَارِسٌ سَهْرَانُ ؟

حِينَ دَقَّ بَابَ الْقَلْبِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى الْبَيْتِ
عَلِمْتَ الرُّوحُ مِنْ عِطْرِهِ ، أَنَّهُ الْحَبِيبُ الْفَتَّانُ

هُوَ قَمَرٌ لَا يَنْخَسِفُ ، هُوَ شَمْسٌ لَا تَنْكَسِفُ
هُوَ خَمْرٌ بَغِيرِ خِمَارٍ ، هُوَ نَفْعٌ بِلا خُسْرَانٍ

هُوَ ذَا الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ ، قَدْ أَقَامَ حَفْلًا سَعِيدًا
فَالشَّمْعُ وَالخَمْرُ وَالْحُسْنُ الْيَوْمَ بِالْمَجَانِ

صَهٍ ، كَيْ يَنْطِقَ هُوَ بَغَيْرِ حُرْفٍ أَوْ لِسَانٍ
فَمَا هَذِهِ بِالْسِنَةِ ، إِنْ كَانَ النَّاطِقُ ذَاكَ اللَّسَانَ

* * *

(٦٤) *

أَظْهَرَ الطَّلْعَةَ فَالْحَمَائِلُ وَالرِّيَاضِ مُنَايَ
أَفْتَحِ الشَّفَةَ ، فَنَظْمُ الْجُمَانِ (١) مُنَايَ

يَاشِمَسَ الحُسْنَ ، أَطَلَّ عَلَيْنَا لِحْظَةً مِنْ وَرَاءِ الغَمَامِ
فَالوَجْهَ المُضْيِءُ لِلأَكْوَانِ مُنَايَ

سَمِعْتُ عِبْرَ أَثِيرِ قَرَعِ طُبُولِ البُرَاةِ (٢)
فَعُدْتُ ، لِأَنَّ سَاعِدَ السَّلْطَانِ مُنَايَ (٣)

قُلْتَ عَلَيَّ سَبِيلِ الدَّلَالِ : "كَفَاكَ إِذَاءً لِي الْآنَ وَامضِ"
وَقَوْلِكَ : "كَفَاكَ إِذَاءً الْآنَ" مُنَايَ

وَقَوْلِكَ دَفْعاً (٤) : "رُحْ ، فَاالْمَلِكُ لَيْسَ بِالدَّارِ"
فَمَا بِحَاجِبِ البَابِ مِنْ تَمَنُّعٍ وَعِنْفَوَانٍ ، مُنَايَ

(*) مطلعها : بنمى رُحْ كه باغ و گلستانم آرزوست

بگشای لب كه قند فراوانم آرزوست

(١) فى الأصل ، السكر الكثير ويعنى به الأسنان البيضاء اللامعة المنتظمة ، وهو فى الشعر العربى : نَظْمُ الجُمَانِ ونثره .

(٢) يعنى الطبول التى كانوا يقرعونها فى الصيد للفقور لكى تنطلق أو تعود .

(٣) يريد الرجوع للوقوف على يد السلطان كالصقر .

(٤) يعنى دفع السائل بعيداً عن باب السلطان .

ما أنا إلا كيعقوب (٥) ، أشكو بثي وحزني مراراً
وحسن طلعة يوسف بن كنعان ، منى

تالله ، تغدو المدينة دونك حبساً
فالضرب بالفيافي والوديان ، منى

برمت برفقة خارت قواها
فأسد الله ورستم الدستان (٦) ، منى

روحي برمت بفرعون وظلمه
ووجه موسى بن عمران ، منى

سمت أناساً يضحون بالشكوى ويذرفون الدمع
فأهة أو صرخة من ثمل سكران ، منى

أنا أفصح من بلبل ، لكنني خوفاً من حسد الناس ،
على فمي خاتم ، والأنين منى

(٥) يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، أبو يوسف ، عليهم السلام .

(٦) أسد الله ، من ألقاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، أما رستم
الدستان ، فهو من أبطال الفرس القدماء ، ويضرب به المثل في الشجاعة والإقدام .

بالأمس أخذ الشيخ في المدينة يسعى
قائلاً : " مللتُ شيطاناً وبهما ، وإنساناً مُنأى "

قالوا : " مُحالٌ أن يُوجدَ ، قدَ بحثنا "
قال : " وما لا يُوجدُ ، هو الآن مُنأى "

لا تُدرِكُهُ الأبصارُ وهو يُدرِكُ الأبصارَ
من صَنَعَتُهُ جَلِيَّةٌ ، وهو خَفِيٌّ عَنِ الْعَيَانِ (٧) ، مُنأى

سَمِعْتُ أذُنِي قِصَّةَ الْإِيمَانِ فَتَمَلَّتْ
أما لِلْعَيْنِ نَصِيبٌ ؟ ! إِنَّمَا وَجَهُ الْإِيمَانِ مُنأى

قَدَحُ الْخَمْرِ بِيَدِ ، وَجَدَائِلُ شَعْرِ الْحَبِيبِ بِيَدِ
إِنَّ رَقِصَةَ وَسَطِ هَذَا الْمِيدَانِ ، مُنأى

* * *

(٧) صُنِعُ اللَّهِ فِي خَلْقِ الْعَالَمِ وَالْإِنْسَانِ ظَاهِرٌ جَلِيٌّ ، لَكِنَّهُ - تَعَالَى - خَفِيٌّ لَا تَرَاهُ الْعَيُونَ
وَلَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ .

* (٦٦)

لَا تَحْتَجِبْ ، فَوَجْهَكَ عَلَيْنَا مُبَارَكٌ
نَظْرُكَ إِلَى الْأَحِبَّةِ جَمْعًا ، مُبَارَكٌ

لَا تَقْبِضْ ظِلَّكَ أَبَدًا عَن رُؤُوسِنَا
وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ ظِلَّ الْعَنْقَا (١) مُبَارَكٌ

يَارْبِيعَ الْحُسْنِ تَعَالَ ، فَذَاكَ الْهَوَاءَ الْعَلِيلُ
عَلَى الرِّيَاضِ وَالْمَرْجِ وَالذَّمَنِ وَالصَّحْرَا مُبَارَكٌ

يَا مَنْ مَائَةٌ رُوحٍ مُقَدَّسَةٍ لَكَ فَدَى
فَمَنْ ذَا يَبْلُغُ حَى الْعَشَقِ ، فَهَنَّاكَ ثُمَّ مُبَارَكٌ

يَا أَسَارَى الْجَسَدِ ! هَلُمُّوا لِلتَّفَرُّجِ عَلَى الْحَبِيبِ
فَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ ، " التَّفَرُّجُ مُبَارَكٌ "

(*) مطلعها : پنهان مشو ، كه روى تو بر ما مبارك است
نظاره تو بر همه جانها مبارك است

(١) العنقا : انظر القصيدة ٦٥ ، هامش ٢ .

مَا مِنْ وَرْقَةٍ أَوْ شَجْرَةٍ إِلَّا وَهِيَ رَسُولٌ مِنَ الْعَدَمِ
بِمَعْنَى أَنْ : كُلُّ نَبْتٍ مَصْفًا مُبَارَكٌ

فَإِنْ تَكَلَّمَ الْوَرَقُ وَالشَّجَرُ بِغَيْرِ لِسَانٍ
فَاسْمَعُوا بِغَيْرِ آذَانٍ ؛ فَأَمْرٌ كَهَذَا مُبَارَكٌ

طَيْفُكَ يَرُدُّ إِلَى عَيْنِي فِي التَّوَّالِئِ وَاللَّحْظَةِ
وَاللَّهُ جَاءَ مُبَارَكًا ، وَهُوَ حَقًّا مُبَارَكٌ

مَا اصْطَبَغَ بِهَذَا التُّرْبِ مِنْ أَثَرٍ ، جَاحِدٌ
إِنَّمَا الْأَثَرُ الْمَصْطَبَغُ بِالْعُلَا مُبَارَكٌ

يُرْوَقُ وَيَحْلُو جَمَالُ الرَّبِيعِ لِأَهْلِ التُّرَابِ
وَهِيَاجُ الْبَحْرِ لِلْأَسْمَاكِ مُبَارَكٌ

لَيْسَ لِلْقَلْبِ مَجَالٌ أَنْ يُفْصِحَ عَنِ الذَّوْقِ
فَالرُّوحُ تَسْجُدُ قَائِلَةٌ : "إِلَهْنَا ، مُبَارَكٌ"

* * *

(٦٧) *

أنا يوسفُ الكنعانيّ ، وجهي القمريُّ برهانٌ مبينٌ
فَمَا طَلَبَ أَحَدٌ مِنَ الشَّمْسِ كِتَابَةً وَشُهُودًا (١)

أنا السَّرُّو السَّامِقُ ، سأعطيك على صدقه دليلاً
لَنْ تَجِدَ مَنْ يَزُهو عَلَى السَّرُّو فِي الاسْتِقَامَةِ قَدًا

أَيْتُهَا الْوُرُودُ وَالْمُرُوجُ ، مَنْ شَاهَدَكَ ؟
- اللَّوْنُ فِي الْعِيُونِ ، وَالرَّائِحَةُ فِي الْحَشَا

إِنْ كَانَ الْعَقْلُ قَاضِيًا ، فَأَيْنَ خَطُّهُ وَمَنْشُورُهُ ؟
- رُؤْيُ عَاقِبَةِ الْأَمْرِ : صَبْرٌ وَوَقَارٌ وَوَفَا ؟ (٢)

إِنْ كَانَ الْعَشْقُ مَحْرَمًا ، فَمَا عَلَامَةُ الْحُرْمَةِ ؟
- مَنْ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ - إِلَّا وَجْهَ الْحَبِيبِ - عِنْدَهُ فَنَاءً عَدَمًا

وَمَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنْ هُنَاكَ عَالَمًا آخَرَ ؟
- تَجَدُّدُ الْأَحْوَالِ ، وَذَهَابُ مَا تَقَادَمَ وَبَلَى

(*) مطلقها : يوسف كنعانيم ، روى جو ماهم گواست

هیچ کس از آفتاب خط و گواهان نخو است

(١) لا يطلب أحد من الشمس أن تبرهن على أنها منيرة .

(٢) یعنی أنه لا بد للعقل من أن تتوافر فيه هذه الشروط الثلاثة للتوصل إلى حكم صائب
فيما يعرض له من قضايا وبخاصة القضايا التي هو مؤهل للنظر فيها .

نهارٌ جديدٌ وليلٌ جديدٌ ، روضٌ جديدٌ شركٌ جديدٌ
كلٌّ حينَ فكرٌ جديدٌ ، فالجديدُ حُسنِي ، والجديدُ غِنِي

من أين يأتى الجديدُ ؟ وأين يذهبُ ما قدّمَ وبلى ؟
- أليس وراءَ النَّظرِ عَالَمٌ بغيرِ انْتِها

العالمُ كماءِ الغديرِ يبدو مُتماسكاً لكنّه
يَمْضِي ويتعاقبُ دوماً ، فَمِنْ أينَ هو ؟ (٢)

صه ، ولا تَقُلْ بعدُ شيئاً ، فَمَنْ ذَا الَّذِي يَحِقُّ لَهُ القَوْلُ
فَتَشْ عَنِ مَصْدَرِ القَوْلِ : إِنما هو مَلِكُنَا ، وكَفَى

مَلِكٌ يَمْنَحُ الرُّوحَ مُلكاً ، فَخِرُ أَهْلِ تَبْرِيزِ
هو مَنْ يَنْطِقُ فِي أسرارِ العِشْقِ ، نَطَقَ المُصْطَفَى

* * *

(٢) يرى جلال الدين الرومى - خلافاً لأغلب المفكرين القدماء - أن الدنيا فى حالة من التبدل والتغير الدائم ، وأن أهم مبدأ من مبادئ المعرفة الكونية إنما يكمن فى تغير العالم وتجدده ؛ وهو يرى أن الكينونة فى الزمان تشبه النهر فىكون قطرة قطرة وإن بدا أمراً مستمراً .

* (٦٨)

يَتَنَاهَى صَوْتَ الْعَشْقِ كُلَّ حِينٍ مِنْ يَمِينٍ وَيَسَارٍ
سَوْفَ نَمْضِي إِلَى الْفَلَكَ ، فَمَنْ يَعْزِمُ عَلَى التَّفَرُّجِ وَالرُّؤْيَى ؟

قَدْ كُنَّا فِي الْفَلَكَ ، صُحْبَةً مَعَ الْمَلِكِ
ثُمَّ نَمْضِي هُنَاكَ دَفْعَةً ، فَمَا تِلْكَ إِلَّا دَارُنَا

نَحْنُ أَسْمَى مِنَ الْفَلَكَ ، نَحْنُ نَرْبُو عَلَى الْمَلِكِ (١)
فَمَا لَنَا لَا نَجْتَازُهُمَا ؟ وَالْكَبْرِيَاءُ نَزَلْنَا

الْجَوْهَرَةَ النَّقِيَّةَ مِنْ أَيْنَ ؟ عَالِمُ التُّرَابِ مِنْ أَيْنَ ؟
عَلَامَ كَانَ هُبُوطُكَ ؟ ارْتَحَلْ ؛ أَيُّ مَكَانٍ هَذَا ؟

الْحِظُّ الْمُسَاعِدُ رَفِيقُنَا ، بَدَلُ الرُّوحِ دَابُنَا
حَادِي قَافِلَتُنَا : فَخَرَّ الْعَالَمُ : الْمُصْطَفَى

انْشَقَّ الْقَمْرُ مِنْ قَمْرِهِ ، لَمْ يَقْوِ عَلَى رُؤْيَيْتِهِ (٢)
يَا لَهُ مِنْ سَعْدٍ نَالَهُ الْقَمْرُ ، إِذْ يَقْبَعُ كَالشَّحَاذِ يَسْتَجِدِي مِنْهُ فَضْلًا

(*) مطلعها : هر نفس آواز عشق می رسد از چپ و راست

ما به فلک می رویم ، عزم تماشا کراست ؟

(١) إشارة إلى معراج النبي - ﷺ - .

(٢) إشارة إلى معجزة انشقاق القمر للنبي - ﷺ - .

هَبْ هَذَا الْعَطْرُ الْعَذْبُ ، مِنْ ثَنِيَّاتِ طُرْتِهِ (٣)
تَأَلَّقَ هَذَا الطَّيْفُ ، بِطَلْعَةِ «الضَّحَى» (٤)

فِي قَلْبِنَا فَنَنْظُرُ ، كُلَّ حِينٍ "شَقَّ الْقَمَرَ" (٥)
فَبَفِيضِ تِلْكَ النُّظْرَةِ ، لِمَ تَرْنُو بِعَيْنِكَ وَرَاءَ الْعَالَمِ ، لِمَ ؟

النَّاسُ كَطَيْرِ الْمَاءِ ، قَدْ وُلِدَ مِنْ بَحْرِ الرُّوحِ
فَكَيْفَ يُقِيمُ هَاهُنَا ، طَيْرٌ مِنْ ذَاكَ الْبَحْرِ نَشَا ؟

بَلْ نَحْنُ أَمْرَاءُ الْبَحْرِ ، فِيهِ نَنْهَى وَنَأْمُرُ
وَإِلَّا فَلِمَ يَتَّبِعُ بَعْضُ الْمَوْجِ مِنْ بَحْرِ الْقَلْبِ بَعْضًا ؟

قَدْ طَمَّ مَوْجٌ "أَلَسْتُ" (٦) فَأَحَاطَ بِسَفِينِ الْقَالِبِ
فَإِنْ صَارَ السَّفِينُ حُطَامًا ، فَهِيَ نَوْبَةُ الْوَصْلِ وَاللُّقَا

* * *

(٣) الحديث عن النبي - ﷺ - .

(٤) إشارة إلى الآية الأولى من سورة «الضحى»، ويريد الشاعر وجه النبي - ﷺ - .

(٥) تضمين من الآية الكريمة « اقتربت الساعة وانشق القمر » (القمر : ١) .

(٦) "أَلَسْتُ" إشارة إلى بدء الخليقة حين أخذ الحق تعالى على الناس الميثاق من قول الله تعالى: « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا ... » (الأعراف : ١٧٢) . ويعنى أن الإنسان حين يأتيه الموت يأتيه اليقين - كموج البحر - بأن لا رب له إلا الله ، فيحطم هذا الموج جسده كما يحطم موج البحر السفن ، ولا يبقى عند ذاك شئ يحول بينه وبين لقاء الله .

* (٦٩)

هِيَ نَوْبَةُ الْوَصْلِ وَاللِّقَا ، هِيَ نَوْبَةُ الْحَشْرِ وَالْبَقَا
هِيَ نَوْبَةُ اللَّطْفِ وَالْعَطَا ، بَحْرُ الصَّفَا فِي الصَّفَا

ظَهَرَ دُرْجٌ (١) الْعَطَا ، وَصَلَتْ غُرَّةٌ (٢) الْبَحْرِ
تَنْفَسُ صَبْحُ السَّعْدِ ، أَيُّ صَبْحٍ هُوَ؟ نُورُ اللَّهِ تَعَالَى

مَنْ الصُّورَةُ وَمَنْ التَّصْوِيرُ ؟ مَنْ هَذَا الْمَلِكُ وَهَذَا الْأَمِيرُ؟
مَنْ هَذَا الْعَقْلُ الْمُسْنُ الضَّرِيرُ ؟ هَذِهِ كُلُّهَا بُرْقُوعٌ أَوْ غَطَاً

لُعْبَةُ الْحُجْبِ وَالْبِرَاقِعِ ، مِثْلُهَا مِثْلُ الْفَقَاقِعِ
وَنَبْعُ كُلِّ الشَّرَابِ الْمَسَاغِ ، فِي رَأْسِكَ وَعَيْنِكَ مَعَا

فِي رَأْسِكَ ثَنِيَّةٌ ، لَكِنَّ لَكَ رَأْسَيْنِ
رَأْسُ الشَّرَابِ ، هَذِهِ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ ، وَتِلْكَ الرَّأْسُ الطَّاهِرَةُ مِنَ السَّمَاءِ

(*) مطلعها : نوبت وصل وبقاست ، نوبت حشر وبقاست

نوبت لطف و عطاست ، بحر صفا در صفا ست

(١) دُرْج : كَذَا ، كَلِمَةٌ عَرَبِيَّةٌ الْأَصْلُ ، وَالدَّرْجُ الصَّنَدُوقُ الصَّغِيرُ الَّذِي يَشْتَمَلُ عَلَى الْخَوَائِجِ
الْثَمِينَةِ .

(٢) غُرَّةٌ ، كَذَا ، كَلِمَةٌ عَرَبِيَّةٌ الْأَصْلُ أَيْضًا ، وَهِيَ مَا أَبْيَضَ مِنْ شَعْرٍ فِي جِهَةِ الْخَيْلِ ، أَوْ بَدَأَ
كُلِّ أَمْرٍ .

كَمْ مِنْ رُؤُوسٍ طَاهِرَةٍ تَهَاوَتْ تَحْتَ أَقْدَامِ التُّرَابِ
كَيْ تَعْلَمَ أَنَّ تِلْكَ الَّتِي هِيَ مِنَ الرَّأْسِ الْأُخْرَى قَائِمَةٌ أَبَدًا

الرَّأْسُ الْأَصْلِيَّةُ خَفَاءٌ ، وَالرَّأْسُ الْفَرَعِيَّةُ عَيَانُ
فَاعْلَمْ أَنَّ وِرَاءَ هَذِهِ الدُّنْيَا عَالَمٌ مَا لَهُ انْتِهَاءُ

أَوْثِقِ الدُّنْيَا أَيُّهَا السَّاقِي ! فَهُوَ عَلَى خَمْرِنَا غَيْرُ بَاقٍ
إِنَّ قَدَحَ الْمَدَارِكِ أَضِيقُ ، مِنْ هَذِي الْمَضَائِقِ كُلِّهَا

مِنْ جِهَةِ تَبْرِيْزِ أَضَاءَتِ شَمْسِ الْحَقِّ ، فَهَتَفْتُ بِهَا :
"نُورُكَ بِالْكُلِّ مُتَّصِلٌ ، وَمُنْفَصِلٌ أَيْضًا"

* * *

(۷۱) *

أَيُّ جَوْهَرَةٍ أَنْتَ !! ، فَمَا بِكَفِّ أَحَدٍ لَكَ ثَمَنُ
وَمَا تَمْلِكُهُ الدُّنْيَا بِكَفِّهَا ، لَا يَبْلُغُ أَنْ يَكُونَ لَكَ عَطَاءٌ

لَيْسَ أَسْوَأَ مِنْ أَنْ يَعِيشَ المرءُ دُونَ وَجْهِكَ
فَلَا تُعَامِلْنِي بِمَا أَنَا لَهُ أَهْلٌ

أُرِيدُ أَنْ أَجْعَلَ قَلْبِي وَرُوحِي كُلَّ حِينٍ ، تَحْتَ قَدَمَيْكَ نِشَاراً مِنْ تَرَابٍ
فَسُحْقاً لِرُوحٍ لَيْسَتْ لِقَدَمِكَ تَرَاباً

مُبَارَكٌ هَوَاؤُكَ لِكُلِّ طَائِرٍ
أَيُّ الطَّيُورِ غَيْرُ مُبَارَكٍ ؟ مَنْ لَيْسَ فِي هَوَائِكَ مُحَلَّقاً

مَا مِنْ أَحَدٍ وَقَفَ وَسَطَ مَوْجِ الحَادِثَاتِ يَنْجُو بِالعَوْمِ ؛
إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَارِفاً حَقّاً

لَا حَدَّ لِلشَّنَاءِ وَلَا لِلْمُثْنِينَ عَلَيْكَ
وَهَلْ مِنْ ذَرَّةٍ إِلَّا وَهِيَ ، بِالشَّنَاءِ عَلَيْكَ حَيْرَى ؟

(*) مطلعها : چه گوهری تو که کس را به کف بهای تو نیست

جهان چه دارد در کف که آن عطای تو نیست

ما القولُ إلا ما قالَ "نظامى" (١) شعراً
"لا تجفُّ، فلستُ لجفائك مطيقاً".

* * *

(١) نظامى الگنجوى ، الشاعر الفارسى المعروف فى القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى . ولد فى «گنجه» بجمهورية آذربايجان ، وله خمس منظومات شعرية هي عبارة عن قصص فى الحب والحكمة والشجاعة ، وتُعرف هذه المنظومات بـ«الكنوز الخمسة». راجع كتاب : "نظامى الگنجوى" شاعر الفضيلة، للأستاذ الدكتور عبدالنعيم محمد حسنين ، طبع مصر ، سنة ١٩٥٦ .

شَانِي أَنْ لَيْسَ لِي شَأْنُ
أَنَا عَاشِقٌ ، مِنْ عِشْقِكَ لَا أَخْلُوُ

وَمَا افْتَرَسَنِي أَسَدٌ حُزْنِكَ إِلَّا
لَأَنَّ هَذَا الْأَسَدَ ، مَا هُوَ لِي صَيْدٌ (۱)

يَا لَهَا مِنْ جَوْهَرَةٍ فِي قَاعِ هَذَا الْبَحْرِ
جَعَلْتَنِي كَالْمَوْجِ ، لَا أَقِرُّ وَلَا أَسْلُوُ

أَنَا عَلَى شَطِّ بَحْرِكَ مُقِيمٌ ، مُقِيمٌ
ثَمَلٌ بِالشَّطِّ أَنَا ، إِلَّا أَنِّي لَيْسَ لِي شَطٌّ

اكَتَسَبَ خَمْرُكَ مِنَ الْجِبَالِ السَّكُونُ
فَلَا تَلْمَنِي أَنْ لَا وَقَارَ لِي قَطُّ

(*) مطلعها : کار من این است که کارم نیست

عاشقم ، از عشق تو عارم نیست

(۱) لعله یعنی داهمنی آسد مفترس هو الحزن علی فراقك دون أن أنتبه لدفعه عن نفسی ،
فكل همی موجّه إليك .

فرعى هو من ولد من العشق
فما لى خير منه فرع ولا صلب (٢)

أى شىء يزهو على العالمين بالسبق ؟ مدينة العشق !
ليس لى غيرها من مدينة تزهو

إن أنا لم أخط كلاماً بعد
فليس لأنى ليس لى من أحب

* * *

(٢) الفروع والأصلا ب : الأبناء والآباء .

(٧٤) *

مَرَّةً أُخْرَى ، اتَّخَذتِ الْوَرَقَاءُ (١) بَيْتَ الْقَلْبِ عَشًّا
وَشَرَعَتْ فِي الْهَتَافِ وَالصَّدَاحِ

وَحِينَ بَلَغَتْ صَيِّحَةُ السُّكَارَى عَنَانَ السَّمَاءِ
بَسَطَ النَّسْرُ الطَّائِرُ هَنَالِكَ الْجَنَاحَ

مِرَاةً ، صَنَعَهَا مِنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ -
ثُمَّ فِي الْمُقَابِلِ نَصَبَهَا - خَالِقُ الْأَرْوَاحِ

صُورَ شَتَّى مِنَ الْمِرَاةِ صَدَرَتْ
فَقَبِلَ مَا كَانَ مِنْهَا لَهُ مَيْسِرًا

فَمَنْ كَانَ ذَا قَلْبٍ انْطَلَقَ فِي إِثْرِهِ
وَمَنْ كَانَ ذَا رَأْسٍ اتَّخَذَ لَهُ مَنِيرًا

* * *

(*) مطلعها : خانهء دل باز کبوتر گرفت
مشغله وبقربقو در گرفت

وهي رقم ٧٦ في مختارات الأستاذ كدكني

(١) الورقاء : الحمامة .

(٧٥) *

أَقْبَلَ اللَّيْلُ ، أَقْبَلَ اللَّيْلُ ، غَرَبَتْ الشَّمْسُ فِي الْحَبِّ
صَارَتْ شَمْسُ رُوحِ الْعَاشِقِينَ مَعَ اللَّهِ فِي الْخُلُوةِ

الصُّبْحُ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ ، كَالْتُرْكِيِّ بَيْنَ الْهِنُودِ (١)
فَمُ بِالْإِغَارَةِ لَيْلاً ، فَالْتُرْكِيُّ فِي الْخَيْمَةِ (٢)

إِنْ نَلْتَمَسُ مِنْ هَذَا الضِّيَاءِ نَفْحَةً ، أَشْعَلَتْ فِي النَّوْمِ نَارًا (٣)
فَمَنْ السَّرِيُّ (٤) وَالرَّقُّ ، صَارَتْ الزُّهْرَةُ وَالْقَمَرُ فِي رُفْقِهِ

فَرَّ أَرُونُ بِاللَّيْلِ نَسْعَى وَنَشْتَدُ نَحْنُ ، فِي إِثْرِنَا زَنُوجٌ تَعْدُو وَتَرَكُضُ
فَقَدْ سَرَقْنَا الذَّهَبَ ، وَعَرَفَ الْحَارِسُ بِالسَّرِقَةِ

(*) مطلعها : بيگاه شد ، بیگاه شد ، خورشید اندر چاه شد

خورشید جان عاشقان در خلوت الله شد

(١) كالتركي بين الهند : كرجل أبيض وسط جمع من السود .

(٢) لعل الشاعر يرمز إلى قول الرسول - ﷺ : «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا .. كل ليلة ..»
رواه البخاري في باب التهجد ، ١٤ ، ومسلم في «المسافرين» ١٦٨-١٧٠ . ولعل
الشاعر يرمز بالإغارة : إلى الإلحاف في الدعاء والتقرب من الحق - تعالى - في
الساعات المباركة من آخر الليل ، والخيمة : قبّة السماء الدنيا . والمعنى أن الرحيم
الودود ينزل ليلاً إلى السماء الدنيا ، فاغتنم الفرصة .

(٣) أي تترك النوم تماماً .

(٤) السري : السير بالليل .

تَعَلَّمْنَا السَّرَى بِاللَّيْلِ ، أَحْرَقْنَا مِائَةَ مِنَ الْعَسَسِ
أَضَانَا صَفْحَاتِ وَجْهِهِ كَالشَّمْعِ ، فَعَدَا بِيَدُنَا "شَاهُ" عَلَى الرُّقْعَةِ (٥)

يَا سَعْدَ وَجْهِ سَعْدٍ ، أَتَى بِالْوَجْهِ قُرْبَ ذَلِكَ الْوَجْهِ
وَيَا كَرَّ قَلْبٍ وَلَى شَطْرَ ذَلِكَ الْحَبِيبِ وَفَرَّهُ

مَنْ ذَا فِي طَرِيقِ الْقَلْبِ لَا يَتَأَوَّهُ
طُوبَى لِمَنْ لَغَرِيقِ تِلْكَ الْآهَةِ ، وَلَوْ كَانَ فِي اللَّجْهِ

حِينَ يَغْرُقُ فِي الْبَحْرِ ، يَرْفَعُهُ الْبَحْرُ عَلَى رَأْسِهِ
كِيُوسَفُ عَلَا مِنَ الْجُبِّ ، إِلَى الْمَلِكِ وَالْمُكْنَةِ (٦)

(٥) الوجه والبيدق والشاه والرقعة مصطلحات في لعبة الشطرنج.

(٦) إشارة إلى قوله تعالى: « وكذلك مكنا ليوسف في الأرض... » (يوسف: ٥٦).

أَقْبَلَ اللَّيْلُ ، أَقْبَلَ اللَّيْلُ ، غَابَتِ الشَّمْسُ فِي الْجَبِّ
هَلُمُوا أَيُّهَا الْمَلِاحُ ، فَالْوَقْتُ وَقْتُ طُلُوعِ الْبَدْرِ الْبَهِيِّ

وَيَا سَاقِي اذْهَبْ إِلَى الْكَاسِ ، وَيَا حَارِسُ اصْعُدْ إِلَى السَّقْفِ
وَتَخَلِّيْ أَيْتَهَا الرُّوحُ الْقَلِقَةُ ، فَالْحَبِيبُ قَدْ أَزْمَعَ الْخَلْوَةَ (١)

الدَّمْعُ الَّذِي كَانَ يَتَلَفُ الْعَيْنَ ، وَالصَّبْرُ الَّذِي كَانَ يَحْرَقُ الْجُرْنَ
العقلُ الَّذِي كَانَ يَسْتَبِينُ الطَّرِيقَ ، قَدْ ضَلَّ حِينَ انْتَصَفَ اللَّيْلُ فِي الْعَتَمَةِ

أَرْوَاحٌ مِنْ أَنْارَتِ مِنْهُمُ الْأَفْتَدَةُ ، تُضِيءُ اللَّيْلَ بِالْقَلْبِ
فَذَا هِنْدِيُّ اللَّيْلِ يَصْرُخُ : التُّرْكِيُّ فِي الْحَمِيمَةِ (٢)

بَلْعَبَةٌ بَارِعَةٌ قَدْ يَمْضِي الْبَيْدَقُ ، فَيَعْدُو وَزَيْرَا
أَوْ يَتَحَوَّلُ الْبَيْدَقُ إِلَى "شَاهٍ" بظِلِّ مُبَارَكٍ لِرُقْعَةٍ

(*) مطلعها : بيگاه شد ، بيگاه شد ، خورشيد اندر چاه شد

خيزيد اي خوش طالعان ، وقت طلوع ماه شد

(١) أزمع الخلوة : رغب فيها .

(٢) يريد بالتركي هنا الشمس ، ويرمز بالهندي إلى ظلمة الليل ، (راجع هامش « ١ » من

القصيدة ٧٥ ، ص ٢٠٣ فيما سبق) .

الأرواح بالليل وأصله ، المقاصد بالليل حاصله (٣)
يصير مضيء القلب كالنهار ، من صار عليمًا بقدر الليل والظلمة

فيا صبح ، أنت يوم الحشر؟ وياليل ، أنت ليلة القدر؟
أم صرت مظهرًا لله ، كما رأى موسى « من الشجرة » (٤)

لا تكن غافلاً في بئر الليل ، أمسك برقبة الدلو
قد أمسك يوسف بالدلو ، فصار من البئر إلى الرفعة

* * *

(٣) لليل قيمة كبرى عند المحبين ، وفي ظلمة الليل تتلأأ قلوبهم بنور الحق - تعالى - .
(٤) إشارة إلى الشجرة التي تجلى الحق - تعالى - عليها لموسى ، من قوله تعالى : « فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله أمكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون * فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله رب العالمين ... » ،
(القصص ٢٩ - ٣٠)

إِنْ تَكَلَّمْتَ رُوحَ الْعَاشِقِ أَضْرَمْتَ النَّارَ فِي هَذَا الْعَالَمِ
فَجَعَلْتَ هَذَا الْعَالَمَ مُجْتَثًا الْأَصْلَ (١) هَبَاءً أَوْ كَالْعَدَمِ

يَغْدُو الْعَالَمُ كُلَّهُ بَحْرًا ، يَغْدُو الْبَحْرُ مِنَ الْهَيْبَةِ "لَا" (٢)
فَلَا يَبْقَى آدَمِيٌّ أَوْ إِنْسَانٌ ، حَتَّى وَلَوْ تَشَبَّثَ بِتَلَابِيْبِ آدَمِ

يَصَاعِدُ دُخَانَ مِنَ الْفَلَكَ ، فَلَا يَبْقَى خَلْقٌ وَلَا مَلَكٌ
فَإِذَا بَنَارٍ تَشَبُّ مِنْ ذَلِكَ الدُّخَانِ ، فِي الْقُبَّةِ الْأَعْظَمِ

تَنْشَقُّ عِنْدَ ذَلِكَ السَّمَاءِ ، فَلَا يَبْقَى كَوْنٌ وَلَا مَكَانٌ
يَعْمُ الْأَضْطِرَابُ الْعَالَمَ ، يَنْقَلِبُ هَذَا الْحَفْلُ إِلَى مَاتَمِ

تَارَةً يَحْمِلُ النَّارُ الْمَاءَ ، تَارَةً يَلْعُ الْمَاءُ النَّارَ
تَارَةً يَلْطِمُ بَحْرُ الْقَدَمِ ، كُلُّ أَشْهَبٍ (٤) وَأُدْهَمٍ (٥)

(*) مطلعها : گر جان عاشق دم زند آتش درین عالم زند

واين عالم بى اصل راجون ذره ها برهم زند

(١) مجتث الأصل : عديم الأصل .

(٢) أى يتضاءل العالم ويفنى .

(٣) لعل الشاعر يريد ببحر القدم ما ورد فى قول الحق تعالى : «وهو الذى خلق السماوات
والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ... الآية» (هود : ٧) .

(٤) الأشهب : الأبيض عليه نقاط سوداء .

(٥) الأدهم : الفرس الأسود .

يَعْتَرِي الشَّمْسُ النَّقْصَانَ ، فَتَعْدُو أَقْلُ نُوراً مِنْ رُوحِ إِنْسَانٍ
عَنِ الْغُرَبَاءِ لَا تَسْلُ ، حَيْثُ يَصَاغَرُ كُلُّ مُحْرَمٍ

يَتْرِكُ الْمَرْيخُ الشَّهَامَةَ (٦) ، يَحْرِقُ الْمُشْتَرَى (٧) الدَّفْتَرُ
يَذْوِي جَلَالَ الْقَمَرِ ، يَنْقَلِبُ سَعْدُهُ حَزْناً وَغَمٌ

يَسْقُطُ عَطَارِدُ فِي (٨) الْوَحْلِ ، تَضْطَرِمُ النَّارُ فِي زُحْلِ (٩)
لَا تَبْقَى الزُّهْرَةُ مُزْهِرَةً ، وَلَا تَضْرِبُ لِلسَّعْدِ نَغْمٌ (١٠)

لَا يَبْقَى قَوْسٌ وَلَا قَرْحٌ ، لَا يَبْقَى خَمْرٌ وَلَا قَدْحٌ
لَا سَعْدٌ يَبْقَى وَلَا فَرْحٌ ، وَلَا جُرْحٌ يُعَالَجُ بِمَرْهَمٍ

صَفْحَةُ الْمَاءِ لَا تَنْتَقِشُ ، وَالرِّيْحُ أَيْضاً لَا تَفْتَرِشُ
وَالرُّوْحُ بِالْحُسْنِ لَا يَرْتَقِشُ ، وَغَيْمٌ نَيْسَانَ بِالْقَطْرِ لَا يَنْسَجِمُ

(٦) المريخ : يُرمز إليه في الأساطير بالشجاعة والفروسة .

(٧) المشتري : يقال له قاضي الفلك .

(٨) عطارد : يُرمز إليه بكاتب الفلك .

(٩) زحل : كان القدماء يرون فيه النحاس الأكبر .

(١٠) الزهرة : رمز الغناء والموسيقى .

لا يَبْقَى أَلَمٌ أَوْ دَوَا ، لا خِصْمٌ يَبْقَى وَلا مَنْ يَشْهَدُ
لا ناي يَبْقَى أَوْ لَحْنٌ ، وَلا مِنْ قِيَارَةِ تَتْرَمُ

تَتَنَحَّى الْأَسْبَابُ وَتَبْطُلُ ، يَغْدُو السَّاقِي لِنَفْسِهِ سَاقِيَا
تَهْتَفُ الرُّوحُ : " رَبِّي الْأَعْلَى " ، يُتِمَّتِمُ الْقَلْبُ : " رَبِّي الْأَعْلَمُ "

تَنَبَّهُ ، فَنَقَّاشُ الْأَزْلِ ، بَاشِرٌ - لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ - الْعَمَلِ
كَيْ يَنْقُشَ بِلَا بَدَلٍ ، نُقُوشًا عَلَى كُسُوةِ الْمُعَلِّمِ (١١)

يُشْعَلُ " الْحَقُّ " نَارًا ، تَحْرِقُ كُلَّ مَا لَيْسَ بِحَقٍّ
فَتَحْرِقُ النَّارُ الْقَلْبَ ، (١٢) وَتَأْتِي عَلَى قَلْبِ ذَاكَ الْعَالَمِ

شَمْسُ الْحَقِّ ، الْقَلْبُ لَهَا شَرْقٌ ، يَلْمَعُ بَرَقُهُ
كُلُّ بُرْهَةٍ عَلَى " ابْنِ أَدَهْمِ " (١٣) ، وَيَشِعُّ عَلَى " عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ "

* * *

(١١) كُسُوةِ الْمُعَلِّمِ : كَذَا فِي الْأَصْلِ ، كَلِمَتَانِ عَرَبِيَّتَانِ ، وَمَعْنَاهَا الْكُسُوةُ الْمَنْقُوشَةُ .

(١٢) الْقَلْبُ : الْمَنَاقِقُ ، الْخَادِعُ .

(١٣) يَعْنِي إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدَهْمِ الْبَلْخِي ، مِنْ كِبَارِ الزُّهَادِ ، تَوَفَّى سَنَةَ ١٦٦ هـ .

* (٧٨)

امض ، وَقُلْ لِدَاكِ الرَّبَابِ : "السُّكَارَى عَلَيْكَ يُسَلِّمُونَ"
وَقُلْ لَطَيْرِ الْمَاءِ : "السُّكَارَى عَلَيْكَ يُسَلِّمُونَ"

وللأمير السَّاقِي : "السُّكَارَى عَلَيْكَ يُسَلِّمُونَ"
وللعميرِ الْبَاقِي : "السُّكَارَى عَلَيْكَ يُسَلِّمُونَ"

ولأمير الْفَتَنِ : "السُّكَارَى عَلَيْكَ يُسَلِّمُونَ"
وللمحبةِ وَالشَّجَنِ : "السُّكَارَى عَلَيْكَ يُسَلِّمُونَ"

أَيُّهَا الْقَمْرُ ، يَا مَنْ يَنْشَأُ مِنْ طَلْعَتِكَ الْحَجَلُ : "السُّكَارَى عَلَيْكَ يُسَلِّمُونَ"
يَا مَنْ أَنْتَ لِلْقَلْبِ أَنْسٌ لَا يَتَحَوَّلُ : "السُّكَارَى عَلَيْكَ يُسَلِّمُونَ"

يَا رُوحَ الرُّوحِ ، يَا رُوحَ الرُّوحِ : "السُّكَارَى عَلَيْكَ يُسَلِّمُونَ"
يَا مَنْ أَنْتَ هَكَذَا وَمِائَةٌ مِثْلُ ذَلِكَ : "السُّكَارَى عَلَيْكَ يُسَلِّمُونَ"

(*) مطلعها : رو آن ربابی را بگو "مستان سلامت می کنند"

وان مرغ آبی را بگو : "مستان سلامت می کنند"

"لم تراع فی هذه القصيدة قواعد الغزل الفارسی" تعليقات الأستاذ كدكنی .

لَيْسَ هَا هُنَا مِنْ مَفِيقٍ : "السُّكَارَى عَلَيكَ يُسَلِّمُونَ"
هُنَا سَكْرَانٌ وَاحِدٌ بَغَيْرِ رَفِيقٍ : "السُّكَارَى عَلَيكَ يُسَلِّمُونَ"

يَا أَمَلِ الْأَمَلِ : "السُّكَارَى عَلَيكَ يُسَلِّمُونَ"
أَزْحُ السُّتَارِ وَعَجَلٌ : "السُّكَارَى عَلَيكَ يُسَلِّمُونَ"

* * *

* (٧٩)

حُبُّكَ يَجْرِي فِي نَهْرِ الرُّوحِ جَرَى مَاءِ الْحَيَاةِ
مَاءُ الْحَيَاةِ يَجْرِي بِعَشْقِكَ فِي نَهْرِ الطَّالِبِينَ

العالمُ ملآنٌ بالحمدِ والثنا ، قد تعلم من البيغوات الغنا
يُحَلِّقُ طَائِرُ قَلْبِي عَالِيًا ، حِينَ تَضِحُّ الطُّيُورُ بِالذِّكْرِ أَجْمَعِينَ

بالرُّوحِ أَفْدَى ذِكْرَهَا (١) ، أَضْحِكُ الرُّوحَ لِأَجْلِهَا
فَإِنْ لَمْ تَضْحَكِ الرُّوحُ أَوْ تَبْسِمِ ، فَكَيْفَ تَتْرِكُ الْجَسَدَ فِي لُطْفِ الْمُحِبِّينِ؟ (٢)

مَا الرُّوحُ؟ دَنْ الْمُلُوكِ ، بِهِ خَمَرُ السَّمَاءِ
وَمِنْ ثَمَّ يَمْضِي الْكَلِمُ ، أَشَعَثَ أَغْبَرَ كَالْمَجَانِينِ

فِي شُرْبِي ذَوْقَ آخَرَ ، فِي سَيْرِي ذَوْقَ آخَرَ
فِي قَوْلِي ذَوْقَ آخَرَ ، وَالْبَاقِي مِثْلُ ذَلِكَ كَالْقَرِينِ

(* مطلعها : . سودای تو در جوی جان چون آب حیوان می رود

آب حیات از عشق تو در جوی جویان می رود

(١) یفدی الشاعر بروحه تسبیح الطیور .

(٢) حین تظمئن الروح إلى أن الكون كله یردد ذكر الحبيب ، ویسبح بالتحمید ، تنفعل ،

و حین یحین الأجل تنطلق من الجسد بلطف المحب .

القمرُ في إثر الصَّولجانِ يسعى ، هبْ نفسك كُرَّةً
فروحِ الشَّمسِ تخفِّقُ ، حينَ تتدحرجُ الكُرَّةُ أو تبين (٣)

* * *

(٣) تبين : تبعُد ، وعن الصَّولجانِ والكُرَّة ، راجع فيما سبق القصيدة رقم ٥٠ . هامش ١٠ ، ص ١٥٥ ، والمراد هنا رحمة الحقِّ تعالى بالإنسان ، انظر حديث النبي - ﷺ - " لله أرحم بعباده من هذه بولدها " رواه البخارى : الأدب ١٨ ، مسلم : التوبة : ٢٢ .

* (٨٠)

أتى ربيعُ العاشقين لتصبح الأرضُ روضةً
أتى نداءُ السماءِ لطائرِ الروحِ فحلَّقَ

طغى البحرُ بالجوهرِ ، غدا المِلحُ كالكوثرِ
منجماً للياقوتِ تحوّلَ الحجرُ ، كما تحوّلَ الجسدُ إلى روحِ جمعا

العيونُ والأرواحُ فى العاشقين غدت سُحباً ثقالاً
فمثلَ القلبِ فى غمامِ الجسدِ ، كمثلِ البرقِ يواصلُ الرعدَ

أتدرى لِمَ صارتُ عيونُ العاشقين فى العشقِ كالسحابِ ؟
لأنَّ القمرَ يتخفى فى الدَّيمِ (١) دوماً

يا لها من غبطةٍ ، ساعة أن يبكى السحابُ
بوركتُ ياربُّ حالةً ، صار فيها البرقُ ضاحكا

(*) مطلعها : آمد بهار عاشقان تا خاکدان بستان شود

آمد ندای آسمان تا مرغ جان پُرآن شود

(١) الدَّيمِ : السحب الممطرة .

هِيَ قَطْرَاتٌ بَمَنَاتِ الْأَلْفِ لَا تُعَدُّ ، فَلَوْ أَنَّ وَاحِدَةً
مِنْهَا نَزَلَتْ عَلَى الْأَرْضِ ، لَصَارَ الْعَالَمُ كُلُّهُ خَرِبًا

يَصِيرُ الْعَالَمُ كُلُّهُ خَرِبًا ، وَكُلُّ خَرِبٍ يَصِيرُ بِالْعَشْقِ
لُوحٌ فِي السَّفِينَةِ صَاحِبًا ، وَلَأَسْرَارِ الطُّوفَانِ مَحْرَمًا (٢)

لَوْ سَكَنَ الطُّوفَانُ ، لَمَا دَارَتِ السَّمَاوَاتُ
فَمِنْ ذَلِكَ الْمَوْجِ الْخَارِجِ عَنِ الْجِهَةِ ، تَتَحَرَّكُ الْجِهَاتُ السَّبْتُ أَبَدًا

إِنْ بَقِيَتْ تَحْتَ الْجِهَاتِ السَّبْتُ ، تَجْرَعُ الْحُزْنَ ثُمَّ تَجْرَعُ الْحُزْنَ
فَالْبُدُورُ سَوْفَ تَصْبِحُ لِلنَّخْلِ وَاحِدَةً يَوْمًا

الرُّزْقُ يَنْشَأُ مِنَ التُّرْبِ ، يَجْعَلُ الْجِذْرَ غُصْنًا رَطْبًا
فَإِنْ جَفَّ غُصْنٌ أَوْ غُصْنَانٌ ، صَارَتِ الْبَقِيَّةُ حُبْلَى

شَيْءٌ مَا أَغْلَقَ فَمَى ، أَيْعْنَى ثَمَلٌ أَنَا؟
كُلُّ مَا تُصْبِحُ أَنْتَ مِنْهُ حَيْرَانًا ، صَارَ ذَلِكَ الشَّيْءُ مِنْهُ حَيْرَانًا

(٢) الحرم : القريب ، العارف بالأسرار .

(٨١) *

يُسَلِّمُ عَلَيْكَ مَخْمُورٌ ، يَبْعَثُ بِرِسَائِلِهِ إِلَيْكَ سِرًّا
مَنْ سَلَبَتْ مِنْهُ الْفُؤَادَ ، رَاحَ بِالرُّوحِ يَعْْبُدُكَ

يَأْمَنُ جَعَلْتَ الْعَدَمَ وَجُودًا ، اسْمِعْ سَلَامَ الْمَخْمُورِ
الْمَخْمُورِ الَّذِي يُوثِقُ يَدَيْهِ مَعًا بِقَيْدِ فَخْكَ

يَا سَمَاءَ الْعُشَّاقِ ، يَا رُوحَ رُوحِ الْعُشَّاقِ
حُسْنُكَ بَيْنَ الْعُشَّاقِ ، عَلَى مَرَادِ الْأَحِبَّةِ يَجْعَلُكَ

يَا ذَوْقَ كُلِّ شَفَةِ ، يَا قِبْلَةَ كُلِّ دِينٍ
الْقَمَرُ كُلَّ لَيْلَةٍ عَسَسَ ، يَطُوفُ حَوْلَ سَقْفِكَ

مَنْ يَجْعَلُ التَّرَابَ أَبْدَانًا (١) ، وَيَجْعَلُ الدُّخَانَ أَلْوَانًا (٢)
فَيَأْتِرَابَ الْبَدَنِ ! وَيَا دُخَانَ الْقَلْبِ ! انظُرْ فِي أَيِّ صُورَةٍ يَجْعَلُكَ

(*) مطلعها : مستى سلامت می کند پنهان پیامت می کند

آن کو دلش را برده ای ، جان هم غلاست می کند

(١) إشارة إلى خلق آدم من تراب .

(٢) إشارة إلى خلق العالم من دُخان (راجع سورة فُصِّلَتْ : ١١)

لحظة جناحاً يهبك ، لحظة مرسي يمنحك
لحظة صباحاً يجعلك ، لحظة ليلاً يجعلك

لحظة يرعبك ، لحظة يضحكك
لحظة يسكرك ، لحظة كأساً يجعلك

أنت كالحاتم في يده هو ، تارة خمر وتارة ثمل هو
إن حطم هذا الحاتم ، فوالله تاماً يجعلك

تارة ذاك وتارة هذا ، نهايتك " التمكن " (٣)
غير أنه بهذا " التلويين " (٤) ، راضياً مرضياً يجعلك

كنت زمناً " نوحاً " ، قدمك كانت في شدة
والآن - كالسفينة - ، بغير قدم وخطو يجعلك

صه ، واقعد حيران ، حيران يبعث الحيرة
قادر أنت على القول ، إلا أن القول نيباً فجاً يجعلك

(٣) التمكن ، زوال الصفات البشرية .

(٤) التلويين : لفظ مقابل للتكوين ، والتلويين هو الترقى في مدارج السلوك .

* (۸۲)

رُشُوا الطَّرِيقَ بِالمَاءِ ، هَيَّا ، فَالحَبِيبُ مُقْبِلُ
زُقُوا لِلرَّوْضِ بُشْرَى ، فَقَطَّرُ الرَّبِيعُ مُقْبِلُ

أَفْسَحُوا الطَّرِيقَ لِلحَبِيبِ ، أَفْسَحُوا لِبَدْرِ التَّمِّ
فَبِنُورِ طَلَعَتِهِ البَهِيَّةِ ، هَاهُو النُّورُ نَثَارًا يُقْبِلُ

انْشَقَّتِ السَّمَاءُ ، سَرَتَ فِي العَالَمِ ضَحَّةٌ
يَفُوحُ المِسْكُ والعَنْبِرُ ، فَرَايَةُ الحَبِيبِ تُقْبِلُ

تَتَخَذُ الرَّوْضَةُ الرَّوْنَقَ ، يَصِلُ القَنْدِيلُ والحَدَقُ (۱)
يَتَنَحَّى الحَزْنُ وَيُطْرَقُ ، فَالقَمَرُ عَلَى الرُّكْنِ يُقْبِلُ

يَمْضِي السَّهْمُ يَنْطَلِقُ ، صَوَّبَ الهَدَفَ يَمْرُقُ
فَمَا بَالُنَا قَدْ قَعَدْنَا ؟ ! وَالْمَلِكُ مِنَ الصَّيْدِ مُقْبِلُ

(*) مطلعها : آب زنید راه را هین که نگار می رسد

مژده دهید باغ را بوی بهار می رسد

(۱) الحدق : العين .

الرَّوْضُ يَهْبُ مُسْلِمًا ، وَالسَّرُّو يَشْبُ قَائِمًا
وَالْمُرُوجُ تَسِيرُ الْهُوَيْنَا ، وَالْبُرْعَمَةُ رَاكِبَةٌ تَقْبَلُ

أَهْلُ خَلْوَةِ السَّمَاءِ ، حَتَامُ يَعْبُونُ الْخَمْرَ
خَرِبَتْ الرُّوحُ وَثَمَلَتْ ، وَالْخِمَارُ لِلْعَقْلِ يُقْبَلُ

حِينَ تَبْلُغُ حِينًا ، فَالصَّمْتُ هُوَ طَبْعُنَا
فَمِنْ قَوْلِنَا وَقِيلِنَا ، تَرَى النَّقْعَ (٢) وَالْغُبَارَ يُقْبَلُ

* * *

(٢) النَّقْعُ : الْغُبَارُ الْمَثَارُ .

(٨٣) *

الْحَبِيبُ ، يَأْخُذُ بِزِمَامِي - ثَانِيَةً - كَالْبَعِيرِ
فَبَأَى قَافِلَةً يُلْحِقُ بَعِيرَهُ الثَّمْلَ وَيُرْدُهُ

جَرَحَ رُوحِي وَجَسَدِي هُوَ ، كَسَرَ زَجَاجَتِي هُوَ
قَيَّدَ بِالْأَغْلَالِ عُنُقِي هُوَ ، فَمَا هُوَ صَانِعٌ بَعْدُ

بِشْبَاكِهِ يَحْمِلُنِي - كَالسَّمَكِ - إِلَى الْيَابِسَةِ
يَدْفَعُ بِشِبَاكِ قَلْبِي نَحْوَ أَمِيرِ الصَّيْدِ

مَنْ يَسُوقُ قَافِلَةَ السَّحَابِ ، تَحْتَ السَّمَاءِ ، كَالْجِمَالِ
- إِلَى الْجِبَالِ وَالْأَكْنَانِ ، فَيَسْقِي بِهَا الْوَادِي

يَدُقُّ الرَّعْدُ الطُّبُولُ ، قَدْ صَارَ الْجُزْءَ حَيًّا وَالْكَلُّ حَيًّا
يَدْفَعُ عِطْرَ الرَّبِيعِ ، فِي قَلْبِ الْغُصْنِ وَوَبَّ الْوَرْدِ

يَذْهَبُ لُطْفُ الرَّبِيعِ ، بِخِمَارِ أَوْجَعِ الرَّوْضِ
وَإِنْ كَانَ يَسْتَدْرِجُ الْآنَ إِلَى الْخِمَارِ جَفَاءَ أَيَّامِ الْبَرْدِ (١)

(*) مطلقها : يارُ مرا ، چو اشتران ، باز مهار می کشد

اشتر مست خویش را در چه قطار می کشد

(١) في الأصل : جفاء "ذى" و"ذى" أحد شهور الشتاء في السنة القمرية الشمسية المعمول بها في إيران ، ويعرف بجوه البارد الذي يكثُر فيه تساقط البرد ، ومعناه أن الربيع يأتي لكي يسدل على قسوة أيام الشتاء ستار النسيان .

أَمِنْ تَذَوُّقِ قِطْعَةٍ مِنْ سُكَّرٍ
يَجْرِي لِبِغَاءِ رُوحِي الثَّمَلَةَ مَا يَجْرِي ؟

أَمِنْ إِطْلَالَةِ طَلْعَةِ قَمَرٍ
يَجْرِي لِزُهْرَتِي الْمَوْلَعَةِ بِالْخَمْرِ مَا يَجْرِي ؟

بَحْرُ قَلْبِي - وَقَدْ جَاوَزَ مَوْجَهُ تَاسِعَ سَمَا -
تَمَلَّكْتَنِي الْحَيْرَةُ لِمَا بِهِ - بِسَبَبِ جَوْهَرَةٍ - يَجْرِي

رَوْضُ قَلْبِي ، وَمَائِهِ إِرْمٌ (۱) فِي نَظَرِهِ عَدَمٌ
طَارَ صَوَابُ النَّرْجِسَةِ الْوَالِيدَةِ ، لِمَا بِهِ - بِسَبَبِ شَجَرَةٍ - يَجْرِي

الرُّوحُ جَيْشٌ وَأَنَا عَلَمٌ ، الرُّوحُ سَحَرٌ وَأَنَا قِطْرَةٌ نَدَى
قَلْبِي ، شَمْسِي ، مَاذَا بِهِ - كُلُّ سَحَرٍ - يَجْرِي

تَمَزَّقَ الْقَلْبُ مِرْقًا ، أَمَامَ النَّظَرِ وَالنَّاطِرِينَ
فَهَذَا الْكُونُ كُلُّهُ ، مَاذَا بِهِ - كُلُّ لَحْظَةٍ - مِنْ نَظَرَةٍ يَجْرِي ؟

(*) مطلعها : طوطى جان مست من از شكرى چه مى شود !

زهره ميبيرست من از قمرى چه مى شود !

(۱) إرم : الجنة .

مِنْ غَلَبَاتِ عِشْقِهِ ، أَيْ هِيَاجِ يَسْتَبِدُّ بِالْعَقْلِ !!
مِنْ لَمَعَانِ رُوحِهِ ، مَا الَّذِي بِبَشَرٍ^(٢) يَجْرِي

أَنَا بِأَجْمَعِي كَالزُّجَاجَةِ ، حِرْفَتِي صُنْعُ الزُّجَاجِ
أَهْ ، مَا الَّذِي بِزُجَاجَةِ قَلْبِي - بِسَبَبِ حَجَرٍ - يَجْرِي

الْأَذْكَيَاءُ وَأَهْلُ الْفِطَنِ ، وَإِنْ صَارُوا يَأْقُوتُ الْمَنْجَمِ
عَنْ هَذَا غَافِلُونَ ، فَمَا الَّذِي - بِسَبَبِ الْإِغْفَالِ عَنْهُ يَجْرِي ؟

مِنْ تَبْرِيزٍ - وَهِيَ شَمْسُ الدِّينِ - يَسْتَقِيمُ الْقَلْبُ وَالنَّظْرُ
تِلْكَ نَظْرَةٌ خَيْرٌ مِنْ كَلِيلٍ ، فَمَا الَّذِي لِكَلِيلِ الْبَصْرِ يَجْرِي ؟

* * *

(٢) فى الأصل : جانور : أى ذو روح ، حيوان ، ولعل فيه إشارة إلى قول الله تعالى للملائكة : « إني خالق بشرأ من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » (ص : ٧٢) .

طَيْفٌ حَبِيبِي التُّرْكِيُّ (١) يَتَّخِذُ كُلَّ لَيْلَةٍ صِفَاتِ ذَاتِي
فَنَفِيُّ ذَاتِي فِيهِ هُوَ كُلُّهُ إِثْبَاتِي

مِنْ حَرْفِ عَيْنٍ "عَيْنِهِ" (٢)، مِنْ ظُرْفِ "جِيمٍ" (٣) أَذُنُهُ
"شَاهُ" شِطْرَنْجِ الكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ (٤)، بِكَلِمَةٍ مَنِيٍّ يَصِيرُ إِلَى "مَاتٍ" (٥)

إِنْ شَقَّقْتَ وَاحِدَةً مِنْ ذَاكَ التَّفَاحِ، تَوَلَّدَتْ مِنْ لُبِّهَا حُورِيَّةٌ (٦)
يَغِيبُ فِيهَا الْعَالَمُ، فَيَصِيرُ لِي كَرْمِي وَجَنَاتِي

وَإِنْ أَخَذْتَ المَصْحَفَ بِكَفِّي، وَقَعَ مِنَ الحَيْرَةِ مِنْ يَدِي
فَيَقْرَأُ وَجْهَهَا أَوَّلَ عَشْرِي (٧)، وَشَفَّتْهَا تُرَدُّدُ آيَاتِي

(*) مطلعها : خيال ترك من هرشب صفات ذات من گردد

که نفی ذات من در وی همه اثبات من گردد

(١) التركي : رمز الجمال والمنعة .

(٢) حرف عين عينه ، فالعين تشبه حرف العين العربى .

(٣) حرف الجيم بانحنائه يشبه الأذن .

(٤) الكواكب السبعة السيارة وهى فى علم الفلك القديم : المريح ، الزهرة ، المشترى ، زحل ، عطارد ، القمر ، الشمس .

(٥) مات ، اصطلاح يقال فى لعبة الشطرنج إذا حوَّصر «الشاه» ولم يجد اللاعب له مخرجاً .

(٦) إشارة إلى ما روى من أن بالجنة شجراً إذا قطفت ثماره ، خرجت من كل واحدة منها حورية لا نظير لها فى الجمال .

(٧) العُشْرُ ، علامة على هامش أوراق المصحف لبيان كل عشر آيات فى السورة .

الدُّنْيَا جِبَلُ الطُّورِ ، وَأَنَا مُوسَى (٨) ، صَعِقُ أَنَا رَاقِصٌ هُوَ
لَكِنَّهَا تَعْلَمُ هِيَ أَنَّهَا تَصِيرُ عَلَيَّ مِيقَاتِي (٩)

عَلَتْ شَمْسُ الرُّوحِ هَاتِفَةً : قُومُوا أَيُّهَا الْأَحْبَةُ
فَلَوْ أَشْرَقَتْ عَلَيَّ جِبَلٌ ، لِتَحْوُلَ مِنِّي إِلَى ذَرَاتٍ

صَه ، فَكَمْ بَكَيْتُ ، حَتَّى أَخَذَ هَذَا الْعَالَمُ ، مِنْذُ مِائَةِ قَرْنٍ
يَتَلَوَّى فِي آهَاتِي ، وَيَتَحَوَّلُ عَلَيَّ هَيْهَاتِي

* * *

(٨) إشارة إلى الآية الكريمة : « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ، قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخرّ موسى صعقاً... » (الأعراف : ٤٣) .

(٩) راجع الحاشية السابقة . ولعله يريد أن نهاية الدنيا بأسرها سوف تكون بنهاية الحياة الإنسانية فيها .

(٨٦) *

أَيْهَا الْقَلْبُ ، اجْلِسْ مَعَ مَنْ عِنْدَهُ عَنِ الْقَلْبِ خَيْرٌ
وَامْشِ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، تُثْمِرُ الْوَرْدَ النَّضِرُ

لَا تَمْشِ فِي سُوقِ الْعِطَارَةِ (١) هَذَا عَيْشًا كَالْمُتَبَطِّلِينَ
اقْعُدْ بِدَكَانٍ مَنْ ، فِي دَكَانِهِ سُكْرٌ

إِنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ مِيزَانٌ وَمِغْيَارٌ ، سَارَعَ كُلُّ لِصٍّ
كَيْ يُزِينَ الزَّائِفَ ، فَتَحَسَبُ أَنْ لَدَيْهِ ذَهَبًا وَدُرًّا

هُوَ يُبْقِيكَ عَلَى الْبَابِ قَاعِدًا ، (قَائِلًا) سَأَتِي لِلسَّرِيقَةِ
لِلبَيْتِ بَابَانِ ، فَلَا تَقْعُدْ بِالْبَابِ تَنْتَظِرُ

لَا تَأْتِ بِقَدْحٍ عِنْدَ كُلِّ قَدْرِ يَغْلِي ، وَلَا تَتَلَبَّثُ
فَبِكُلِّ قَدْرِ يَغْلِي شَيْءٍ آخَرَ

مَا بِكُلِّ قَصْبَةِ سُكْرٍ ، مَا لِكُلِّ تَحْتِ فَوْقُ
مَا لِكُلِّ عَيْنِ نَظَرٍ ، مَا بِكُلِّ بَحْرِ جَوْهَرٍ

(*) مطلعها : دلا نزد کسی بنشین که او از دل خیر دارد

به زیر آن درختی رو که گلهای تر دارد

(١) سوق العطارة : الدنيا المملوءة بالروائح والألوان .

ابك أيها البلبُ الصِّدَّاحُ ، فإن ما للسُّكَّارَى من نواح
يؤثر بقلب الصَّخر والحجر ، نَعَم يُؤثِّرُ

طاطيُّ الرَّأسِ إن لم تستوعبِ ، فالخَيْطُ في سَمِّ الخِيَاطِ (٢)
إن لم يَلِجْ ، فما ذاك إلا لأن رأس الخَيْطِ كَبُرُ

هَذَا القلبُ اليَقْظَانُ قَنَدِيلٌ ، فَتَلْفَحُ بِبُرْدَتِهِ
تَجَنَّبَ العَصْفَ والرَّيْحَ ، ففِي هَوَاهُ فَتْنٌ وَشَرٌّ

إن تَرَكْتَ الرِّيحَ ، أَقَمْتَ بِنْبَعِ
صِرْتَ نَدِيمًا لِرَجْلِ ، مُسْتَعْنٍ عَنِ البَشْرِ

إن كُنْتَ مُسْتَعْنِيًا ، صِرْتَ كَشَجَرٍ أَخْضَرٍ
يُثْمِرُ ثَمْرًا جَدِيدًا ، لَهُ دَوْمًا فِي أَعْمَاقِ القَلْبِ سَفْرٍ

* * *

(٢) سَمُّ الخِيَاطِ : عَيْنُ الإِبْرَةِ .

* (٨٧)

أَقْبَلَ الرَّبِيعُ ، أقبَلَ الرَّبِيعُ ، أقبَلَ الرَّبِيعُ يَفُوحُ بِالمسكِ
أَقْبَلَ الحَبِيبُ ، أقبَلَ الحَبِيبُ ، أقبَلَ الحَبِيبُ المُتَدَرِّعُ بِالصَّبْرِ

أَقْبَلَ الصَّبُوحُ (١) أقبَلَ الصَّبُوحُ ، أقبَلَ صَبُوحُ الرَّاحِ (٢) وَالرُّوحُ
أَقْبَلَ سَاقِي الحُبِّ ، مُتَبَخِّرًا بِإِثَارِ العُقَارِ (٣)

أَقْبَلَ الصَّفَا ، أقبَلَ الصَّفَا ، فَأضَاءَ الحَجْرُ وَالحَصَى
أَقْبَلَ السَّقَا ، أقبَلَ السَّقَا ، أقبَلَ شفاءُ كُلِّ عَليْلِ

أَقْبَلَ الحَبِيبُ ، أقبَلَ الحَبِيبُ رَافِقًا بِالمُشْتاقِينَ
أَقْبَلَ الطَّيِّبُ ، أقبَلَ الطَّيِّبُ ، أقبَلَ الطَّيِّبُ البَارِعُ

أَقْبَلَ السَّمَاعُ ، أقبَلَ السَّمَاعُ ، أقبَلَ السَّمَاعُ بِغَيْرِ صُدَاعِ
أَقْبَلَ الوِصَالُ ، أقبَلَ الوِصَالُ ، أقبَلَ الوِصَالُ الدَّائِمُ

(*) مطلعها : بهار آمد ، بهار آمد ، بهار مشكبار آمد

نگار آمد ، نگار آمد ، نگار بردبار آمد

ولعل الشاعر قد قال هذه القصيدة بعد أن عاد شمس الدين التبريزي من غيبته الأولى

في الشام. (راجع المقدمة) .

(١) الصَّبُوحُ : الخمر تُشْرَبُ في الصبَاحِ

(٢) الرَّاحُ : الخمر .

(٣) العُقَارُ : الخمر .

أَقْبَلَ الرَّبِيعُ ، أَقْبَلَ الرَّبِيعُ ، أَقْبَلَ الرَّبِيعُ الْبَدِيعُ
أَقْبَلْتُ الشَّقَاتِقُ وَالرِّيَّاحِينَ ، وَالرُّوْدُ الْحُمْرُ حَلْوَةُ الْعِذَارُ

أَقْبَلَ مَنْ ، أَقْبَلَ مَنْ ، يَصِيرُ بِهِ الدَّلِيلُ فَرْدًا
أَقْبَلَ قَمْرًا ، أَقْبَلَ قَمْرًا ، لِيَدْفَعَ كُلَّ غُبَارُ

أَقْبَلَ الْقَلْبُ ، أَقْبَلَ الْقَلْبُ الَّذِي تَبَشَّرَ لَهُ الْقُلُوبُ
أَقْبَلَ خَمْرًا ، أَقْبَلَ خَمْرًا ، لِيَدْفَعَ كُلَّ خِمَارُ

أَقْبَلَ كَفًّا ، أَقْبَلَ كَفًّا ، يَجِدُ الْبَحْرُ بِهِ الدَّرْرُ
أَقْبَلَ مَلِكًا ، أَقْبَلَ مَلِكًا ، هُوَ رُوحُ كُلِّ الدِّيَارُ

كَيْفَ أَقْبَلَ ؟ كَيْفَ أَقْبَلَ ؟ وَهُوَ لَمْ يَذْهَبْ مِنْ هُنَا
لَكِنَّ الْعَيْنَ تَارَةً تَعْمَى ، وَتَارَةً تَغْدُو بِغَيْرِ اعْتِبَارُ

أَغْمَضُ عَيْنِي وَأَقُولُ ذَهَبَ ، ثُمَّ أَفْتَحُهَا وَأَقُولُ أَقْبَلَ
هُوَ فِي النَّوْمِ وَالْيَقِظَةِ ، قَرِينٌ وَصَاحِبٌ فِي الْغَارِ (٤)

(٤) الصَّاحِبُ : الصَّدِيقُ ؛ إِشَارَةٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ صَحَبَ الرَّسُولَ ﷺ فِي رَحَلَةِ هِجْرَتِهِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، حَيْثُ لَجَأَ إِلَى الْغَارِ حَتَّى يَخْفَ طَلَبَ كَفَّارِ قَرِيشٍ لِلرَّسُولِ ، وَفِي الْبَيْتِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى « ... إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ... الْآيَةَ » .

الآن يسكُتُ الناطقُ ، الآن ينطقُ الصامتُ
فدعْ عنكَ عدَّ الكلامِ ، فقد أقبلَ الكلامُ بأعدادٍ كَثَارُ

* * *

* (٨٨)

أَقْبَلَ الرَّبِيعُ ، أَقْبَلَ الرَّبِيعُ ، أَقْبَلَ الرَّبِيعُ حُلُوَ الْعِدَارِ
أَقْبَلَ أَوَانُ الشَّقَائِقِ الْحُمْرِ ، طَابَ الْعَالَمُ وَعَمَّ الْأَخْضِرَارُ

اسْتَمَعَ إِلَى السَّوْسَنِ أَيُّهَا الرِّيحَانُ ، فَللسَّوْسَنِ مَائَةٌ لِسَانٌ
انظُرْ وَاذَى الْمَاءِ وَالطَّيْنِ ، كَيْفَ امْتَلَأَ بَوْشَى يُبْهِرُ الْأَبْصَارُ

تَسْأَلُ الْوَرْدَةَ زَهْرَةَ النَّسْرِينَ : " كَيْفَ كُنْتِ فِي هَذِهِ الْغُرْبَةِ ؟"
تَقُولُ : " بِخَيْرٍ ، إِذِ الطَّيِّبَاتُ أَتَتْ مِنْ تِلْكَ الدِّيَارِ "

وَزَهْرَةُ الْيَاسْمِينِ تَهْتَفُ بِشَجْرَةِ السَّرْوِ : " أَوْ تَرْقُصِينَ وَأَنْتِ سَكْرَى ؟"
يُسِرُّ السَّرْوُ بِأَذْنِهَا : " قَدْ أَقْبَلَ الْحَبِيبُ الْبَارُ "

تَقَدَّمَتْ زَهْرَةُ الْبَنْفَسِجِ إِلَى " النَّيْلُوفِرِ " قَائِلَةً " بُوْرِكْتَ وَاللَّهِ "
فَقَدْ أَقْبَلَ الْعُمَرَ الْبَاقِي ، وَوَلَى الْجَفَافُ ، ثُمَّ وَلَى الْأَصْفِرَارُ

وَتِلْكَ النَّرْجِسَةُ رَمَقَتْ الْوَرْدَةَ بِنَظْرَةٍ قَائِلَةً : " أَنْضَحَكِينَ ؟"
فَهْتَفَتْ بِهَا : " مَا أَضْحَكَ إِلَّا ، لِأَنَّ الْحَبِيبَ بِالْجَوَارِ "

(*) مطلعها : بهار آمد ، بهار آمد ، بهار خوش عذار آمد

خوش وسر سبز شد عالم ، اوان لاله زار آمد

وقالت شجرة صنوبر : "تيسر السبيل الوعر بفضل الحق"
فكل ورقة بدت في قطع الطريق كسيف بتار

من تركستان (١) العالم الآخر (منبت الأتراك الملاح)
بأمر المليك ، أقبل إلى بلاد الهند الماء ، ونثرت الأزهار

انظر ذلك اللقلق الصдах ، قد ارتقى منجراً
هاتفاً : "يا رفاق العمل ، الصلا ، حان وقت العمل والإكثار"

* * *

(١) تركستان : عُرفت - لغلبة الخضرة على أاضيها ووفرة مياهها - بأنها جنة الله في الأرض.

إنها عبارات عربية متكسرة مبهمّة ، لأجل العشاق
فلى ملك يقبل كل قول منى

لا أجد نفسى ، فمن أين أجد الكلام ؟
فالشّمع الذى وهب هذا ، هو ما يضىء شمعى

* * *

أَخْرَجَ أَيُّهَا الْحُزْنُ مِنَ الصَّدْرِ ، فَلَطْفُ الْحَبِيبِ يُقْبَلُ
وَأَنْتَ أَيُّهَا الْقَلْبُ تَوَلَّ عَنِّي ، فَهِيَ هُوَ ذَا الْحَبِيبِ يُقْبَلُ

لَا أَقُولُ لِحَبِيبِي : "أَسْعِدُ أَنْتَ ؟" فَقَدْ جَاوَزَ السَّعَادَةَ هُوَ
مِنْ فَرَطِ عِشْقِهِ ، يَنْتَابِنِي مِنَ السَّعَادَةِ عَارٌ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، جَدُّدُوا إِسْلَامَكُمْ
فَالْكَفْرُ - خَجَلًا مِنْ حَبِيبِي - يُقْبَلُ كَمَسْلَمٍ مِنَ الْأَبْرَارِ

امضِ أَيُّهَا الشُّكْرُ ، فَهَذِهِ نِعْمَةٌ خَرَجَتْ عَنْ حَدِّ الشُّكْرِ
لَسْتُ أَبْغِي الصَّبْرَ ، وَإِنْ نَفَعَنِي زَمَنًا الْأَصْطِبَارُ

اغْرُبِي يَا كُلُّ الصُّورِ ، فَقَدْ أَقْبَلْتَ صُورَ جَدِيدَةٍ
تَتَنَكَّسُ أَعْلَامُكُمْ ؛ وَهُوَ مَا يَحْدُثُ مَرَّاتٍ كَثِيرًا

بَابُ هَذَا الصَّدْرِ وَجِدَارُهُ ، يَتَمَزَّقُ مِنَ التَّزَاحُمِ
فَمَا لَا يَسَعُهُ الْبَابُ ، يُقْبَلُ مِنَ الْجِدَارِ

(*) مطلقها : برون شو ای غم از سینه ، که لطف یار می آید

تو هم ای دل ز من گم شو که آن دلدار می آید

* (٩٢)

جمالك اليوم ، يتخذُ شكلاً آخرُ
شفتك العذبة لها اليوم ، ريقٌ حلواً آخرُ

وردتُك اليافوتية اليوم ، قد نبتت من عُصنٍ آخرُ
قدك الشبيه بالسرو ، له اليوم علوٌ آخرُ

قمرُك اليوم ، لاتحتويه السماءُ
والسكةُ (١) الشبيهة بسمائك ، لها وسعٌ آخرُ

لستُ أدري اليوم ، من أي جانب نشأت الفتنةُ
إنما أدري أن العالم - بسببه - شملته فتنٌ ، من نوعٍ آخرُ

ذاك الغزالُ صارعُ اللئيث ، ترى بعينه
أن وراء العالمين ، صحراءٌ في شكلٍ آخرُ

(*) مطلعها : امروز جمال تو سیمای دگر دارد

امروز لب نوشت حلوائی دگر دارد

(١) السكة : العملة النقدية ، ولعله يعنى بها الشمس .

هَذَا الْقَلْبُ الْحَبُّ قَدْ تَوَلَّى ، ضَاعَ الْقَلْبُ وَالْحَبُّ وَكَلَى
لَأَنَّ لَهُ أَسْمَى مِنْ هَذَا الْحَبِّ ، حَبًّا آخَرَ

إِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ قَدَمٌ ، فَالْعَاشِقُ يَطِيرُ بِجَنَاحِ الْأَزَلِ
وَإِنْ لَمْ تَكُنْ رَأْسٌ ، فَلَهُ مِنَ الرُّؤُوسِ عَدَدٌ آخَرَ

بَحْرُ الْعَيْنَيْنِ كَانَ يَبْحَثُ عَنْهُ ، ثُمَّ يَفْرَغُ
وَمَا دَرَى أَنَّ لِدَاكِ الدَّرَّ ، بَحْرًا آخَرَ

فِي الْعِشْقِ ، قَلْبَتُ الْعَالَمِينَ رَأْسًا عَلَى عَقْبِ
فَكَيْفَ تَنْشُدُهُ ، هُنَا ؟ ! إِنَّ لَهُ مَكَانًا آخَرَ

* * *

* (۹۳)

كَيْفَ بَمَنْ فِي أَعْمَاقِ قَلْبِهِ عِشْقٌ وَطَلَبٌ
لَا يَفْتَحُ بَابَ الْقَلْبِ ؟ فَلِذَلِكَ سَبَبٌ

امض واقعد على باب قلب
يلجهُ الحبيب - خفية - إذا النجم غرب

الروح التي تنفصل (١) ، باحثة عن الله
هي نادرة ، وأمرها عجب

تلك العين من هذا الإيوان ، ترى إيواناً آخر
صاحبة نظري هي ، و«شيرين» (٢) لها لقب

إن من هو هكذا ، وللروح قرين
ساعة يسلم الروح ، ترى له طرب (٣)

(*) مطلعها : آن را که درون دل عشق و طلبی باشد

چون دل نگشاید در ، آن را سببی باشد

(١) أى تنفصل عن علائق المادة والجسد .

(٢) شيرين بالفارسية معناه : الجميل ، العذب .

(٣) يسعد حين تفيض روحه ويلقى الله تعالى .

إِنْ أَتَى قَدَمَهُ عَلَى الْحَجَرِ ، انْهَالَتْ عَلَى كَفِّهِ الدَّرَرُ
وَحِينَ تَبْلُغُ رُوحَهُ الشَّفَقَةَ ، رَأَيْتَ بِالشَّفَقَةِ سُكْرًا مُعْجَبٌ

إِنْ لَمْ يَبْدُ فِي الْعَيْنِ ، تَاجُ الْمُلُوكِ عَلَيْهِ
تَرَاهُ - بَغِيرِ أَبِ وَأُمِّ - عَالِي النِّسَبِ

صَهٍ ، وَلَا تُفْشِ الْأَسْرَارَ هُنَا وَهُنَاكَ
فَفِي جَمْعِ خِفَافِ الرُّوحِ ، قَدْ تَرَى أَبَا لَهَبٍ (٤)

* * *

(٤) يرمز الشاعر بأبي لهب إلى أعداء الله وأعداء الرسول وأتباعه .

(٩٤) *

رفاق قيام السحر ، من ذا يدرك منهم الصبح ؟
ليدرك ذرة من صفتنا ، وهي متقلبة لا تستقر (١)

من صاحب السعد الذي ، يأتي إلى شط غدير ؟
كى يشرب ويرتوي ، فيلقى صورة القمر (٢)

من ذا مثله مثل يعقوب ؛ بقميص يوسف
يتشمم رائحة ولده ، فيجد نور البصر

أو كأعرابي ظمان ، يلقي بئر دلواً
فيجد بالدلو حسناء ، كقدح من السكر

أو كموسى الباحث عن نار ، يتجه نحو شجرة
يأتى كى يقتبس النار ، فيجد مائة صبح وسحر

(*) مطلعها : ياران سحر خيزان تا صبح كه در يابد ؟

تا ذره٤ صفت ما را كه زير وزير يابد ؟

(١) من أحوال العاشق اضطراب الظاهر وصفاء الباطن .

(٢) يلقي صورة القمر على صفحة ماء الغدير .

يُثْبِ عَيْسَى بَيْتِ ، كَى يَنْجُو مِنَ الْعِدَا
فَيَلْقَى - بَغْتَةً - مِنَ الْبَيْتِ نَحْوَ السَّمَاءِ مَعْبَرٌ (٣)

أَوْ كَسُلَيْمَانَ يَفْتَحُ بَطْنَ سَمَكَةٍ
فَيَلْقَى بِهِ خَاتِمًا ، مِنْ ذَهَبٍ وَجَوْهَرٍ (٤)

السَّيْفُ بِيَدِ عُمَرَ ، يُزْمَعُ قَتْلَ رَسُولِ الْبَشَرِ
يَقَعُ فِي شِبَاكِ اللَّهِ ، وَلِسَعْدِهِ يُؤْتَى النَّظْرُ (٥)

أَوْ ابْنُ أَدْهَمَ ، انْطَلَقَ صَوْبَ ظَبْيٍ
يَرُومُ صَيْدَ الظَّبْيِ ، فَيَجِدُ صَيْدًا آخَرَ (٦)

(٣) إشارة إلى قصة عيسى - عليه السلام - حين ثار عليه اليهود ليقتلوه ، فيدخل بيتاً فيه

كوة في سقفه ، فرفعه الله تعالى إلى السماء من تلك الكوة ، انظر : ابن الأثير ،

الكامل في التاريخ ، طبع بيروت ١٩٦٥م ، ص ٣١٨ .

(٤) وهو الخاتم الذى كان فيه ملك سليمان - عليه السلام - بعد أن اختطفه الجنى وتشبه

بسليمان وجلس على عرشه ، وهام سليمان على وجهه حتى تصدق عليه أحد

الصيادين بسمكة وجد خاتمه فى بطنها حين فتحها . وكان الجنى قد ألقى الخاتم فى البحر

فابتلعه تلك السمكة .

(٥) إشارة إلى حديث إسلام عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حين خرج ومعه سيفه يريد

النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما لقيه أسلم .

(٦) إشارة إلى قصة إبراهيم بن أدهم حين كان أميراً فخرج بجيشه للصيد ، فلما انفصل

وحده عن الجيش سمع من يقول له « انتبه » فلم يلتفت ووجد ظبياً فطارده ، فسمع

الظبى يقول أمرتُ باصطيادك ، ولن يسعك صيدى ، وكان هذا سبباً فى زهده .

أَوْ كَصَدْفَةِ عَطْشِي ، تَفْغَرُ الْفَمُ
كَيْ تَقْتَنِصَ قَطْرَةً ، فَتَلْقَى بِجَوْفِهَا جَوْهَرَ (٧)

أَوْ رَجُلٍ يَقْصِدُ الْخَرَائِبَ ، يَجْمَعُ الْحَطَبُ
بَغْتَةً يَجِدُ فِي خَرَابَةٍ ، عَنْ كَنْزِ خَيْرٍ

دَعُ الْأَحَادِيثَ وَأَمْضِ ، كَيْ يُدْرِكَ الْقَرِيبُ وَالْغَرِيبُ
بِنُورِ «أَلَمْ نَشْرَحْ» ، أَمْتِنَاعَكَ ، عَنْ أَنْ تُشْرِحَ وَتُفَسَّرَ (٨)

كُلُّ مَنْ خَطَأَ - صَادِقًا - خُطْوَةً ، صَوَّبَ شَمْسَ الدِّينِ
إِنْ كَلَّ قَدَمَهُ ، وَجَدَّ - بِالْعَشْقِ - جَنَاحَيْنِ وَأَكْثَرَ

* * *

(٧) إشارة إلى ما هو مشتهر بين الناس بأن قطرة من ماء المطر إذا دخلت بجوف صدفة ، انطبقت الصدفة عليها وظلت بها حتى تحولت إلى لؤلؤة نفيسة .

(٨) إشارة إلى قول الله تعالى للرسول - ﷺ - « أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ » (الشرح : ١) ، والمعنى أن الإنسان كائن يصعب تفسيره ، وأن خالقه وحده هو القادر على فك طلاسمه .

* (۹۵)

مَنْ كُنْتَ لَهُ ، أَيْعْتَرِيهِ مِنَ السَّعَادَةِ نَقْصُ ؟
وَمَنْ يِرَاكَ أَيُّهَا الْقَمَرُ ، أَيْنْتَابُهُ كَمَدٌ وَغَمٌ ؟

مِنْ لَوْنِ بَلُورِكَ صَارَ جَوْرُكَ عَذْبًا
وَكَمْ لِحْجُورِكَ مِنْ ، خَطْوِ سَرِيعِ مُبْرَمٍ (۱)

يَا مَنْ مِنْكَ دَلَالُ الْخُورِ ، يَا مَنْ مِنْكَ تَأَلَّقُ النُّورُ
يَا مَنْ مَائَتَانِ كَالْقَمَرِ ، غِلْمَانٌ لَهُ وَحَشْمٌ

إِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ حَشْمُهُ ، لَكَانَتِ الشَّمْسُ وَحْدَهَا (۲)
وَلِحَشْمِ حُسْنِهِ ، مَائَةٌ طَبْلٍ وَعَلَمٌ

العاشقُ جَدُّ وَلِهَانَ ، هَانِيٌّ فَرِحَانَ
فِي ظِلِّ طُرَّةٍ ، ذَاتِ ثَنِيَّاتٍ لِاتْتَنَطِمُ

(* مطلعها : آن کسی که ترا دارد ، اندر عیش چه کم دارد ؟

وان کسی که ترا ببیند ، ای ماه چه غم دارد ؟

(۱) المبرم : المُحَكَّمُ

(۲) یعنی : لو لم يكن القمر له حشماً ، لأصبحت الشمس وحدها هي الحشم .

قُلْتُ لِحَبِيبِي : " لَا تَبْغُ بِالْجُورِ كَسْرِي "
قَالَ : " أَبْقَ بِصَدْفَةِ بَجُوفِهَا الدُّرُّ الْيَتِيمُ " (٣)

مَا لَمْ تَنْكَسِرْ أَيُّهَا الْوَلَهَانُ ، لَنْ تَظْهَرَ الدَّرَّةُ
فَتَلِكَ الدَّرَّةُ صَنَمِي ، أَوْ لَهَا شَكْلُ الصَّنَمِ

حِينَ تَجَلَّى شَمْسُ الْحَقِّ التَّبْرِيزِيَّ عَلَى اللُّوحِ
فَوَاللَّهِ ، إِنَّ لَهُ مَنَّةً ، عَلَى اللُّوحِ وَالْقَلَمِ (٤)

* * *

(٣) الْيَتِيمُ : الْفَرَائِدُ .

(٤) اللُّوحُ وَالْقَلَمُ : اللُّوحُ الَّذِي خَطَّ عَلَيْهِ الْقَلَمُ كُلُّ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ وَمَا سَيَكُونُ إِلَى
يَوْمِ الدِّينِ ، وَالْمَعَارِفُ وَالْمَدْرَكَاتُ كُلُّهَا مَحْفُوظَةٌ فِيهِ .

* (٩٦)

مِنَ السَّرْوِ يُقْبَلُ عَلَيَّ ، عِطْرُ عَلَاكَ
مِنَ الْقَمَرِ يَأْتِي إِلَيَّ ، لَوْنُكَ وَمُحْيَاكَ

كُلُّ قِصْبَةٍ تَعْقِدُ حِزَامَ الخِدْمَةِ أَمَامَكَ
يَجْتَاحُهَا السُّكْرُ ، بِبَرَكَاتِ التَّعَبْدِ لِحُلُوكِ

كُلَّمَا هَرَبْتُ مِنْكَ ، وَعَانَدْتُ عَشَقَكَ
تَمَلَّكَ رَأْسِي - مِنَ الْجِهَاتِ السَّتِّ - غَرَامِكَ وَوَلَاكَ

وَإِنْ عَلَوْتُ مِنَ الدُّونِ ، وَخَرَجْتُ مِنَ الكَوْنِ
تَرَدَّدْتُ فِي أُذُنِي هُنَاكَ أَيْضًا هَيْهَاكَ (١)

فِي القَلْبِ صِيَاحٌ ، مُتَرَعٌّ بِالْفِتْنَةِ وَالْعَدْلِ (٢)
أَعْلَمُ أَنَّ ذَاكَ النُّوَاحَ ، إِنَّمَا يَصْدُرُ عَنِ نَائِكَ ذَاكَ

(*) مطلعها : از سر و مرا بوی بالای تو می آید

وز ماه مرا رنگ و سیمای تو می آید
(١) هَيْهَاكَ : هِيْ ، فَعْلٌ أَمْرٌ بِمَعْنَى أَسْرَعُ ، وَالْهَاءُ أَدَاةُ الْجَمْعِ الْفَارْسِيَّةُ ، هَيْهَاكَ : قَوْلُكَ لِي :
أَسْرَعُ أَسْرَعُ .

(٢) الْعَدْلُ : اللُّوْمُ ، وَفِي الْأَصْلِ : غِمَازِي : الْغَمَزُ ، وَلَعَلَّ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ هُوَ الْأَقْرَبُ .

لَيْلِي نَهَارٌ بِكَ ، شَفْتِي جَافَةٌ بِكَ
وَمَا ضَرُّهَا إِنْ جَفَّتْ ، فَمَاؤُكَ آتٍ وَمَرَعَاكَ

لَا فَوْاقَ لِأَحَدٍ تَحْتَ الْفَلَكِ الْأَعْظَمِ (٣)
فَمِنْ وَرَاءِ وَقُدَّامَ ، يَأْتِي خَمْرُكَ وَسُقْيَاكَ

* * *

(٣) فى الأصل : الفلك الأطلس ، وهو الفلك التاسع المحيط بالأفلاك كلها .

* (٩٧)

قَدْ أَصْبَحْتَ عَاشِقًا ، أَيُّهَا الْقَلْبُ ، بُورِكَ الْحُبُّ لَكَ
خَلَصْتَ مِنَ الْحَيِّزِ وَالْمَكَانِ ؛ بُورِكَ هُنَاكَ لَكَ

اعْبُرْ كِلَا الْعَالَمَيْنِ ، اضْرِبْ وَحَدِّكَ وَاشْرَبْ وَحَدِّكَ
حَتَّى يَهْتَفَ الْمَلِكُ وَالْمَلِكُ : بُورِكَتْ الْوَحْدَةُ لَكَ

يَا مَنْ أَنْتَ رَجُلٌ تَمْضِي قُدَمَا ، تَبْدُو الْيَوْمَ مُصْطَدِمًا
يَا مَنْ أَنْتَ تَزْهَدُ الْغَدَ (١) ، بُورِكَ الْغَدُ لَكَ

كُفْرُكَ صَارَ دِينًا كُلَّهُ ، مُرُّكَ صَارَ حُلْوًا كُلَّهُ
صِرْتَ بِأَجْمَعِكَ حَلْوَى ، بُورِكَتْ الْحَلْوَى لَكَ

لِلْفُقَرَاءِ فِي ضَيْقِ الصَّدْرِ ، ضَجَّةٌ وَصَخَبٌ
يَا صَدْرًا بِغَيْرِ غَلٍ ، بُورِكَتْ الضَّجَّةُ لَكَ

عَيْنُ الْقَلْبِ هَذِهِ ، كَانَتْ دَامِعَةً ثُمَّ غَدَتْ بَحْرًا
بَحْرُهَا يَهْتَفُ قَائِلًا : بُورِكَ الْبَحْرُ لَكَ

(*) مطلعها : عاشق شده ای ، ای دل ، سودات مبارک باد

از جا و مکان رستی ، آنجاست مبارک باد

(١) أى تخشى الموت و منازل الآخرة .

يَا عَاشِقًا قَدْ خَفَا ، جُعِلَ لَكَ الْحَبِيبُ قَرِينَا
وَيَا طَالِبَ الْعُلَا ، بُورِكَ الْعُلَا لَكَ

أَيْتُهَا الرُّوحُ الرُّضِيَّةُ ، الطَّالِبَةُ ، الَّتِي تَسْعَى
قَدْ أَخَذَتْ صُفُوفَكَ أَهْبَتَهَا ، بُورِكَ الصَّفِّ لَكَ

صَهٍ ، وَتَخَفَّ ، يَا حُسْنَ مَا اتَّجَرَتْ
لَقَدْ حَمَلَتْ مَتَاعًا عَجَبًا ، فَبُورِكَ الْمَتَاعُ لَكَ

* * *

* (۹۸)

أَيُّهَا الْحَبِيبُ ، السُّكَّرُ أَفْضَلُ أَمْ مَنْ يَصْنَعُ السُّكَّرَ
أَحْسَنُ الْقَمَرِ أَفْضَلُ ، أَمْ مَنْ يَجْعَلُ الْقَمَرَ ؟

أَيُّهَا الرَّوْضُ ، أَنْتَ أَفْضَلُ ، أَمْ مَا فِيكَ مِنْ وَرْدٍ وَزَهْرٍ ؟
أَمْ مَنْ يُخْرِجُ الْوَرْدَ ، وَيُبْدِعُ مِثَاتِ النَّرْجِسِ النَّضْرَ ؟

أَيُّهَا الْعَقْلُ ، أَنْتَ أَفْضَلُ فِي الْعِلْمِ وَالْبَصِيرَةِ
أَمْ مَنْ يُبْدِعُ كُلَّ لِحْظَةٍ ، مِائَةَ عَقْلِ وَنَظَرٍ

أَيُّهَا الْعِشْقُ ، مَعَ أَنَّكَ مَثِيرٌ كَثِيرُ التَّعَقُّدِ
فَهَنَّاكَ شَيْءٌ يَلْفُ الْعِشْقَ ، بِحِزَامٍ مِنْ نَارٍ تَسْتَعْرِ

قَدْ صرْتُ بِهِ ذَاهِلاً ، دَائِرَ الرَّأْسِ حَيْرَانَ
تَارَةً يَحْرَقُ جَنَاحِي ، وَتَارَةً يَجْعَلُ رَأْسًا وَجَنَاحًا يُنْشِرُ

(*) مطلعها : ای دوست ، شکر بهتر ، یا آنکه شکر سازد ؟

خوبی قمر بهتر ، یا آنکه قمر سازد ؟

بَحْرُ الْقَلْبِ بِلُطْفِهِ مَمْلُوءٌ بِخُسْرٍ ، مَمْلُوءٌ بِشِيرِينَ (١)
وَمِنْ قَطْرَةِ الْفِكْرِ يُبْدَعُ ، مَائَةٌ صِنْفٍ مِنَ الْجَوْهَرِ

يَسْحَقُ تِلْكَ الْجَوَاهِرَ كُلَّهَا فِي الْعِشْقِ
ثُمَّ يَجْعَلُ مِنَ الْعِشْقِ الْمُعْجِبِ شَيْئًا آخَرَ (٢)

شَمْسُ الْحَقِّ التَّبْرِيزِي ، كَالشَّمْسِ يَجْعَلُ قَلْبَنَا
فِي الْفِعْلِ سَيْفًا ، وَفِي الذَّاتِ كَالدَّرْعِ أَوْ كَالْمِغْفَرِ

* * *

(١) إشارة إلى قصة الحب التي جمعت بين الملك الساساني خسرو پرويز وفتاة أرمنية تسمى شيرين . راجع ماسبق ، القصيدة رقم ٢٨ ، هامش ٣ ، ص ١١٢ .
(٢) يعنى لا يبدل للفكر من الذكر ، وللعقل من القلب ، وللعلم من الحب .

* (٩٩)

لَا تَقْنَطُ أَيُّهَا الْحَبِيبُ ، فَقَدْ بَدَأَ الْأَمْلُ
أَمْلُ كُلِّ الْأَحْبَةِ ، وَصَلَ مِنَ الْغَيْبِ وَأَقْبَلَ

لَا تَقْنَطُ ، فَمَرِّمْ إِنْ مَضَتْ وَتَرَكَتْكَ
فَالنُّورُ الَّذِي رَفَعَ عَيْسَى عَلَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَا ، أَقْبَلَ

لَا تَقْنَطُ ، أَيُّهَا الْحَبِيبُ ، فِي ظُلْمَةِ هَذَا السَّجْنِ
فَالْمَلِكُ الَّذِي اشْتَرَى يُوسُفَ مِنَ الْحَبْسِ ، أَقْبَلَ

خَرَجَ يَعْقُوبُ مِنْ قَمِيصِ السِّتْرِ (١)
وَيُوسُفُ الَّذِي حَمَلَ زُلَيْخَا عَلَى قَدِّ الْقَمِيصِ ، أَقْبَلَ

يَا مَنْ دَفَعْتَ اللَّيْلَ حَتَّى بَلَغَ السَّحَرُ ، بِدَعَاءِ "يَارَبُّ وَيَارَبُّ"
فَإِذَا بِالرَّحْمَةِ حِينَ سَمِعْتَ "يَارَبُّ وَيَارَبُّ" تُقْبَلُ

(* مطلعها : نوميد مشو جانا كاوميد پديد آمد

اوميد همه جانها از غيب رسيد ، آمد

(١) إشارة إلى قول يوسف لإخوته - كما ورد في القرآن الكريم، «اذهبوا بقميصي هذا

فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا...» (يوسف : ٩٣) .

أَيُّهَا الْأَلَمُ الَّذِي طَالَ بِهِ الْعَهْدُ ، بَخِ بَخِ (٢) ، جَاءَ الشُّفَا
أَيُّهَا الْقِفْلُ مُحْكَمُ الْغَلْقِ ، انْفَتِحْ فَالْمِفْتَاحُ أَقْبَلُ

يَا مَنْ تَصَوْمُ بِرِفْدِ مَائِدَةِ السَّمَا
أَفْطِرْ رُوَيْدًا رُوَيْدًا ، فَغُرَّةَ الْعِيدِ تُقْبَلُ

صَه ، ثُمَّ صَه ، بِأَمْرِ " كُنْ " (٣)
فَالصَّمْتُ الْمَشُوبُ بِالْخَيْرَةِ ، قَدْ تَعَدَّى الْقَوْلَ وَأَقْبَلُ

* * *

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، كَلِمَةٌ عَرَبِيَّةٌ : "تَقَالُ عِنْدَ الرِّضَا وَالْإِعْجَابِ بِالشَّيْءِ" (المعجم الوسيط) .

(٣) إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» . (يس : ٨٢) .

(١٠٠) *

جَاءَ شَمْسِي وَقَمْرِي ، جَاءَ سَمْعِي وَبَصْرِي
جَاءَ بَدَنِي الْفِضِّي ، جَاءَ مَنَجْمُ ذَهَبِي

جَاءَ سُكْرُ رَأْسِي ، جَاءَ نُورُ نَظْرِي
إِنْ أَرَدْتَ شَيْئاً آخَرَ ، فَشَيْءٌ آخَرُ حَلَّ بِي

جَاءَ قَاطِعُ طَرِيقِي ، جَاءَ نَاقِضُ تَوْبَتِي
جَاءَ يُونُسُفُ يَبْرِقُ وَيَلْمَعُ ، جَاءَ بَغْتَةٌ إِلَى صَدْرِي

الْيَوْمَ يَزْهُو عَلَى الْأَمْسِ ، يَا مُؤَنَسِي الْقَدِيمِ
كُنْتُ بِالْأَمْسِ بِهِ ثَمَلًا ، فَعَنَّهُ خَيْرٌ جَاءَنِي

مَنْ ظَلَلْتُ أُبْحِثُ عَنْهُ ، بِالْأَمْسِ بِنُورِ قِنْدِيلِهِ
الْيَوْمَ ، كِبَاقَةُ زَهْرٍ ، جَاءَ عَلَى مَعْبَرِي

لَفَّ خَصْرَهُ بِبَيْدِيهِ ، إِلَى صَدْرِهِ ضَمْنِي
مَنْ تَاجِ الْمَلَاكِ الْغَيْدِ ، لَفَّ حِزَامًا نَادِرًا بِخَصْرِي

(*) مطلعها : شمس وقمرم آمد ، سمع وبصرم آمد
وان سيميرم آمد ، وان كان ذرم آمد

انظر رَوْضَهُ وَرَبِيعَهُ ، انظر خَمْرَهُ وَخَمَارَهُ
انظر الهَضْمَ وَالصِّحَّةَ ، فقد جاء سُكْرَى الْوَرْدَى (١)

فَمَا خَوْفِي مِنَ الْمَوْتِ ، وَقَدْ جَاءَ مَاءُ الْحَيَاةِ
وَمَا خَوْفِي مِنَ الطَّعْنِ ، وَقَدْ جَاءَ هُوَ : دِرْعِي

أنا اليومَ سُلَيْمَانَ ، إِذْ وَهَبْتَنِي خَاتَمًا
وَحَطَّ تاجُ الْمُلُوكِ ، فَوْقَ مِفْرَقِ رَأْسِي

إِنْ زَادَ أَلْمَى عَنِ الْحَدِّ ، فَفِي سَفَرِ الْعِشْقِ بَلَغْتَ الْحَدَّ
فِيهَا لَهَا - يَارَبُّ - مِنْ سَعَادَةٍ ، نِلْتَهَا أَنَا مِنْ ذَاكَ السَّفَرِ

حَانَ الْآنَ أَنْ أَشْرَبَ الْخَمْرَ ، حَتَّى يُبْرِقَ وَعْيِي
حَانَ الْآنَ أَنْ أُحَلِّقَ عَالِيًا ، فَالرِّيشُ وَالْجَنَاحُ أَتَانِي

حَانَ الْآنَ أَنْ أَشْعَ بِالنُّورِ ، كَالصُّبْحِ فِي هَذَا الْعَالَمِ
حَانَ الْآنَ أَنْ يَعْلُو زَيْرِي ، فَمَلِكُ الْغَابِ جَاءَنِي

(١) في الأصل : گلشکر : ومُعْرَبُهُ "خلنجين" سكر جيل بأوراق شجرة الورد، وهو مفيد في عملية الهضم، يقوى القلب، (انظر، لغت نامه دهخدا).

بیتان بقیا ، لكنهم أخذوني - يا حبيبي -
مكاناً ، الدنيا فيه جدٌ قليلةٌ ، كما بدت لي

* * *

(١٠١) *

الْمَنَّةُ لِلَّهِ (١) ، قَدْ خَلَصْنَا مِنَ الْمَعْرَكَةِ وَالنِّزَالِ
خَلَصْنَا مِنْ هَذَا الْوَادِي الْوَعْرِ ، الْمَلْيءُ بِالشُّوكِ وَالْإِعْسَارِ

مِنَ الرُّوحِ الْمَلِيئَةِ بِالْوَهْمِ ، ذِي الْفِكْرِ الْمُعْوجِّ عَبَّرْنَا
خَلَصْنَا مِنْ هَذَا الْفَلَكِ ، آكِلِ الْكِبَادِ ، الْمَكَارِ

ثُمَّ إِنَّا فِي ظِلِّ رَوْضَةِ الْإِقْبَالِ غَفَوْنَا
فَقَدْ نَجَوْنَا مِنْ دَوَامَةِ ذَلِكَ الْمُحِيطِ الرَّخَّارِ

نَحْنُ فُرْسَانٌ مَعَاوِيرٌ ، بِلَا خِيُولٍ رَكِبْنَاهَا
نَحْنُ سُكَارَى ، بِلَا خَمَرٍ شَرَبْنَاهَا
قَدْ فَرَعْنَا مِنَ الْكَأْسِ ، وَمِنْ مَنَّةِ الْخَمَارِ

حِينَ شَهِدْنَا قَمَرَ التَّوْبَةِ (٢) ، تَخَلَّصْنَا دَفْعَةً
نَقَضْنَا التَّوْبَةَ ، وَعَقَدْنَاهَا مَرَّاتٍ كَثَارًا (٣)

(*) مطلعها : المنة لله كه ز بيكار رهيديم

زين وادي خم در خم رهيديم

(١) المنة : الإحسان والإنعام ، (القصيدة رقم ٢٣٢ في مجموعة كدكني) .

(٢) قمر التوبة : شهر رمضان .

(٣) إشارة إلى فرح الحق - تعالى - بتوبة عبده وتجديد توبته ، كما قال النبي - ﷺ - «...» .

فما هو بأشدَّ بها فرحاً من الله بتوبة عبده» (ابن حنبل : المسند ، ٤ : ٢٧٣) .

أَيْتُهَا السَّنَةُ ، يَالِكَ مِنْ سَنَةٍ ، فَبَطَّالِعِكَ الْحَسَنَ
نَجُونَا مِنْ مَخْرَفَةِ عَامٍ ، وَأَعْوَامٍ مَضَّتْ وَأَعْصَارُ

بِالْعَشْقِ تَعْدِينَا أَيَّامَ الثَّلَاثَةِ (٤) ، وَتَرَكَنَا الْأَرْبَعِينَ (٥)
فَحِينَ جَاءَنَا الْمَذْكُورَ ، خَلَصْنَا مِنَ الْأَذْكَارِ

صَهٍ ، فَبِهَذَا الْعَشْقِ ، وَبِعَلْمِهِ اللَّدْنِيِّ (٦)
كُنَّا فِي غِنَى عَنِ الْمَدْرَسَةِ وَالْأُورَاقِ ، وَالتُّكْرَارِ

صَهٍ ، فَبِهَذَا الْمَنْجَمِ ، وَهَذَا الْكَنْزِ الْإِلَهِيِّ
ضَرَبْنَا صَفْحًا عَنِ الْكَسْبِ ، وَالذَّرْهَمِ وَالذُّيْنَارِ

أَجَلٌ ، لَقَدْ أَنْتَهَى بِنَا الْأَمْرُ ، إِلَى أَنْ الشَّمْسُ حِينَ أَشْرَقَتْ
خَلَصْنَا مِنَ الرَّقِيبِ ، وَاللَّصِّ ، وَاللَّيْلِ الْبَهِيمِ وَالْأَخْطَارِ

* * *

(٤) الأيام الثلاثة : يعنى بها صوم الأيام الثلاثة فى منتصف كل شهر قمرى ، وهى ١٣ و ١٤
و ١٥ من الشهر .

(٥) الأربعين : التعبد مدة أربعين يوماً متواصلة فى مكان منقطع عن الناس ، وهو من أسس
التربية الصوفية .

(٦) اللدنى : الربانى ، وهو العلم الذى يصل إلى صاحبه عن طريق الإلهام .

الفهارس

أولاً : فهرس الأعلام

ثانياً: فهرس الأماكن والبلدان

ثالثاً: المحتويات

فهرس الأعلام

١٠	أبو بكر سلّة باف (السلّال)		آ
٢٢٨	أبو بكر الصديق	١٩١، ١٥٤، ٣٩	آدم
١٣٤	بنو إسرائيل	٧٤	آل عمران
٢٠، ١٢، ٨ - ٦	بهاء الدين ولد	١٣	آل محمد ﷺ
	بوزيد، انظر: أبو يزيد البسطامي		أ
	ت	٧٤، ٦٥، ٥٠	إبراهيم (عليه السلام)
٨٠	الترمذى	١٣	إبراهيم (الشيخ)
١٤	توفيق سبحانى	٢٤١، ٢٠٩، ٣٩	إبراهيم بن أدهم
	ث	٩	إبراهيم أمين الشواربى
٣٨	ثادانى Thadani	٣١، ٥	إبراهيم شتا
٩٢	الثنوية	٢٣١	الأتراك
	ج	٢٤١	ابن الأثير، عز الدين
١٥١	جالينوس		أحمد خوشنويس، انظر عماد
١١٠، ٩٨	جبريل (عليه السلام)	١٣	إخوان الصفا
٤٣-٥،	جلال الدين الرومى، مولانا، مولوى	٦٥	إسحاق (عليه السلام)
٤٧، ٤٨، ٧٦، ٩٥، ٩٦، ١٣٣،			أسد الله، انظر على بن أبى طالب
١٨٥ - ١٨٩		٦٥	إسماعيل (عليه السلام)
٢٢،	جلال الدين همائى، جلال همائى	١٧، ١٠، ٩	الأفلاكى، شمس الدين
٩٥، ٣٤			٢٦ - ٢٣
	ح	١٢٥	إمراة العزيز
٧	چنگيزخان	١١	أوحد الدين الكرمانى
	ح		ب
١٠٧، ٣٤	حافظ الشيرازى	٢١٣، ٢٠٣	البخارى
١٧١، ٣٦	أبو حامد الغزالى	٤٣، ٣٩، ٣٢، ٨	بديع الزمان فروزانفر
٢٩	حسام الدين چلبى		براون، انظر ادوارد جـرانتفيل
	الحسين بن منصور، انظر الحلاج	٨	برهان الدين الترمذى (السيد)
١٢٠، ١٠٥	الحلاج، الحسين، منصور	١٣	بقراط

شعيب (عليه السلام) ٥٦
شمس تبريز، انظر شمس الدين التبريزي
شمس الحق، انظر شمس الدين التبريزي
شمس الدين التبريزي، شمس تبريز، شمس
الحق، شمس الطيار، صلاح الدين، محمد بن
على بن ملك داد ٥، ٩ - ٤٣، ٤٥ - ٤٧،
٥٩، ٦٩، ٨٤، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤،
١٠٨، ١٠٩، ١١٩، ١٢١، ١٢٧، ١٣١،
١٤١، ١٥٨، ١٧٤، ١٩٥، ٢٤٢، ٢٤٤
شمس الطيار، انظر شمس الدين التبريزي
شيرين ١١٢، ٢٣٨، ٢٥٠

ص

صلاح الدين، انظر شمس الدين التبريزي
صلاح الدين زركوب ٢٩
صدر الدين القنوي، محمد بن إسحاق ١١

ط

أبو الطيب، انظر المتنبي

ع

عباس محمود ٣٨
عبد الباقي گولپينارلى ١٤، ٢٦، ٢٨
عبد التميم محمد حسين ١٩٧
ابن عربي، محيي الدين ١١، ١٢
علاء الدين كيقباد ٧
على بن أبى طالب، أسد الله ١٨٢
عماد (أحمد خوشنوس) ١٠، ١١
عمر (بن الخطاب) ٢٤١
عمر الخيام ١٣
عيسى بن مريم، المسيح (عليه السلام)
١٤١، ٢٠٩، ٢٤١، ٢٥١

ابن حنبل ١٠٩

خ

خسرو (پرويز) ١١٢، ٢٥٠
الخضر (عليه السلام) ٥٣، ٩٣
الخيام، انظر عمر الخيام

د

داود (عليه السلام) ٧٧، ٩٠
الدولة الخوارزمية ٧

ر

رستم ١٠٦، ١٨٢
الرسول، انظر محمد ﷺ
الروم ٦٥

الرومي، انظر جلال الدين
رينولد آين نيكلسون، انظر نيكلسون

ز

زليخا ٢٥١

س

سبا ٩٠
سقراط ١٣
السلاجقة ٧
سلطان ولد ٢١، ٢٣ - ٢٥، ٣٠
سليمان (عليه السلام) ١٠٧، ١٦٣،
٢٤١، ٢٥٤

سنائي الغزنوي ٢٠، ١٠٩
ابن سينا ١٣٣

ش

شداد ٧٨
شعراء الفرس ٢٠، ٣٤، ١٠٩

محمد بن إسحاق، انظر صدر الدين اللؤلؤي

محمد إقبال ٤٣، ٣٨

محمد خوارزمشاه ٧، ٦

محمد رضا شفيعی كدكنی ٤٣ - ٤٠

٢٥٦ ، ٢١٠ ، ٢٠٢

محمد السعيد جمال الدين ٧

محمد عبد السلام كفاي ٣١

محمد بن علي بن ملك داد، انظر شمس

الدين التبريزي

محيى الدين عبد القادر ١٧

محيى الدين بن عربي، انظر ابن عربي

مسلم ٢١٣، ٢٠٣، ٤٧

المسيح، انظر عيسى بن مريم عليه السلام

المصطفى، انظر محمد ﷺ

معين الدين پراونه ٧

المغول ٧

منصور، انظر الخلاج

موسى بن عمران، الكلیم (عليه السلام)

١٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ٨٣ ، ١٠٨ ، ١٣٤ ،

١٤٢ ، ١٧٠ ، ١٨٢ ، ٢٠٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ،

٢٤٠

مولانا، انظر جلال الدين الرومی

مولوى، انظر جلال الدين الرومی

المولوية ٢٦

ن

ناصر خسرو ١٠٩

نظامی (الگنجوی) ١٩٧

نيكلسون، رينولد آين ١٠ ، ٩

هـ

فخر الدين الرازی، الفخر الرازی ١٤ ، ٦

٢٣٣ الفراعنة

الفرس ١٨٢ ، ١٧٠ ، ١٤٦ ، ١١٢

فرعون ١٨٢ ، ١٤٢ ، ١٠٨ ، ٧٨

فرهاد ١١٢

فروزانفر، انظر بديع الزمان

فريد الدين العطار ٣٤ ، ٢٠

ق

القريشي ١٢

القشيري ١٢

قيصر ١٧٦ ، ٦٥

ك

كدكنی، انظر محمد رضا شفيعی

كراخاتون ٢٠

كفار قریش ٢٢٨

گ

گولپینارلی، انظر عبد الباقي

ل

أبولهب ٢٣٩

م

المتنبی، أبو الطیب ٢٠

المجوس ١٦٢

محمد، الرسول، المصطفى، النبي، ﷺ

٩ ، ١١ - ١٣ ، ١٧ ، ١٨ ، ٥٢ ، ٨٠ ، ٨٦ ،

٩٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٥٣ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ،

١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٠٣ ، ٢١٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣٩ ،

٢٤٢ ، ٢٤١

فهرس الأماكن والبلدان

رقم	اسم المكان	رقم	اسم المكان
١٠٥	دجلة	١٩٧	آذربايجان
٢٦، ١٢، ٨، ٧	دمشق		آسيا الصغرى ، انظر بلاد الروم
٧	الدوحة		أ
٧	سيناء	٧	الأناضول
٧٠	ش	١٢	الأندلس
٢٧ - ٢٥، ٢٣، ٧	الشام	٢٢٠، ١٠٩، ٩	إيران
١٢، ٧	الشرق الإسلامى		ب
١٦	شكر ريزان (نزل)	٧، ٦	بغداد
	ص	١٦، ٧، ٦	بلاد الروم
١٤١	الصين	٧، ٦	بلخ
	ط	٢٤١	بيروت
٤١، ٤٠، ٣٤، ٢٢، ١٤، ١٠، ٨	طهران		پ
٧	الطور (انظر جبل الطور)	١٦	پنجه فروشان (مدرسة)
٧	طوروس (سلسلة جبال)		ت
	ع	١٨٥، ١١٩، ١٠٩، ١٥٨، ١٠	تيريز
٧	العراق	٢٢٢، ١٩٥، ١٩٣	تركستان
	ق	٢٣١	ج
٤٣	القاهرة	١٣٩	جبل الصفا
٧	قطر	٢٢٤، ٨٦، ٨٣، ٧٢، ٧٠	جبل الطور
٢٠، ١٩، ١٧، ١٦، ٨، ٧	قونية		ح
٢٨، ٢٦، ٢٤ - ٢٢	ك	١٨، ١٦، ٨	حلب
	ك	١٧	حيدرآباد الدكن
١٦٢	الكمبة	١٠٩، ٦	خ
			خراسان

ك

كنجه ١٩٧

كنگ (نهر) ٦٥

م

المدينة (المنورة) ٢٢٨

المشرق (انظر الشرق الإسلامي)

مصر ١٤٠، ٧٨، ٧٠، ٣٨، ٩، ٥

مكة ٢٢٨

ه

الهند ٢٣١، ٦٥، ١٧

ي

اليمن ١٣٢

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
٦	جلال الدين الرومي
٩	شمس الدين التبريزي
١٧	لقاء القطبين : شمس الدين وجلال الدين
٢٣	عودة شمس إلى قونية
٢٤	شمس الدين الشهيد
٢٧	من منهما كان الشيخ ومن كان المرید ؟
٣٠	الإنتاج الأدبي لجلال الدين
٣٢	ديوان شمس تبريز
٣٣	الشعر في الديوان
٣٥	موضوع الديوان
٤١	هذه الترجمة
٤٥	قصائد مختارة من ديوان شمس تبريز، الترجمة العربية
٢٥٩	الفهارس
٢٦١	فهرس الأعلام
٢٦٥	فهرس الأماكن والبلدان
٢٦٧	المحتويات